

لأبي بكر بن أبي شيبة رحمه الله

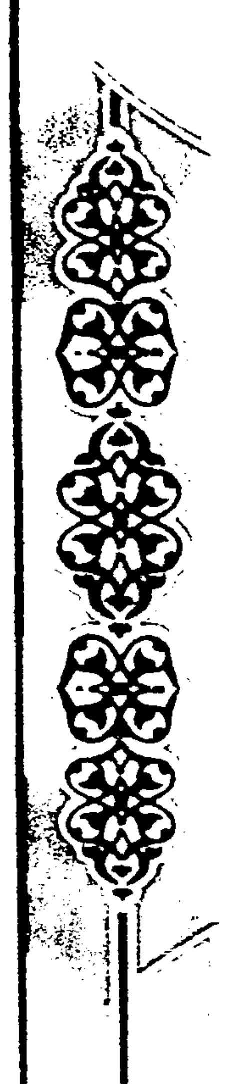
(ت ٢٣٥ هـ)

كتبه

عبد الله بن فوزان بن صالح الفوزان

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين





شرح كتاب الإيمان

لأبي بكر بن أبي شيبة رحمه الله

(ت ٢٣٥ هـ)



ⓒ دار العقيدة للنشر والتوزيع ، 1444 هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان ، عبد الله بن فوزان بن صالح

شرح كتاب الإيمان لابن أبي شيبة

عبد الله بن فوزان بن صالح الفوزان ـ الرياض ، 1443 هـ

272 ص؛ 17×24 سم

ردمك: 978-603-91673-9-6

1- الإيمان (الإسلام) أ. العنوان

ديوي 240 1443/999

رقم الإيداع: 1443/999 | ردمك: 978-603-91673-9-6

الطبعة الأولى

1444هـ - 2023م

حقوق الطبع محفوظة

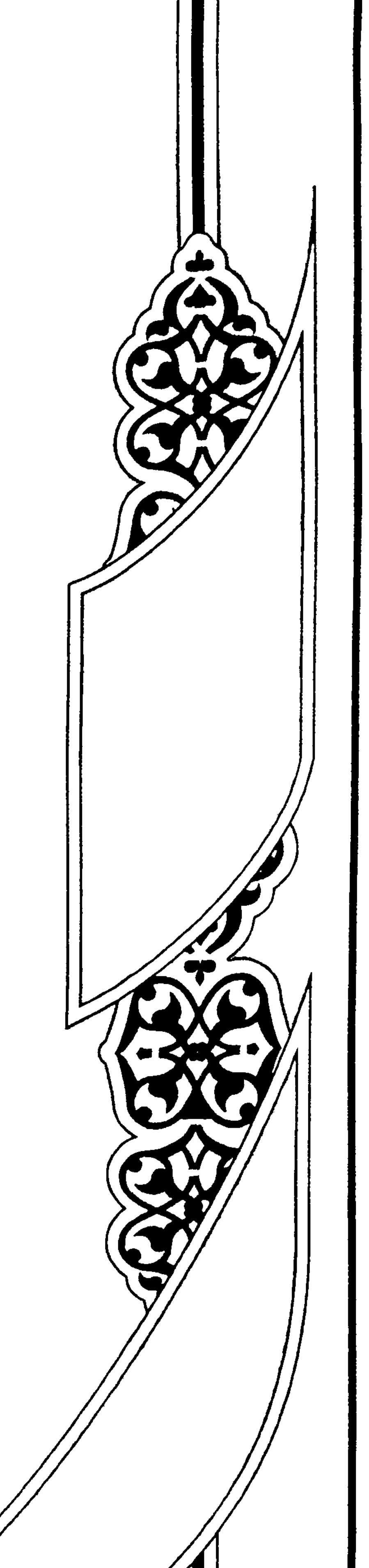
دار العقيدة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

0503310067 @DarAlaqeda

https://t.me/DarAlaqeda

daralaqeda@gmail.com





لأبي بكر بن أبي شيبة رحمه الله

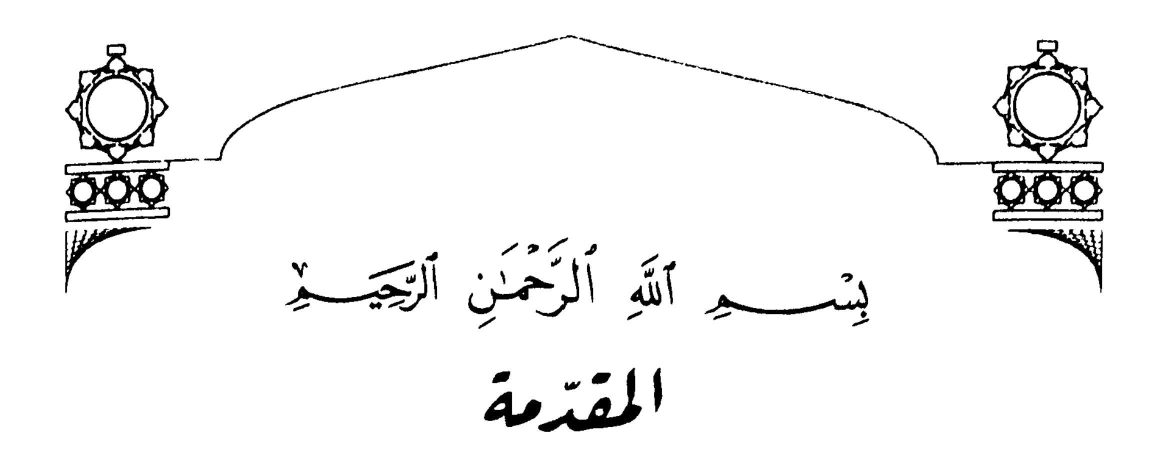
(ت ٢٣٥ هـ)

كتبه

عبد الله بن فوزان بن صالح الفوزان

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين





المقدّمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا؛ كما يحب ربُّنا ويرضى، والصلاة والسلام على الرسول المجتبى والنبيِّ المصطفى، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه، **أما بعد:**

فإنَّ الإيمان بالله تعالى وتحقيقه أجلُّ مطلوب، وأعظمُ مقصود أُرسلت به الرسل، وأُنْزلت به الكتب، وكمال العبد بكماله، ونقصه بنقصه، كما أنَّ قوتَه بقوته، وضعْفه بضعفه، وهو المدار للسعادة في الدنيا والآخرة، وقُطْب الرَّحى للفلاح والنجاح، وبقدر ما يتحقق به العبد ويُحَقِّق في خصاله وشُعَبه تكْمُل زينته وجماله، وتَعْظُم حِلْيته وجلاله؛ إذ هو الزينة والجمال والحِلْيةُ والجلال التي سألها النبيُّ ﷺ ربَّه، ودعا بها خالقَه؛ كما قال ﷺ: «**اللهم زَيِّنا بزينة الإيمان**»[1]، فالزينة حقًّا وصدقًا زينة أهل الإيمان، وما سواها زَيْف زائل، وبَهْرج مُضمَحِل، فما أعظم سعادة مَنْ تَسَرْبَل بالإيمان، وتأزَّر بالتوحيد، وارتدى باليقين، فاللهم اجعلنا منهم برحمتك وفضلك.

---

(١) أخرجه: النسائي (١٣٢١-١٣٢٢)، وأحمد (١٨٣٢٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٤)، وابن حبان (١٩٧١)، وغيرهم من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما، وإسناده جيِّد.

وقد ظهرت عناية أهل العلم رحمهم الله تعالى بهذا الشأن، واهتموا له وبه اهتمامًا عظيمًا، وعُنوا بالتصنيف فيه، جملةً وتفصيلًا، وتأصيلًا وتفريعًا، ومن ذلك كتاب «الإيمان»، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة العبسي الكوفي (٢٣٥هـ)، وهذه كراسة موجزة، وأحرف مختصرة في تخريجه والتعليق عليه[١]، كتبتها أولًا، ثم ألقيتُها في ستة مجالس في المسجد النبوي الشريف عام (١٤٣٩هـ)، وبين يدي ذلك تمهيدٌ تضمَّن عدة مطالب.

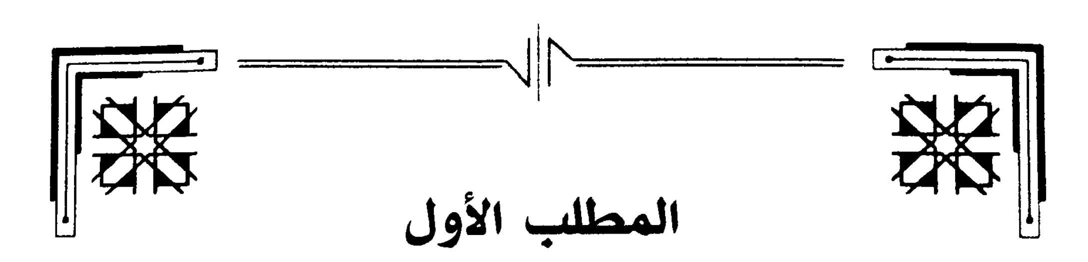
أسأل الله تعالى الإخلاص والصدق، والهداية والسداد، وأن يعيذني من شرِّ نفسي، وخَطَل فهمي، وأن يجعل ذلك - بمنِّه وكرمه - من العلم النافع في عموم فائدته، واتِّصال أجره، وبقاء أَثَره.

المدينة النبوية

الثلاثاء ١٨/ ١/ ١٤٤٤هـ

---

(١) شرح الكتاب عدد من أهل العلم المعاصرين، جزاهم الله خيرًا، ونفع بهم الإسلام والمسلمين.



المطلب الأول

التصنيف في الإيمان ومسائله وشُعَبه

كتب العديد من أئمة الإسلام الكبار، وأعلامه المشاهير في هذا الباب، وقدَّموا للأمة الكثير من الجهد والعطاء في تجلية مسائله وتوضيح مقاصده؛ وكل هذا لجلالة هذا الأمر وعظيم منزلته؛ وكثرة الفِرَق المخالِفة لأهل السنة فيه، وتقدُّم الاختلاف في شأنه.

قال ابن تيمية: الإيمان والإسلام النزاع في مسماهما أول اختلاف وقع، افترقت الأمة لأجله، وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة، وكفَّر بعضهم بعضًا، وقاتل بعضهم بعضًا[١].

◈ وبالنظر فيما كتب الأئمة في باب الإيمان يتبين أنه على قسمين:

القسم الأول: كتاب الإيمان الذي ذكره الأئمة في مصنفاتهم الحديثية المسندة؛ كالبخاري، ومسلم، وابن حبان، والترمذي، وغيرهم رحمهم الله تعالى، **وهذا القسم على ضربين:**

أولهما: ما قُصِد به أصول الدين جملةً؛ فذُكِر فيه مسائل الإيمان، والقدر، والسمع والطاعة، إلى غير ذلك من مسائل الاعتقاد، وهذا الذي

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦٩) بتصرف يسير، وينظر: (٣/ ٢٣٠)، (٧/ ٤٧٩).

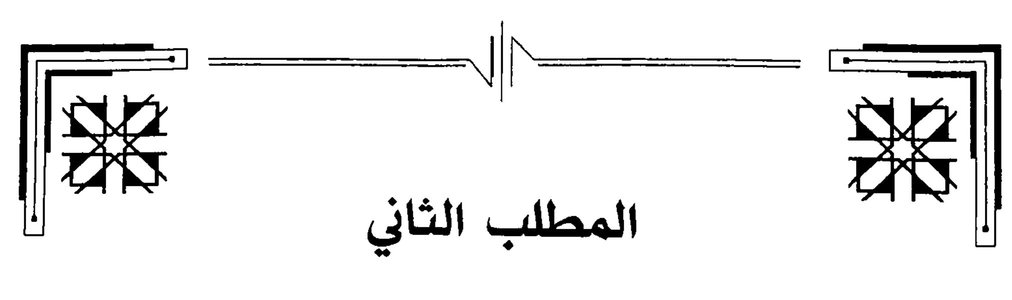
صنعه الإمام مسلم، والإمام أبو داود، وإن كان سمَّى الكتاب كتاب السنة.

ثانيهما: ما قُصِد به مسائل الإيمان التي اتفق عليها السلف في الجملة وخالفهم فيها غيرُهم؛ كمسألة مسمَّى الإيمان، وزيادته ونقصانه، ودخول الأعمال في مسماه، والاستثناء فيه، ونحو ذلك، وهذا ظاهرٌ من صنيع الأئمة: البخاري، والنسائي، وابن حبان.

القسم الثاني: كُتُب الإيمان التي أفردت بتصنيف مستقل، وهذه المصنفات المفردة متعددة، بلغت نحوًا من عشرين مُصَنَّفًا، وأقدم ما وصلنا منها كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام، وأوسعها كتاب ابن منده[(١)].



(١) جَمَع الموجود من هذه الكتب، وحقَّقها واعتنى بها فضيلة الشيخ عادل بن عبد الله آل حمدان، في كتابه الماتع: الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة، والشيخ له اهتمام مشكور في العناية بكتب العقيدة المسندة، وقد استفدتُ من عمله، شكر الله له وبارك في جهوده.



المطلب الثاني

كتاب «الإيمان» لابن أبي شيبة

من أشهر الكتب في هذا كتاب أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (٢٣٥هـ) رحمه الله تعالى، صاحب المُدَوَّن الحديثي ذائع الصِّيت، شهير الذِّكْر «المصنَّف».

وكتابه في الإيمان اشتمل على جملة من مسائل الباب، وليس على جميع مسائله، فقد تضمن بيان حقيقة الإيمان، وزيادته ونقصانه، ودخول الأعمال في مسمَّاه، وعلى مسألة الاستثناء فيه، والأعمال التي يخرج بها العبد من الإيمان؛ إما أصلًا أو كمالًا، فهذه جملة موضوعات الكتاب.

ولعل الهدف الواضح من إبراز الكتاب وإظهاره: الرد على المرجئة، - لا سيما وأن ابن أبي شيبة في بلد مرجئة الفقهاء (الكوفة) - حيث كان صوت الإرجاء عاليًا، وأمره مشتهرًا، والفتنة به عمَّت، والبلوى فيه طمَّت؛ ولذا كان النقل عن علماء الكوفة أكثر من غيرهم في إنكار هذا المذهب؛ كما قال ابن تيمية(١).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣١١).

هل الكتاب جزء من كتاب «المصنَّف» أو هو كتاب مفرد وتصنيف مستقل؟

الذي يظهر - والله تعالى أعلم - أنه جزء من «المصنَّف»، تمَّ إفراده منه[١]، **ويدل لهذا الآتي:**

١- أنَّ راوي كتاب **«الإيمان»** عن ابن أبي شيبة هو أبو العلاء محمد ابن أحمد بن جعفر الوكيعي، وهو أيضًا ممن روى «المصنَّف» عنه[٢]، فتكون بعض الكتب في «المصنَّف»، ومنها: الإيمان، وفضائل القرآن، والأوائل قد أفردت في كتب مستقلة، والاختلاف فيما بينها وما في **«المُصَنَّف»** راجع إلى اختلاف رواية الوكيعي «للمصنَّف» عن غيرها من الروايات، و**«المُصَنَّف»** الذي بين أيدينا من رواية بقي بن مَخْلد، فقد

(١) الكتاب المفرد له نسخة خطية واحدة - حسب بحثي وسؤال أهل الاختصاص - محفوظة في المكتبة الظاهرية، ضمن مجموع رقمه (٢٧٩)، مكتوبة بخط مغربي قديم، الظن أنه كان في أول القرن السابع، وعليها بعض السماعات، والتصحيحات والتتميمات اليسيرة، وفيها خطوط لبعض الأئمة؛ كالبِرْزَالي وابن المُحب الصامت، وفي غالب أوراقها رطوبة كان لها بعض الأثر على النصِّ، وفيها عدد من الأخطاء والتصحيفات، فليست من الضبط والإتقان بالدرجة العليا، وهذا الوصف مما أفادني به الشيخ الدكتور محمد السُّرَيِّع- جزاه الله خيرًا - مع التنبيه أن النسخة خلت من لفظ الترضي عن الصحابة ﵃ فأضفتُه، وطُبِعَ الكتاب أكثر من مرة، أشهرها التي بتحقيق العلامة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني ﵀، صدرت عن المكتب الإسلامي ببيروت، وطبعت مرة أخرى في مكتبة المعارف بالرياض، وأفضل طبعة - في نظري - التي ضمن الجامع في كتب الإيمان.

(٢) ينظر: فهرس ابن عطية الأندلسي (ص١٣١)، فهرس ابن خير الإشبيلي (ص١٧٢)، صلة الخلف (ص٦٩)، تاريخ التراث (١/ ٢٠٧)، الرسالة المستطرفة (ص٤٥).

يكون ابن أبي شيبة حدَّث به مرارًا، فزاد في بعضها على بعض، ويحتمل أيضًا أنَّ الاختلاف - وهو يسير - جاء ممن أفرد هذه الأجزاء.

٢- ذكر ابن حجر في «المعجم المفهرس» أنه وقع له من «مصنَّف ابن أبي شيبة» أجزاء مُفردة هي في موضوع خاص، وإلا فأصلها جزء من «المصنَّف»؛ كالإيمان والأوائل ونحو ذلك[١].

٣- لم يذكر في ترجمة ابن أبي شيبة أن له مصنَّفًا مستقلًّا في الإيمان، وإنما اشتهر من مصنفاته: «المصنف»، و«المسند»، و«التاريخ»، و«التفسير».

٤- أن هذا الباب كثر الخلاف فيه بين أهل السنة ومخالفيهم من المرجئة وغيرهم؛ ولذا حرص الأئمة وتلاميذهم على إبراز ذلك وإظهاره، لا سيما في زمانٍ أو مكانٍ يشتدُّ فيه الخلاف، أو يرتفع فيه صوت البدعة؛ كالكوفة مثلًا، وهي بلد المؤلف.

٥- أن الكتاب موافق لكتاب الإيمان الذي في «المصنَّف» في الجملة، والاختلاف يسير من جهة الترتيب في بعض الأحاديث والآثار، ففيها شيء من التقديم والتأخير، وكذا اختلاف في التبويب، فالذي في «المصنَّف» ذَكَرَ فيه ابن أبي شيبة ستةَ أبواب، والذي طبع مفردًا ليس فيه تبويب، كما أنَّ المفرد أَنقص مما هو في «المصنَّف» بثلاثة أحاديثَ وأثرين، فالثلاثة الأحاديث الأُوَل من كتاب الإيمان في «المصنَّف» وبعدها أثران عن عمر وحذيفةَ رضي الله عنهما ليسا في الطبعات المفردة، فهذا وجه الاختلاف بينهما.

---

(١) (ص٥٠-٥١)، وينظر أيضًا: (١١١، ١٧٥)، تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٥٢٥).

وعليه: فيقال: إنَّ الكتاب أُفرِدَ بعد ابن أبي شيبة، ويبقى أنه احتمال واستظهار، أرجو ألا يكون بعيدًا عن جادَّة الصواب ومرمى السَّدَاد، وقد ذهب العلامة الألباني إلى أنه كتاب مفرد غير الذي في «المصنَّف»[(١)].

۞ ترتيب الكتاب:

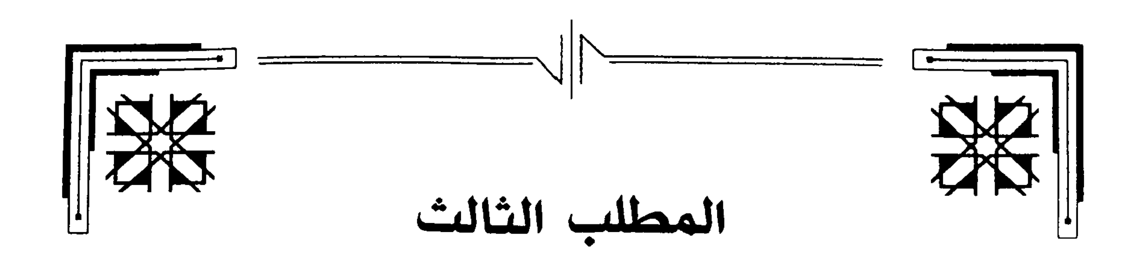
الكتاب لم يرتب ترتيبًا موضوعيًّا، كما أنه مختلف بعض الشيء في ترتيبه عن كتاب الإيمان الذي في «المُصنَّف».

والناظر في نصوصه يرى أنه تم الفصل والتفريق بين أحاديث المسألة الواحدة؛ فمثلًا: مسألة الاستثناء في الإيمان ترى أحاديثها وآثارها مفرقة، أو مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، وأوضح صورة لهذا أن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**» أورده المؤلف من ثلاثة طرق فَصَل بينها بحديثٍ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا! وسوف يتضح هذا جليًّا للقارئ الكريم بأمثلة أخرى من خلال الفهرس الموضوعي في آخر الكتاب.



---

(١) ينظر: فهرس مخطوطات الظاهرية (المنتخب من مخطوطات الحديث) (ص٣٢-٣٣)، وتبعه في هذا الشيخ عادل الحمدان في كتابه الآنف ذكره (١٠٧/٢، ١١١).



المطلب الثالث

تعريف الإيمان لغة واصطلاحًا

الإيمان عند أهل اللغة له عدة معان باعتبار ما يتعدى به(١)، وأشهرها عندهم: التصديق، ولم يُوَافَق الأزهري على حكاية الاتفاق عليه(٢).

وقد ناقش ابن تيمية تفسيره لغةً بالتصديق، ورأى أن الأَوْلى تفسيره بالإقرار، أو يقال: هو تصديق خاص مستلزم للإذعان والقبول والطمأنينة، وبيَّن ذلك وأيَّده من عدة وجوه(٣).

فقال: «إن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة»(٤).

---

(١) ينظر: تاج العروس (٣٤/ ١٨٦-١٨٧).

(٢) تهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٨)، وينظر: الصحاح (٦/ ٣٤٩)، لسان العرب (١٣/ ٢١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٢٢، ١٢٧، ٢٨٩-٢٩٤، ٥٢٩-٥٣٤، ٦٣٦، ٦٣٨)، الصارم المسلول (٣/ ٩٦٦-٩٦٩)، المفردات في غريب القرآن (ص٩١)، كتاب الاعتقاد للراغب (ص٣٥٣-٣٥٤)، المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان (١/ ٨-١٨)، قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٩٢)، مقدمة الإيمان الأوسط (ص١١٨-١٢٥)، الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل (١/ ٣٥-٣٩).

(٤) الصارم المسلول (٣/ ٩٦٦).

وقال أيضًا: «تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقًا»[(١)].

وقال ابن القيم: «إن الإيمان ليس مجرد التصديق، وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد»[(٢)].

وإذا كان هذا هو الصواب في تفسيره لغةً فلا حجة للمرجئة في ذلك؛ لأنَّ من أدلتهم لمذهبهم: كونه لغةً بمعنى التصديق، والتصديق محله القلب، لكن متى فسَّرناه بالإقرار والطمأنينة، أو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد سقط استدلالهم.

ومَنْ فسَّر الإيمان بالتصديق من أهل السنة، فإنما أراد به التصديق الإذعاني المتضمن معنى ما ذكره ابن تيمية وغيره من علماء السلف.

قال الشيخ حافظ حكمي: «مَن قال من أهل السنة في الإيمان: هو التصديق على ظاهر اللغة، إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرًا وباطنًا بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق»[(٣)].

وأما تعريفه من حيث الاصطلاح عند أهل السنة، فقد تفاوتت العبارات وتعددت، لكنها تدل على مقصود واحد.

فمنهم مَن يقول: الإيمان قول وعمل، وهذا مأثور عن الثوري، والأوزاعي، ومالك، والشافعي، وابن عيينة، وأحمد، والبخاري

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩١).

(٢) كتاب الصلاة (ص٨٧-٨٨).

(٣) معارج القبول (٢/ ٥٩٤)، وينظر: المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان (١/ ٩-١٠).

وغيرهم.

ومنهم مَنْ يقول: قول وعمل ونية، وهذا محكي عن الحسن، وسعيد ابن جبير، وأحمد.

وبعضهم قال: قول وعمل ونية واتباع سُنَّة، ومن أشهر عباراتهم: **الإيمان اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان**(١).

قال ابن أبي زَمَنِين: «ومن قول أهل السنة: إن الإيمان إخلاص لله بالقلوب، وشهادة بالألسنة، وعمل بالجوارح، على نية حسنة، وإصابة السُّنَّة»(٢).

فحقيقة الإيمان عند أهل السنة قائم على أركان أربعة، وهي: **قول القلب** وهو اعتقاده، **وقول اللسان** وهو الإقرار والشهادة، **وعمل القلب** وهو نيته وإخلاصه وخوفه ورجاؤه وغيرها من الأعمال القلبية، **وعمل الجوارح** وهي الظاهرة؛ كالصلاة والصوم والتلاوة وغيرها من أعمال البدن، وهذه الحقيقة تبين المقصود من عبارات السلف في تعريف الإيمان، وأنها متفقة غير مختلفة.

قال ابن تيمية: «والمقصود هنا أن مَن قال من السلف: الإيمان قول

---

(١) ينظر: الشريعة (٢/ ٦٠٤-٦٠٨)، الإبانة (٢/ ٨١٤)، أصول السنة لابن أبي زَمَنِين (ص٢٠٧)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٩٣)، (٥/ ٩٥٦)، مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٠)، زاد المعاد (٣/ ٥٣١)، عدة الصابرين (ص١٠٩)، اجتماع الجيوش الإسلامية (٢١٨، ٢٤٧)، مسائل الإيمان لأبي يعلى (ص١٥٢)، المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان (١/ ٢٠-٣١)، قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٢٢).

(٢) أصول السنة (ص٢٠٧).

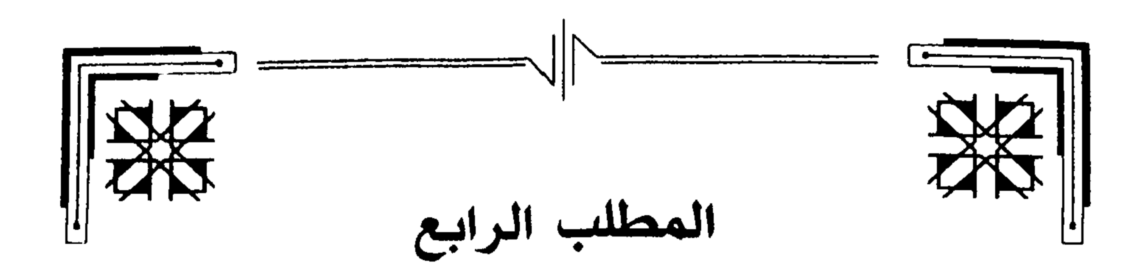
وعمل أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومَن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومَنْ قال: قول وعمل ونية قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومَن زاد اتباع السُّنَّة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السُّنَّة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولًا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسَّروا مرادهم؛ كما سُئِل سهل بن عبد الله التُّسْتَري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا ونيةً بلا سنة فهو بدعة»[(١)].

كما ينبغي أن يُعْلَم أن الإيمان عند الإطلاق قد يُرَاد به بعض المصطلحات الشرعية، قال ابن تيمية: «لفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يُرَاد به ما يراد بلفظ البِرِّ، وبلفظ التقوى، وبلفظ الدِّيْن»[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٧١).

(٢) المصدر السابق (٧/ ١٧٩).



المطلب الرابع

أصول مسائل الباب ونشأة الاختلاف فيه

◈ **أصول المسائل في كتاب الإيمان خمسٌ في الجملة، وهي:**

الأولى: القول في مسمَّى الإيمان.

الثانية: الفرق بين الإسلام والإيمان.

الثالثة: الأسماء والأحكام.

الرابعة: زيادة الإيمان ونقصانه.

الخامسة: الاستثناء في الإيمان.

فهذه المسائل تُشَكِّل أصول مسائل باب الإيمان، **وقد قسَّمها بعض أهل العلم إلى قسمين:**

القسم الأول: المسائل الثلاث (ما يتعلق بمسمى الإيمان، وزيادة الإيمان ونقصانه، وقاعدة الأسماء والأحكام) فهذه تعتبر أكبر المسائل، وأشهرها من جهة كثرة وقوة الخلاف فيها حتى عند أهل السنة.

القسم الثاني: مسألتا (الاستثناء، والفرق بين الإسلام والإيمان) فالخلاف فيهما قليل، وأثره يسير، وما ينسب لأئمة أهل السنة من خلاف فيهما فهو لفظي لا حقيقي.

وقد نشأ الاختلاف في مسائل الباب مبكرًا؛ بل قيل: إنه أول اختلاف بين أهل القبلة؛ ولذا أشكلت بعض مسائله ليس على أهل البدع فقط، وإنما على طائفة من أهل السنة.

وسبب النزاع فيه راجع إلى شبهتين، ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية:

الأولى: هل الإيمان شيء واحد أو متفاوت؟

فالطوائف المبتدعة جعلوه شيئًا واحدًا، إذا ثَبَتَ ثَبَتَ جميعه، وإذا ذهب ذهب جميعه، أما أهل السنة فيرون أنه متفاوت، يزيد وينقص، ويقوى ويضعُف، حتى في الرجل الواحد.

قال ابن تيمية: «وأما قول القائل: إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله، فهذا ممنوع، **وهذا هو الأصل الذي تفرَّعت عنه البدع في الإيمان؛** فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضُه ذهب كلُّه لم يبق منه شيء. ثم قالت الخوارج والمعتزلة: هو مجموعُ ما أمر الله به ورسوله، وهو الإيمان المطلق؛ كما قاله أهل الحديث؛ قالوا: فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلَّد في النار. وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم: لا تُذْهِب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئًا من الإيمان؛ إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء فيكون شيئًا واحدًا، يستوي فيه البَرُّ والفاجر، ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه؛ كقوله: «**يخرج من النار مَن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»؛ ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل، وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص»[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٣)، وينظر: مسائل الإيمان لأبي يعلى (ص٣٩٥-٤١٧)،=

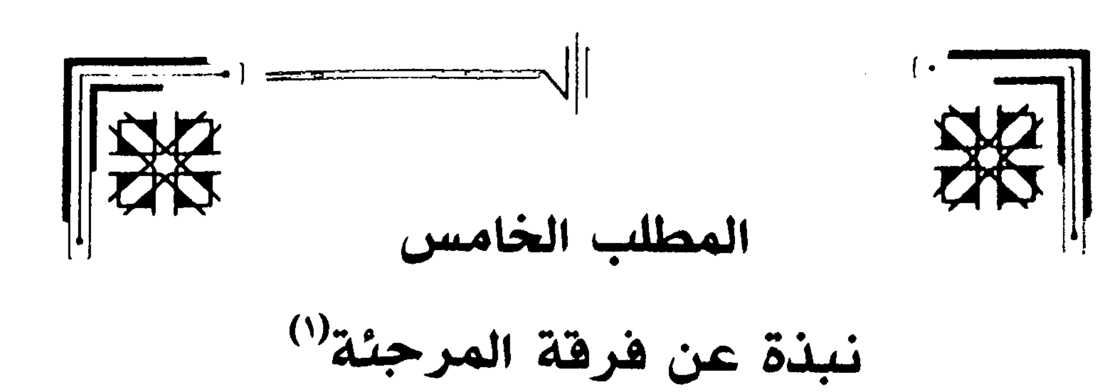
الثانية: اعتقاد المخالف أنه لا يجتمع في العبد كفر وإيمان.

قال ابن تيمية: «ومن العجب أن الأصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر، أو ما هو إيمان وما هو كفر، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين»[١].



= مجموع الفتاوى (٧/ ٤٠٧ - ٤٠٨، ٥١٠-٥١١، ٥١٤-٥١٨) (١٢/ ٤٧٠-٤٧١)، (١٣/ ٥٥)، (١٨/ ٢٧٠)، شرح حديث جبريل (ص٣٩١-٤٠٢)، النبوات (١/ ٥٨٢-٥٨٣)، الكافية الشافية لابن القيم (ص٦٥-٦٦).

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٠٤).



المطلب الخامس

نبذة عن فرقة المرجئة[١]

وفيه مسائل:

الأولى: الإرجاء في اللغة: هو التأخير والإمهال[٢].

وفي اصطلاح السلف: إخراج الأعمال من مسمَّى الإيمان. فهذا أصل المرجئة الذي يجتمعون فيه، وإليه نُسبوا في مقالات جمهور السلف عنهم[٣]، ومن فروع اعتقادهم: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص،

---

(١) ينظر في هذه الطائفة: المرجئة وموقف أهل السنة منهم، رسالة ماجستير للدكتور محمد اللاحم، وكتاب آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور عبد الله السند، وموقف علماء الدعوة من المرجئة، له، المرجئة نشأتها ومعتقداتها لمجيد الزامل ومنعم عبد الرحيم، القدرية والمرجئة للدكتور ناصر العقل، الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة (١/ ١٦٧-٤٦٠)، براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة لمحمد الكثيري، رسالة ماجستير، حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء في القديم والحديث للشيخ سعد الشثري، تسرب المفاهيم الإرجائية في الواقع المعاصر للدكتور سعد العتيبي، الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل لمحمد محمود آل خضير.

(٢) ينظر: الصحاح (٢/ ٥٧)، النهاية (٢/ ٢٠٦)، لسان العرب (١/ ٨٤)، تاج العروس (١/ ٢٤٠).

(٣) ينظر: السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ٣٧٥-٣٧٧)، تهذيب الآثار للطبري (٢/ ٦٥٩)، السنة للخلال (٣/ ٥٦٥-٥٦٧)، الشريعة للآجري (٢/ ٦٨٤-٦٨٧).

ولا يجوز الاستثناء فيه، لكن لو قال ببعض الفروع دون أصل إخراج الأعمال من الإيمان فلا يكون مرجئًا، إلا إذا كان الفرع من لازم الأصل(١).

قال الطبري: «الأغلب من استعمال أهل المعرفة بمذاهب المختلفين في الديانات في دهرنا هذا، هذا الاسم فيمن كان من قوله: الإيمان قول بلا عمل، وفيمن كان من مذهبه أن الشرائع ليست من الإيمان، وأن الإيمان إنما هو التصديق بالقول دون العمل المصدّق بوجوبه»(٢).

الثانية: بدعة المرجئة حدثت في أواخر عصر الصحابة.

قال ابن تيمية: «في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية، في آخر عصر ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأمثالهم من الصحابة، وحدثت المرجئة قريبًا من ذلك»(٣)، وفي تحديد أدق يقول: «لما كان في آخر عصر الصحابة، في إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية»(٤).

وقد نُقِلَ عن قتادة بن دِعَامَة السّدوسي أن بدعتهم حدثت بعد فتنة ابن الأشعث التي خرج بها على الحجاج في أول الثمانين الهجرية.

---

(١) ينظر: السنة للخلال (٣/ ٥٦٥-٥٦٧)، مجموع الفتاوى (٧/ ٦٦٦)، (١٣/ ٤١)، فتح الباري (١/ ١١٠)، آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور عبد الله السند (ص٨٥-٩٢).

(٢) تهذيب الآثار (٢/ ٦٦٠)، وينظر: (٢/ ٦٨٤)، جامع البيان (١/ ٢٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٠١-٣٠٢).

(٤) منهاج السنة (٦/ ٢٣١)، وينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٨)، (١٠/ ٣٥٧)، (٢٨/ ٤٩٠)، النبوات (١/ ٥٧٧).

وعليه: فقد نشأت المرجئة تحديدًا في أواخر السبعين وأول الثمانين من القرن الهجري الأول[١].

وأول بدايتها كانت في الكوفة؛ إذ تَبَنَّاها ودعا إليها طائفة من علمائها، وهو ما عُرِفَ فيما بعد بمصطلح (مرجئة الفقهاء) ومن أشهرهم: حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة، وإبراهيم التيمي، وذرُّ بن عبد الله المُرْهِبي، وطَلْق بن حَبيب.

واختُلِف في أول مَنْ قال بها، فقيل: ذرٌّ، وقيل: حماد، ولعله أشهر مَنْ وسَّع الكلام فيها، وإلا فذرُّ بن عبد الله قبله، وعنه أخذ حمادٌ أصلَ المقالة[٢].

الثالثة: ذكر بعض أهل المقالات أنَّ المرجئة اثنتا عَشْرة فرقة على التفصيل، وعلى الإجمال ثلاث فرق، فيهم الغلاة، والمتوسطون، ودونَ ذلك[٣].

وجملة طوائف المرجئة ترجع إلى ثلاثة مذاهب لهم.

قال ابن تيمية: «**والمرجئة ثلاثة أصناف**: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب... **والقول الثاني**: من يقول: هو مجرد قول

(١) ينظر: آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور عبد الله السند (ص٩٣-١٠٠)، القدرية والمرجئة للعقل (ص٨١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣١١، ٥٠٧)، (١٣/ ٣٨)، القدرية والمرجئة للدكتور ناصر العقل (ص٨١-٨٢).

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين (ص١٣٢)، الفَرق بين الفِرَق (ص١٩٠)، الملل والنحل (١/ ١٣٩)، مجموع الفتاوى (٧/ ١٩٥).

اللسان، وهذا لا يُعرَف لأحد قبل الكرَّامية، **والثالث**: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة»(١).

ومن غلاة المرجئة: الكرَّامية الذين يرون أن الإيمان إقرار باللسان، فهذا من أشدِّ الإرجاء، وأقرب منهم الكُلَّابية الذين قالوا: الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، والأعمال ليست منه، وهذا إرجاء الفقهاء.

قال ابن تيمية: «الكَرَّامية، والكُلَّابية، وأكثر الأشعرية مرجئة، وأقربهم الكلابية؛ يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، والقول باللسان، والأعمال ليست منه؛ كما يُحكى هذا عن كثيرٍ من فقهاء الكوفة»(٢).

وقال: «الكرَّامية باينوا سائر الطوائف في قولهم: إن الإيمان هو القول باللسان، فمن أقرَّ بلسانه كان مؤمنًا، وإن جحد بقلبه قالوا: وهو مؤمن مخلد في النار؛ فإن هذا لم يقله غيرهم»(٣).

وقال أيضًا: «وآخر الأقوال حدوثًا في ذلك قول الكرَّامية: إن الإيمان اسم للقول باللسان، وإنْ لم يكن معه اعتقاد القلب، وهذا القول أفسدُ الأقوال»(٤).

وقال ابن أبي العز: «وذهب الكرَّامية إلى أن الإيمان هو الإقرار

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٩٥).

(٢) النبوات (١/ ٥٨٠)، وينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٨).

(٣) منهاج السنة (٣/ ٤٦٢)، وينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٣)، (٧/ ١٤٠، ٣٨٧).

(٤) شرح الأصبهانية (ص٦٧١).

باللسان فقط، فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به. وقولهم ظاهر الفساد»(١).

الرابعة: من أشهر طوائف المرجئة: (مرجئة الفقهاء)، وهم بالنسبة لغيرهم من طوائف المرجئة أقرب إلى أهل السنة، لكن لما كان رواج مذهبهم أسرع، والفتنة بقولهم أسهل، وانفتح بسببهم أبواب من البدع غليظة؛ اشتد نكير الأئمة عليهم وردُّ مقالتهم(٢).

قال ابن تيمية: «وأما المرجئة فليسوا من هذه البدع المغلظة، بل قد دخل في قولهم طوائفُ من أهل الفقه والعبادة؛ وما كانوا يُعَدُّون إلا من أهل السنة؛ حتى تغلَّظ أمرهم بما زادوه من الأقوال المغلَّظة»(٣).

وقال أيضًا: «دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأمة أهلُ علم ودِين؛ ولهذا لم يُكَفِّر أحد من السلف أحدًا من مرجئة الفقهاء، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال، لا من بدع العقائد، فإن كثيرًا من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب، فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم، وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببًا لخطأ عظيم في العقائد

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٦٠).

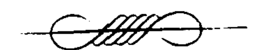
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٧)، مقدمة الإيمان الأوسط (ص١٧١-١٨٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٧).

والأعمال؛ فلهذا عَظُمَ القول في ذم الإرجاء»[١].

وأصول ما خالفوا فيه أهلَ السنة راجع إلى مسائل في باب الأسماء، لا في أصول العقائد.

قال ابن تيمية: «أئمة الفقهاء لم ينازعوا في شيء مما ذكرناه من الأحكام، وإن كان بعضهم أعلم بالدين وأقوم به من بعض، ولكن تنازعوا في الأسماء؛ كتنازعهم في الإيمان هل يزيد وينقص؟ وهل يُسْتَثنى فيه أم لا؟ وهل الأعمال من الإيمان أم لا؟ وهل الفاسق المِلِّيُّ مؤمن كامل الإيمان أم لا؟ والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنه يجوز الاستثناء فيه»[٢].



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٩٤)، وينظر: (١٣/ ٣٨-٤٠)، (١٨/ ٢٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥).



كتاب الإيمان

تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

رواية أبي العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوكيعي عنه.

رواية أبي محمد الحسن بن رَشِيق العسكري عنه.

رواية أبي القاسم علي بن محمد بن علي بن أحمد بن عيسى الفارسي عنه.

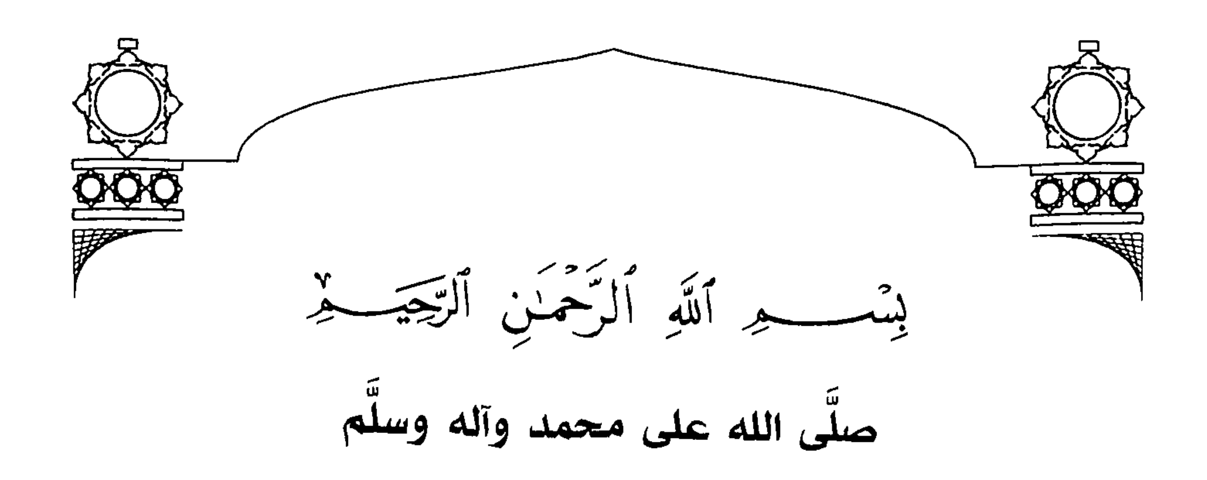
رواية أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني عنه.

رواية أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الرَّحْبي عنه.

رواية الزاهد أبي علي حسن بن أحمد بن يوسف الإِوَقي عنه.

رواية الإمام كمال الدين أبي العباس أحمد بن أبي الفضائل بن أبي المجد الدُّخْمَيسِي عنه.

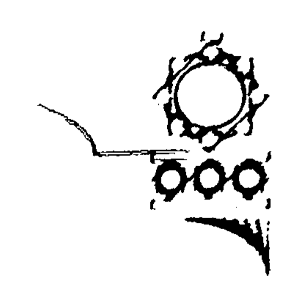




بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلَّى الله على محمد وآله وسلَّم

أخبرنا الإمام الزاهد الورع أبو علي حسن بن أحمد بن يوسف الإِوَقي الصوفيُّ - قراءة عليه وأنا أسمع، في يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول، سنة ثلاث وعشرين وستمائة - قيل له: **أخبركم** الإمام الصالح أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الرَّحْبي - قراءة عليه وأنت تسمع، وذلك في الثامن من شهر رجب، سنة خمس وسبعين وخمسمائة، بفسطاط مصر - فأقرَّ به، وقال: نعم. قيل له: **أخبركم** الشيخ أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم بن علي البزَّاز المديني - بفسطاط مصر، في شهر ربيع الآخر، سنة خمس عشرة وخمسمائة - فأقرَّ به، وقال: نعم، **أخبرنا** أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أحمد بن عيسى الفارسي الفسوي - قراءة عليه يوم الجمعة في التاسع عشر من شوال، من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة - **أخبرنا** أبو محمد الحسن بن رَشِيق العسكري - قراءة عليه - **حدثنا** أبو العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوكيعي الكوفي -قراءة عليه، وذلك في يوم السبت لسبع ليال بقين من صفر، سنة سبع وتسعين ومائتين - **حدثنا** أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي قال:




ما ذُكِرَ في الإيمان

١- حدثنا غُنْدَر، عن شعبة، عن الحَكَم قال: سمعت عروة بن النَّزَّال يُحَدِّث عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك(١)، فلما رأيته خاليًا، قلت: يا رسول الله؛ أخبرني بعمل يُدخلني الجنة؟ قال: «بَخْ(٢)؛ لقد سألتَ عن عظيم، وهو يسير على من يسَّره الله(٣): تُقيْم الصلاة المكتوبة، وتؤدِّي(٤) الزكاة المفروضة، وتلقى الله عَزَّ وَجَلَّ لا تشرك به شيئًا، أَوَلا أدلك على رأس الأمر، وعمودِه، وذِرْوةِ سَنَامِه(٥)؟ فأما رأس الأمر فالإسلام،

---

(١) كانت في شهر رجب من السنة التاسعة، وتُعدُّ آخر غزوة غزاها النبي ﷺ، وهي التي وُصفت بجيش العُسْرة، وفيها قصة التخلف المشهورة.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ١٠١): «بخ: هي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، وتكرر للمبالغة، وهي مبنية على السكون، فإنْ وصلت جَرَرْتَ ونوَّنت، فقلت: بَخٍ بَخٍ، وربما شددت. وبَخْبَخْتُ الرجلَ، إذا قلت له ذلك، ومعناها: تعظيم الأمر وتفخيمه، وقد كثر مجيئها في الحديث»، وينظر: تاج العروس (٧/ ٢٢٩-٢٣١)، فالنبي ﷺ عظَّمَ وفَخَّمَ هذا السؤال؛ لأنه سؤال عظيم؛ ولهذا قال: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ».

(٣) هكذا في المخطوط، والذي في المصنف، وبقية مصادر التخريج: «يسَّره الله عليه».

(٤) في المصنف: «وتؤتي».

(٥) الذروة: أعلى الشيء، وذروة السنام أعلاه، فالجهاد أعلى مراتب الدِّيْن، وبه يحصل إعلاء أمر الدين. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤١٢)، مشارق الأنوار (١/ ٢٦٩)، النهاية (٢/ ١٥٩).

مَنْ أَسلم سَلِمَ، وأما عموده فالصلاة، وأما ذِرْوة سنامه فالجهاد في سبيل الله».

٢- حدثنا عَبِيْدةُ بن حُمَيْد، عن الأعمش، عن الحكم، عن ميمون بن أبي شَبِيب، عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم ذكر نحوه(١).

الفوائد:

الأولى: حديث معاذ - رضي الله تعالى عنه - من جوامع الأحاديث؛ ولهذا ذكره الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في «الأربعين النووية»(٢).

الثانية: قوله: «**أخبرني بعمل يُدخلني الجنة؟**» هذا من عظيم الهمَّة والكمال الذي ينشده معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ سأل النبيَّ ﷺ هذا السؤال وهو في حال غزو وجهاد، ففيه أنه ينبغي للعبد أن يتحرَّى فيمَ يسأل؟ وكيف

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٢٢٤٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٢٢٠١٦)، والطيالسي (٥٦١)، وعبدالرزاق (٢٠٣٠٣)، والبزار (٢٦٥١)، وابن حبان (٢١٤)، والطبراني (٣٠٤)، والبيهقي (١٧٨٥٥) من طرق متعددة (عشرة طرق) عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مطولًا ومختصرًا، وعروة بن النزال في الطريق الأولى لم يوثقه إلا ابن حبان، ولم يسمعه من معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وميمون بن أبي شبيب متكلَّم فيه، ولم يسمع أيضًا من معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أطال الدارقطني في ذكر طرقه، ورجَّح أن أحسنها إسنادًا: طريق شهر بن حوشب، عن ابن غَنْم، عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحكم بضعف كل طرقه ابنُ رجب، وردَّ على الترمذي تصحيحه له. ينظر: العلل لأحمد - رواية عبد الله - (٥٨٩٤)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٣٤)، علل الدارقطني (٦/ ٧٣)، تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٠)، جامع العلوم والحكم (٢/ ١٣٥).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ١٣٤).

يسأل؟ وأن يكون ذا هِمَّةٍ عظيمةٍ في سؤاله، فلا يسأل إلا ما فيه نجاته وفلاحه في الدنيا والآخرة.

وسؤال أهل العلم مما أُمر به في الشرع؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحل: الآية ٤٣]، لكنَّ كثيرًا من الناس في هذا الزمن أخلَّ بأدب السؤال، ودخل عليهم الخلل بسبب عدم مراعاة عدة أمور في هذه المسألة، **وهي**:

- **لماذا يسأل؟** فهذا يرجع إلى النية والقصد، فلا بد أن يكون القصد خالصًا، والنية صالحة، وأن يتمحض لقصد معرفة مراد الله ورسوله ﷺ في المسألة.

- **عن ماذا يسأل؟** وهذا يرجع إلى ماهية السؤال وموضوعه، فثَمَّة مسائل لا يجوز السؤال عنها أصلًا، أو لاينبغي السؤال عنها.

- **متى يسأل؟** سواءٌ فيما يعود إلى وقت بعض المسائل، أو الوقت المناسب لسؤال المفتي.

- **مَنْ يسأل؟** وهذا يرجع إلى المفتي الذي يستحق أن يُسأل، فليس كل من نُسب إلى العلم، أو إلى الأخيار والطيبين، أو المتعلمين يُستفتى في مسائل العلم، لا سيما بعد أن اختلط الأمر من جهة الأوصاف والألقاب العلمية، فالمسمَّيات الأكاديمية مثلًا جعلت أمر السؤال مُستباحًا في استفتاء مَنْ ليس مؤهَّلًا لذلك.

قال ابن تيمية: «المنصب والولاية لا يجعل مَن ليس عالمًا مجتهدًا = عالمًا مجتهدًا»[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٩٦).

- **كيف يسأل؟** وهذا يتعلق بصيغة السؤال، ووضوحه، والحرص على صياغته صياغةً تجلِّي فهمه فهمًا يعين المفتي على الجواب السديد.

فالجدير بالمسلم الحريص على أمر دينه، ومعرفة الحق في المسائل الشرعية أن ينتبه لهذه الضوابط، حتى يكون سؤاله سؤالًا شرعيًّا، يتعبد لله - تبارك وتعالى - بمقتضاه(١).

الثالثة: قوله: «**وهو يسير على من يسَّره الله عليه**» فلا تيسير إلا بتيسير الله - تبارك وتعالى -؛ ولهذا إذا كمُلت استعانة العبد بربه سَهُلت عليه المصاعب، وهانت المتاعب، فالعبرة بصدق الاعتماد، وتحقيق التوكل، وتجريد القلب من الالتفات، والبراءة من الحول والقوة إلا به - تبارك وتعالى -؛ ومدار الأمر كله على ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]، وقد أوصى النبيُّ ﷺ ابن عباس ﵄ بقوله: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»(٢).

الرابعة: قوله: «**وتلْقَى اللَّهَ لَا تُشْرِكُ به شيئًا**» وهذا هو التوحيد الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، ولا نجاة للعبد في الدنيا والآخرة إلا به.

---

(١) ينظر في أدب السؤال: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٧٣-٣٨٧)، الموافقات (٥/ ٣٦٩-٣٩٢)، شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (ص٢٣٨-٢٤٢)، كتيب منهج السلف في السؤال عن العلم للشيخ أبي غدة، النبي الكريم ﷺ معلِّمًا للدكتور فضل إلهي، شرح رسالة أدب الدارس والمدرس للشيخ عبد الله بن صالح الفوزان (ص١٨١-١٩٠).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٦٦٩)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، والطبراني (١٢٩٨٨)، والحاكم (٦٤٣٦-٤٦٣٧)، وغيرهم. وله طرق كثيرة عن ابن عباس، قال الترمذي: هذا حسن صحيح. وينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥٩-٤٦٠).

الخامسة: قوله: «**فأما رأس الأمر فالإسلام، مَنْ أسلم سَلِمَ**»، فهذا هو الأصل، وهما الشهادتان؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فهذا رأسه الذي لو قُطِع فلا بقاء له، فلا قوام للإسلام إلا بهذا الرأس، وجسدٌ بلا رأس جثة هامدة، وشَبَحٌ بلا روح.

السادسة: قوله: «**وأما عموده فالصلاة**» عمود الفسطاط الذي لا يقوم إلا به الصلاة، الركن الثاني من أركان الإسلام، وأعظم الفرائض بعد الشهادتين، وهي الفارقة بين الشرك والإسلام؛ كما قال ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك تَرْكُ الصلاة**»(١)، وقوله ﷺ في حديث بريدة: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(٢)، وفي حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لمَّا ذَكَرَ الصلاة قال: «**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يُحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاةً، وحُشر يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبيِّ بن خلَف**»(٣).

قال ابن القيِّم: «أخبر أن الصلاة من الإسلام بمنزلة العمود الذي تقوم عليه الخيمة، فكما تسقط الخيمة بسقوط عمودها، فهكذا يذهب الإسلام

---

(١) أخرجه: مسلم (٨٢).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٢٢٩٣٧)، وابن حبان (١٤٥٤)، والحاكم (١١)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ينظر: المحرر لابن عبد الهادي (ص٨٧).

(٣) أخرجه: أحمد (٦٥٧٦)، والدارمي (٢٧٦٣)، وابن حبان (١٤٦٧)، والطبراني في الأوسط (١٧٦٧)، وإسناده جيد؛ كما قال ابن عبد الهادي والذهبي. ينظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٢/ ٦١٤)، التنقيح للذهبي (١/ ٣٠٠).

بذهاب الصلاة»[١].

فالواجب المتحتم على العبد أن يحفظ صلاته ويحافظ عليها، وليس الأمر مجرد فعل الصلاة، وإنما إقامتها، وبقدر ما يُقيم العبد من صلاته تقوم حياته الدنيوية والأخروية، وبقدر ما يُطفِّف ويُقَصِّر يكون النقصُ عليه، ويدخلُ البلاء والشر إليه؛ ولذا لمَّا أخلَّ بعضُنا بهذا وقصَّر فيه لم تنهَهُ صلاته عن الفحشاء والمنكر، ولم تُصلِح حالَه، ولم تُغيِّر من أمره وشأنه شيئًا؛ لأنه إنما صلَّى فقط ولم يُقِمِ الصلاة، فحريٌّ بالعبد - فضلًا عن طالب العلم - أن يعتني بهذا أشدَّ العناية، ولا يفتر عن مطالعة كتب أهل العلم المتعلقة بتعظيم قدر الصلاة وعلو شأنها، وجلالة منزلتها.

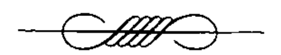
السابعة: قوله: «**وأما ذروة سنامه فالجهاد في سبيل الله**» وذروة السنام أرفعه وأعلاه، فالذي يُعْلي منار الإسلام، ويرفع من شأنه، ويُعزُّ أمره: الجهاد في سبيل الله، وهو الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، وقد ذهب بعضُ أهل العلم إلى أنه أفضل الأعمال بعد الفرائض؛ كما هو المشهور في مذهب الإمام أحمد[٢].

الثامنة: اقتصر المؤلف على هذا الجزء من الحديث؛ لأنه اشتمل على الإيمان الظاهر والباطن، فهو اشتمل على الشهادتين، وأن يلقى العبد ربه لا يشرك به شيئًا، وعلى الصلاة، والزكاة، والجهاد، فهو متعلق بالاعتقاد، والأقوال، والأفعال، والأموال، وهذا يدل على قاعدة أهل السنة والجماعة: «**أن الإيمان اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل**

(١) كتاب الصلاة (ص٧٢-٧٣)، وينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٦).

(٢) ينظر: المغني (١٣/ ١٠)، منهاج السنة (٦/ ٧٥)، فتح الباري لابن رجب (٤/ ٢١٠)، جامع العلوم والحكم (٢/ ١٤٦).

بالأركان» فكل ذلك من مسمَّى الإيمان، فهو إذا أُطلق يدل على العقيدة الباطنة، والشريعة الظاهرة.



٣- حدثنا أبو الأحوص، عن منصور، عن رِبْعيٍّ، عن رجل من بني أسد، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعٌ لن يجد رجلٌ طعمَ الإيمانِ حتى يؤمن بهن: لا إله إلا الله وحده، وأني رسول الله بعثني بالحق، وبأنه ميت ثم مبعوث من بعد الموت، ويؤمن بالقدر كُلِّه»(١).

الفوائد:

الأولى: هذا الأثر يتعلق بالاعتقاد الباطن وهو من مسمَّى الإيمان، بل أساسه وقاعدته، وتضمن بعض أركان الإيمان.

الثانية: قوله: «**أربع لن يجد رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بهن**» هذا لا يقتضي الحصر، فطعم الإيمان وحلاوته توجد في غير هذه الخصال، كما سيأتي في عدة أحاديث.

الثالثة: قوله: «**طعم الإيمان**» دليل على أن الإيمان له طعمٌ، وذوقٌ،

(١) أخرجه: الترمذي (٢١٤٥)، وابن ماجه (٨١)، وأحمد (٧٥٨)، والطيالسي (١٠٨)، وعبد الله في السنة (٨٤٥-٨٤٦)، والبزار (٩٠٤)، والفريابي في القدر (١٩٤-١٩٦)، وأبو يعلى (٣٧٦)، وابن حبان (١٧٨)، والآجري (٣٨٨-٣٨٩)، والحاكم (٩٠-٩٢) من طريق منصور بن المعتمر، واختلف عليه فيه، فمرة رواه كما عند المصنف (عن ربعي، عن رجل من بني أسد، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وأخرى رواه (عن ربعي، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بدون ذكر الواسطة بينهما، ورجَّح هذا الترمذي والحاكم، بينما رجَّح الدارقطني الوجه الأول، ويحتمل أن ربعيًّا سمعه مرة مباشرة، ومرة بواسطه؛ كما قال: الضياء المقدسي، وورد عند عبد الرزاق (٢٠٠٨١)، والطبراني في الكبير (٨٧٨٨) بنحوه من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ينظر: علل الدارقطني (٣/١٩٦)، الأحاديث المختارة للضياء (٢/٦٨).

وحلاوةٌ؛ وفي «الصحيحين» من حديث أنس - رضي الله تعالى عنه - أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوةَ الإيمان...**»(١) الحديث، ومتى ما كمُلت هذه الحلاوة والطَعْمُ في نفس المؤمن صَلُحَ قلبه، واطمأنت نفسه، وانبعثت جوارحه في طاعة الله - تبارك وتعالى - بلا تعب ولا مشقة، وبقدر هذه الحلاوة يكون عنده من السرور والأُنْس والسعادة في عمل الجوارح، والعكس بالعكس، فبقدر ما يكون عنده من النقص تكون المعاناة والتعب في العبادة؛ ولهذا ينبغي للعبد أن يجاهد نفسه في الصدق مع الله - تبارك وتعالى - ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: الآية ٦٩]، ومتى ما صدق في المجاهدة حصلت له اللذة، ووجد من التعب والمشقة في فوت العبادة مثل ما يجده العاطل المقصِّر في فعلها، وهذا فضل من الله يؤتيه مَنْ يشاء.

الرابعة: قوله: «**حتى يؤمن بهن: لا إله إلا الله وحده، وأني رسول الله بعثني بالحق**» وهاتان الشهادتان، اللتان يدخل بهما العبد في دين الله، ويعبِّر بلفظهما عما قبله من اليقين والتصديق والطمأنينة.

الخامسة: قوله: «**وبأنه ميت ثم مبعوث من بعد الموت**» وهذا داخلٌ في الإيمان باليوم الآخر، الذي هو ركنٌ من أركان الإيمان الستة، فيؤمن بذلك إجمالًا في الإجمال، وتفصيلًا في التفصيل، ومنه اليقين بموت كل نفس؛ كما قال تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٥]، وقال لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: الآية ٣٠]، ويؤمن أيضًا أنه مبعوث بعد الموت، فالموت ليس الغاية، وإنما مرحلة يزور بها العبد

---

(١) أخرجه: البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).

المقابر؛ لينتقل منها إلى الدار الآخرة، ويتحول بها من دار الفناء إلى دار البقاء.

السادسة: قوله: «**ويؤمن بالقدر كلِّه**» وهذا الركن السادس من أركان الإيمان، فيؤمن بالقدر خيره وشره، وحلوه ومُرِّه، يؤمن بأنه من عند الله؛ لينفي عن نفسه البَطَرَ والأَشَرَ إن كان القدر خيرًا، أو ينفي الجزع والتسخط إن كان القدر شرًّا، والقدر يكون شرًّا باعتبار المقضي لا باعتبار القضاء، فقضاء الله - تبارك وتعالى - كله خير، فالذي قدَّره عليك هو ربك ومالكك وخالقك، يفعل ما شاء ويحكم ما يريد، وقدَرُه نافذٌ، وأمرُه ماضٍ، سواء سرَّك أو ساءك، وسواء أضحكك أو أبكاك، فالعباد جميعًا يتقلبون في القضاء بين نعمة توجب الشكر، أو مصيبة توجب الصبر، وهذا من كمال الإيمان بالقضاء والقدر، وأعظم ما يُسلِّي به العبد نفسه - لا سيما فيما يقع عليه من المصائب والرزايا - أنَّ الله - تبارك وتعالى - قدَّر مقادير الخلائق قبل أن تُخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهو سبحانه فيما قَضَى ويقضي وما سيقضي أعلمُ وأحكمُ وأرحمُ، فلا ينفك قضاؤه عن هذه البتة، وكلما ترقَّى العبد في الإيمان - لا سيما حال المصائب والمقادير التي تسوؤه - وُفِّق لبلوغ الكمال والغاية، وهو أن يشكر الله على المصيبة التي حصلت له؛ إذ هذه أعلى المقامات، فالعبد له في المصيبة أربعة أحوال: الصبر، والسخط، والرضا، والشكر، فالصبر واجب بالإجماع، والسخط: محرم بالإجماع، والرضا: مختلف في وجوبه، والراجح عدم الوجوب، وأما الشكر: فليس بواجب بالاتفاق(١)، فالكُمَّل من الخلق هم

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٧)، طريق الهجرتين (١/ ٤٧٦-٤٧٨)، عدة الصابرين (ص١٢٠)، الفوائد (ص١٦٣)، المدارج (٢/ ٤٧٦).

الذين بلغوا هذه الغاية وتلك المنزلة، فشكروا الله على ما ساءهم من الأقدار، وما نزل بهم من المصائب.

ومُتعلَّق الشكر على المصيبة من ثلاثة وجوه، وردت في قول شُرَيح القاضي: «ما أصيب عبد بمصيبة إلا كان لله عليه فيها ثلاث نِعَم: ألا تكون كانت في دينه، وأن لا تكون أعظم مما كانت، وأنها كائنة فقد كانت»[١]، ولا شك أن واحدة منها تستحق الشكر، فكيف بها مجتمعة!



(١) ينظر: الشكر لابن أبي الدنيا (٣/ ٢٢٧)، تاريخ دمشق (٢٣/ ٤١-٤٢)، عدة الصابرين (ص٢٣٣-٢٣٤).

٤- حدثنا ابن فُضَيْل، عن عطاء بن السائب، عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: السلام عليك يا غلام بني عبد المطلب، فقال: «وعليك» قال: إني رجل من أخوالك من بني سعد بن بكر، وأنا رسول قومي إليك ووافدهم، وأنا سائلك فمشيِّد مسألتي إياك، ومناشدك فمشيدة[(١)] مناشدتي إياك، قال: «خُذْ عليك يا أخا بني سعد[(٢)]» قال: مَنْ خلقك؟ ومَنْ هو خالق مَنْ قبلك؟ ومَنْ هو خالق مَنْ بعدك؟ قال: «الله» قال: فنشدتك بالله، أهو أرسلك؟ قال: «نعم» قال: من خلق السماوات السبع، والأرضين السبع، وأجرى بينهما الرزق؟ قال: «الله»، قال: فأنشدتك بالله، أهو أرسلك؟ قال: «نعم»، فإنا وجدنا في كتابك، وأمرتنا رسلُك أن نصلي في اليوم والليلة خمس صلوات لمواقيتها، فنشدتك بالله، أهو أمرك؟ قال: «نعم» قال: فإنا وجدنا في كتابك، وأمرتنا رسلُك أن نأخذ من حواشي أموالنا[(٣)]، فنردَّه على فقرائنا، فنشدتك بالله، هو أمرك؟ قال: «نعم»، قال: ثم

---

(١) هكذا في المخطوط (فمشيِّد)، (فمشيدة)، وهو من (نَشَدَ)، ومعناه: الطلب والمسألة، ورفع الصوت بالشيء، وفي المصنف ومصادر التخريج الأخرى: (فمشدِّد)، (فمشتدة)، ولعله أقرب. ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٣٠)، مشارق الأنوار (٢/ ٢٨)، النهاية (٥/ ٥٣).

(٢) أي: تكلَّم واسأل عما تريد، ولم أقف على هذا اللفظ عند غير المصنف، ووقع عند الدارمي ح (٦٧٧) بلفظ: «**خذ عنك**»، وعند الطبراني في الأوسط ح (٢٧٠٧) بلفظ: «**سل يا أخا بني سعد**».

(٣) **حواشي المال**: ما ليس من خياره. ينظر: كشف المشكل لابن الجوزي (١/ ١١٥).

قال: أما الخامسة فلستُ بسائلك عنها، ولا أَرَبَ لي فيها[١]، قال: ثم قال: أَمَا والذي بعثك بالحق، لأعملنَّ بها ومَنْ أطاعني من قومي، ثم رجع، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نَوَاجِذُه، وقال: «والذي نفسي بيده؛ لئن صدق ليدخلنَّ الجنة»[٢].

٥- حدثنا شَبَابَةُ بن سوَّار، نا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: كُنَّا قد نُهِينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، وكان يعجبنا أنْ يجيء الرجل من أهل البادية العاقلُ فيسأله ونحن نسمع، فجاءه رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد، أتى رسولُك فزعم أنك تزعم أنَّ الله أرسلك؟ قال: «صدق» قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله» قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله» قال: فمن نصب هذه الجبال؟ قال: «الله» قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض ونصب الجبال؛ آلله أرسلك؟ قال: «نعم» قال: زعم رسولك أنَّ علينا خمسَ صلوات في يومنا[٣]؟ قال: «صدق»

---

(١) أي: لا حاجة لي فيها، والأَرَب بفتح الهمزة والراء. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ٩٧).

(٢) أخرجه: الدارمي (٦٧٧)، وابن خزيمة (٢٣٨٣)، والطبراني(٨١٥١)، والبيهقي (١٣٢٤٩) من طريق ابن فضيل به، وفي إسناده عطاء وقد اختلط، وسماع ابن فضيل منه ضعيف؛ قال أبو حاتم كما في الجرح والتعديل (٦/ ٣٣٣): «وما روى عنه ابن فضيل ففيه غلط واضطراب، رفع أشياء كان يرويها عن التابعين فرفعها الى الصحابة»، وكذا ضعَّف روايته عنه يعقوب بن سفيان الفسوي، لكنه قد توبع، والحديث له شواهد في الصحيح، ومنها الحديث الذي بعده. ينظر: المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٦٩)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٠٧).

(٣) في المصنف: «**يومنا وليلتنا**».

قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب الجبال؛ آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»[(١)] قال: زعم رسولك أنَّ علينا صوم شهر في سنتنا؟ قال: «صدق» قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب الجبال؛ آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قال: زعم رسولك أنَّ علينا الحج من استطاع إليه سبيلًا؟ قال: «صدق» قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب الجبال؛ آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قال[(٢)]: فقال: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليه شيئًا، ولا أنقص منه شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ صدق دخل الجنة»[(٣)].

الفوائد:

الأولى: ضمام بن ثعلبة هو: السَّعْدي، من بني سعد بن بكر بن هوازن، أظآر[(٤)] النبي ﷺ وأخواله؛ وكان قدومه على النبي ﷺ في سنة

---

(١) في المصنف: (قال: فزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا، قال: «**صدق**» قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب الجبال؛ آلله أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**»).

(٢) في المصنف: (ثم ولَّى، وقال: والذي بعثك...).

(٣) أخرجه: البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢)، وأبو داود (٤٨٦)، والترمذي (٦١٩)، والنسائي (٢١٠٩)، وابن ماجه (١٤٠٢)، وأحمد (١٢٤٥٧) من طريق ثابت، وشريك ابن أبي نمر، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أي: مرضعوه، جمع ظِئْر، وهي: العاطفة على ولد غيرها المرضعة له، ويجمع أيضًا على: ظؤار، وأظؤر، فالنبي ﷺ استرضع ونشأ في بادية قبيلة بني سعد بن بكر بن هوازن العدنانية، وأمه حليمة بنت أبي ذؤيب السَّعْدية، وقد مكث عندها أربع سنين، فرأت في نفسها وبيتها وقومها السَّعْدَ والخيرَ والخِصْبَ ببركة رضاعه ﷺ - بنفسي وأبي وأمي-. ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٤٨-١٥٤)، السيرة النبوية للذهبي (١/ ٥٠)، البداية والنهاية (٣/ ٤٠٨-٤١٩)، القاموس المحيط (ص٤٣٢)، الإصابة (١٣/ ٢٨٩ - ٢٩٠).

تسع على القول الراجح(١).

الثانية: قوله: **(يا غلام بني عبد المطلب)** هذا الخطاب فيه جفاء مع النبي ﷺ، لكن من عاش في البادية، وبَعُدَ عن العلم يحصل منه مثل ذلك؛ ولذا ينبغي للعالِم أنْ يحتمل هذا منهم، وأن يصبر عليه في سبيل تعليمهم ورفع الجهل عنهم.

الثالثة: قوله: **(أما الخامسة فلستُ بسائلك عنها، ولا أَرَبَ لي فيها)** قال ابن عبد البر: «يعني: الحج بعد أنْ جعلها خامسة، ففيه دليل على أن الإسلام ودينه على خمسة أعمدة عنده، فمنها الحج، والمعنى في قوله ذلك: أنَّ العرب كانت تعرف الحج، وتحج كل عام في الأغلب، فلم ير في ذلك ما يحتاج فيه إلى المناشدة، وكان ذلك مما ترغب فيه العرب لأسواقها وتبَرُّرِهَا وتَحَنُّفِهَا، فلم يَحْتَجْ في الحج إلى ما احتاج في غيره من السؤال والمناشدة، والله أعلم»(٢).

وفسَّرها ابن رجب بأن مقصوده المنهيات والكبائر، وأنه سوف يجتنبها؛ حملًا لذلك على ما ورد في بعض الروايات(٣).

الرابعة: قوله في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(كُنَّا قد نُهِينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء)**، وفي لفظ: «نهينا في القرآن» لعل هذا إشارة إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ

---

(١) ينظر: الإصابة (٥/ ٣٥٠).

(٢) التمهيد (١٦/ ١٧٢).

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٥).

حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ [المائدة: الآية ١٠١]، والمراد: أن الصحابة ﷺ نُهوا عن السؤال عما سُكت عنه، وعن الشيء الذي لم ينزل به حكمٌ، وأما أنْ يسألوا عَمَّا لا يعرفون من أحكام دينهم، فلم يُنهوا عن ذلك، بل أمروا به كغيرهم من الأمة، ولا تأتي الشريعة بالنهي عنه؛ ولهذا كانت أسئلة الصحابة ﷺ للنبي ﷺ فيما أشكل من أمور دينهم كثيرة.

الخامسة: قوله: **(وكان يعجبنا أنْ يجيء الرجل من أهل البادية العاقلُ، فيسأله ونحن نسمع)** وهذا من جهة عدم علم الأعراب بهذا النهي، وأيضًا كون الأعرابي ساكن البادية فيه من الجرأة ما ليس في غيره، فيتوسع في مسألته، لكن الذي يُستفاد من مسألته منهم هو العاقل اللبيب، الذي يسأل عما ينفعه وينفع غيره.

السادسة: قوله: **(أتانا رسولك فزعم)** هذا فيه دليل على قبول خبر الواحد.

السابعة: سؤال هذا الوافد عن توحيد الربوبية أولًا من أجل التقرير، وليس على سبيل الإنكار؛ ولهذا استدل بتوحيد الربوبية على تصديق النبي ﷺ بما أُمر به في هذه الشرائع والتعبد بها، وهذا من توحيد الألوهية.

الثامنة: قوله: **(لا أزيد على هذا ولا أنقص منه)** أما الزيادة، فقالوا: إما باعتبار أنه لا يزيد على ما افتُرض عليه، فيكون مقتصدًا، وإما أنه لا يزيد في هذه العبادات غير ما شُرع فيها، وإما أنَّ هذا بحسب ما بلغه من الفرائض، فلو زاد غير ذلك مما هو تطوع، فهذا خير إلى خير، وأما قوله: **(لا أنقص منه)** أي أنه يأتي بهذه العبادات على وجه الكمال

والاتباع.

التاسعة: قوله: (**إن صدق ليدخلن الجنة**) هذه بشارة عظيمة لمن صدق في عبادة ربه - تبارك وتعالى - وقام بحق هذه الفرائض حق القيام.

العاشرة: مناسبة الحديثين للكتاب أن الإيمان شريعة وعقيدة، ظاهر وباطن، فتوحيد الربوبية في الاعتقاد بأن الله - تبارك وتعالى - هو الخالق المدبِّر الذي يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، فهذا توحيد واعتقاد باطن، والعمل بالشرائع من الصلاة والزكاة والصيام والحج هذا إيمان ظاهر، فهذا فيه دلالة على تمام الارتباط والعلاقة بين الظاهر والباطن في باب الإيمان.



٦- حدثنا زيد بن الحُبَاب، عن علي بن مَسْعَدة، نا قتادة، نا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»، ثم يشير بيده إلى صدره: «التقوى هاهنا، التقوى هاهنا»[١].

الفوائد:

الأولى: أن الإيمان باطن والإسلام ظاهر، في قوله: «**الإسلام علانية**» يعني: أعمال الإسلام ظاهرة، مثل: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، فهذا إسلام، والإيمان باطن من جهة أنه اعتقاد في القلب، وهذا الفرق بينهما إذا اجتمعا؛ كما في حديث جبريل المعروف، أما إذا افترقا فكل واحد منهما يدل على الآخر؛ كما في القاعدة المعروفة عند أهل العلم: «**أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا**»، فهما متلازمان، لكن لكل واحد منهما حقيقة، وليسا اسمين لمعنى واحد.

قال ابن تيمية: «فإذا قيل: إن الإسلام والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر؛ كالروح والبدن، فلا يوجد عندنا روح إلَّا

---

(١) أخرجه: أحمد (١٢٣٨١)، والبزار (٧٢٣٥)، وأبو يعلى (٢٩٢٣)، والعُقَيلي في الضعفاء (٤١٨٥)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ٨٧)، وابن عدي في الكامل (١٢٧١٩)، والخطيب في الموضح (٣٢٨) من طريق علي بن مسعدة الباهلي، عن قتادة، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وتفرد به ابن مسعدة، كما قال البزَّار، وهو مختلف فيه، فقد تكلم فيه: البخاري، وأبو داود، والنسائي، والعقيلي، وابن حبان، وابن عدي، ووثَّقه: الطيالسي، وابن معين، وأبو حاتم، وقال ابن حجر: «صدوق له أوهام» فمثله لا يقبل تفرده، لكن قوله: «التقوى هاهنا» ورد عند مسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة. ينظر: التاريخ الكبير (٦/ ٢٩٤)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٠٤)، تهذيب الكمال (٢١/ ١٢٩)، الميزان (٣/ ١٥٦)، التقريب (٤٧٩٨).

مع البدن، ولا يوجد بدن حيٌّ إلَّا مع الروح، وليس أحدهما الآخر، فالإيمان كالروح، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن، والإسلام كالبدن ولا يكون البدن حيًّا إلَّا مع الروح، بمعنى أنهما متلازمان، لا أنَّ مسمى أحدهما هو مسمى الآخر؛ وإسلام المنافقين كبدن الميت جسد بلا روح، فما من بدن حيٍّ إلَّا وفيه روح»(١).

الثانية: قوله: «**التقوى هاهنا التقوى هاهنا، يشير إلى صدره**» يعني: إلى القلب، فهذا دليل على أنه أساس الصلاح أو الفساد، ويدل لهذا صريحًا حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «**ألا وإن في الجسد مُضْغَة إذا صَلَحَتْ صَلَح الجسدُ كله، وإذا فَسَدَت فَسَد الجسد كله**»(٢)، فلا يعلم ما في قلبك، وما انطوى عليه من خير أو شر إلَّا الله - تبارك وتعالى-؛ ولذا ينبغي للعبد أن يعتني أتم العناية بصلاح قلبه والتفتيش عن باطنه، ومتى ما صلح القلب واتقى؛ صلحت الجوارح وتزكَّت، وهذا تلازم لازم، وارتباط وثيق؛ فالقلب بمنزلة المَلِك الآمر والجوارح جنود طائعة مُذْعنة.

الثالثة: أحوال التلازم والعلاقة بين الظاهر والباطن أوجبت تقسيم الخلق إلى ثلاثة أقسام لا رابع لها: (مسلم، وكافر، ومنافق)، فالمؤمن الذي صلح ظاهره وباطنه، والكافر الذي فسد ظاهره وباطنه، والمنافق الذي صلح ظاهره وفسد باطنه، وأما قسم رابع يزعم به صاحبُه صلاح

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٦٧)، وينظر: (٧/ ٦٣٦-٦٣٧).

(٢) أخرجه: البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

باطنه ولو فسد ظاهره فلا وجود له البتة؛ وإن قاله بعضهم[(١)]؛ بل لازم هذا القول موافقة المرجئة الذين أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان.

قال ابن تيمية: «متى ثبت الإيمان في القلب والتصديق بما أخبر به الرسول ﷺ وجب حصول مقتضى ذلك ضرورةً؛ فإنه ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلَّا أبداها الله على صفحات وجهه وفَلَتات لسانه، فإذا ثبت التصديق في القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه البتة، فلا تستقر معرفة تامة ومحبة صحيحة ولا يكون لها أثر في الظاهر. . .، فالظاهر والباطن متلازمان، لا يكون الظاهر مستقيمًا إلَّا مع استقامة الباطن، وإذا استقام الباطن، فلا بد أن يستقيم الظاهر»[(٢)].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإسلام علانية؛ والإيمان في القلب**»، وفي لفظ: «**الإيمان سر**»، فالإسلام أعمال الإيمان؛ والإيمان عقود الإسلام؛ فلا إيمان إلَّا بعمل، ولا عمل إلَّا بعقد. .، وَمَثَلُ الإيمان والإسلام أيضًا؛ كفسطاط قائم في الأرض، له

---

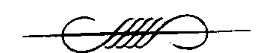
(١) من عجيب حماقات الصوفية أن طائفة منهم يتدينون بإظهار أقبح أعمالهم؛ ليسقطوا من أعين الناس، فهم عكس حال المنافقين في زعمهم، وقالوا: إنهم مع الناس في الظاهر، ومع الله في الباطن!! قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص٣٢٠): «وفي الصوفية قوم يُسمَّون الملامتية، اقتحموا الذنوب، وقالوا: مقصودنا أن نسقط من أعين الناس، فنسلم من الجاه، وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند اللَّه؛ لمخالفة الشرع. . .، وفعلهم هذا من أقبح الأشياء». وينظر: الاستقامة (١/ ٢٦٤)، مدارج السالكين (٤/ ٣٩-٤٠)، فرق معاصرة تنتسب للإسلام (ص٣/ ٨٧٥ - ٨٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٧٢)، وينظر: (٧/ ٦٤٤-٦٤٦)، (٢٨/ ١٧٦)، الاستقامة (٢/ ٣٠٧)، الإيمان الأوسط (ص٤٤٦-٤٤٩)، مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٦٢)، قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ص١١١-١١٩).

ظاهر وأطناب، وله عمود في باطنه، فالفسطاط مَثَلُ الإسلام، له أركان من أعمال العلانية والجوارح، وهي الأطناب التي تُمسك أرجاء الفسطاط، والعمود الذي في وسط الفسطاط مَثَلُه كالإيمان، لا قوام للفسطاط إلَّا به، فقد احتاج الفسطاط إليها؛ إذ لا قِوام له ولا قوة إلَّا بهما، كذلك الإسلام في أعمال الجوارح لا قِوام له إلَّا بالإيمان، والإيمان من أعمال القلوب لا نفع له إلَّا بالإسلام وهو صالح الأعمال»(١).

الرابعة: من اللوازم لاعتقاد أهل السنة في أن الإيمان قول وعمل ثلاثة أمور: أنه لا بد في الإيمان من العمل، وأن العبد يكفر بترك جنس العمل، وأنه يُحْرَم بذلك دخول الجنة(٢).

الخامسة: لم يثبت المدح إلَّا على إيمان معه عمل، لا على إيمان خالٍ عن عمل، كما أن النجاة وحصول الجنة في الآخرة لم تعلق إلَّا باسم الإيمان لا باسم الإسلام المطلق المجرد؛ كما قال ابن تيمية(٣).



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٣٤-٣٣٥)، وينظر: الإيمان الأوسط (ص٤٢٧-٤٢٨، ٤٤٤-٤٤٥).

(٢) ينظر: الشريعة (٢/ ٦١٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٨٤٨)، مجموع الفتاوى (٧/ ١٢٨، ١٤٨، ١٧١، ٢٠٩، ٥٥٦، ٦٢١)، الإيمان الأوسط (ص٤٢٧، ٤٤٧-٤٤٨، ٥٥٧، ٥٦٦)، قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٤٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٨١، ٢٦١، ٣٤٧).

٧- حدثنا مصعب بن المِقْدَاد، نا أبو هلال، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانةَ له»(١).

۞ الفوائد:

الأولى: هذا النفي إنما هو لكمال الإيمان الواجب، وليس لأصل الإيمان، وقاعدة النفي للحقائق في الشرع لا تكون إلَّا لما يَذهب بحقيقته كاملة، أو لما هو واجب فيه، وهذا من الثاني.

قال ابن تيمية: «الشارع لم ينف الإيمان، ولا الصلاة، ولا الصيام، ولا الطهارة، ولا نحو ذلك من المسميات الشرعية لانتفاء بعض مستحباتها؛ إذ لو كان كذلك لانتفى الإيمان عن جماهير المؤمنين، بل إنما نفاه لانتفاء الواجبات»(٢).

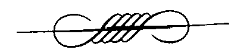
---

(١) أخرجه: أحمد (١٢٣٨٣)، والبزار (٧١٩٦)، وأبو يعلى (٢٨٦٣)، وابن حبان (١٩٤)، والطبراني في الأوسط (٢٦٢٧)، والبيهقي (١٢٨١٥) من طريق أبي هلال الراسبي، وفيه زيادة: **«ولا دين لمن لا عهد له»**، وأبو هلال مختلف فيه، ويخالَف في حديث قتادة كما قال الإمام أحمد، وقد تفرد بوصله عن قتادة، وصوَّب الدارقطني أنه عن الحسن مرسلًا، ومراسيل الحسن ضعيفة، وله عن أنس رضي الله عنه طرق أخرى ضعيفة، وفي الباب عن جملة من الصحابة رضي الله عنهم؛ كابن عباس، وأبي هريرة، وثوبان، وأبي أمامة، وابن عمر، وابن مسعود، وكلها لا تخلو من ضعف. ينظر: الضعفاء للعقيلي (١٦٣٨)، الجرح والتعديل (٧/ ٢٧٣)، الكامل (٩/ ٢٧٠)، علل الدارقطني (١٢/ ٣٠، ١٣٩)، تهذيب الكمال (٢٥/ ٢٩٢)، تهذيب التهذيب (٩/ ١٩٥)، التقريب (٥٩٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٦٨)، وينظر: (٧/ ١٤-١٥، ٣٧، ٥٢٤، ٦٤٧)، (١١/ ٦٥٣)، (٢٢/ ٥٣٠-٥٣١)، الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٧٥)، منهاج السنة (٥/ ٢٠٧-٢٠٩)، القواعد النورانية (ص٥٣)، الصلاة لابن القيم (ص١٤٢-١٤٤)، تفسير الفاتحة لابن رجب (ص٥٦-٥٧).

الثانية: هذا دليل على عظيم أمر الأمانة سواءٌ أمانة التكاليف؛ في علاقة العبد بربه - تبارك وتعالى - أو في الأمانة التي تكون بينك وبين الخلق؛ من الأمانات والعهود والعقود، فلا بد للعبد أن ينصح لنفسه في أداء الأمانة التي بينه وبين ربه، وأن ينصح للخلق في الأمانة التي بينه وبينهم، فإذا قام بحق ذلك كله دلَّ على كمال إيمانه، وبقدر ما ينتقص منها يكون نقص إيمانه.

الثالثة: أداء الأمانة يدل على كمال المراقبة لله - تبارك وتعالى - وشدة الخوف والوجل منه، وأنه سبحانه مُطَّلِع على سِرِّك ونجواك، وكل هذا من أعظم العبادات القلبية.



٨- حدثنا أبو أسامة، نا عوفٌ، عن عبد الله بن عمرو بن هند الجَمَلي قال: قال علي رضي الله عنه: «الإيمان يبدأ لُمظَةً[١] بيضاء في القلب، كلما ازداد الإيمان ازدادت بياضًا حتى يبيضَّ القلبُ كله، وإنَّ النفاق يبدأ لُمظَةً سوداء في القلب، فكلما ازداد النفاق ازدادت حتى يسودَّ القلب كله، والذي نفسي بيده لو شققتم عن قلب مؤمن وجدتموه أبيض القلب، ولو شققتم عن قلب منافق وجدتموه أسود القلب»[٢].

الفوائد:

الأولى: مبدأ الخير في العبد يكون قليلًا يسيرًا ثم يزداد، فالعبد كلما ترقَّى في درجات الكمال ومراتب الدِّين أثَّر في بياض قلبه، وكذلك الشر في العبد يكون يسيرًا؛ كالنفاق العملي، أو الذنوب والمعاصي، وكلما أمعن في ذلك وزاد منه وأوغل فيه كان له عظيم الأثر في سواد القلب وظلمته.

---

(١) **اللُّمْظَة**: بضم اللام، النُّكْتَة من البياض أو السواد. ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ٣٥٤)، مقاييس اللغة (٥/ ٢١١)، النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٧١)، تاج العروس (٢٠/ ٢٧٨)، ووقع في بعض طبعات المصنف (نقطة) في الموضعين.

(٢) أخرجه: ابن المبارك في الزهد (١٤٤٠)، والخلال في السنة (١٦٠١)، وابن بطة (١١١٦)، واللالكائي (١٧٠١)، والبيهقي في الشعب (٣٧) من طرق عن عبد الله الجَمَلي، عن علي رضي الله عنه، وقد حكى الإمام أحمد عن عوف بن أبي جميلة الراوي عن الجملي: أنه لم يسمع من علي رضي الله عنه، وكذا قال ابن عبد البر، مع أنه قد صرَّح بسماعه منه في بعض الآثار، فالظاهر أن التصريح وهم؛ ولذا قال ابن حجر: لم يثبت سماعه من علي رضي الله عنه. ينظر: العلل لأحمد - رواية عبد الله - (٢١٤)، التمهيد (٢/ ٨٩)، تهذيب الكمال (١٥/ ٣٧١)، جامع التحصيل (ص٢١٥)، التقريب (٣٥٠٦).

الثانية: الأعمال الصالحة الباطنة؛ من كمال التصديق، وقوة اليقين، وتحقيق التوحيد، وصدق التوكل، أو الأعمال الظاهرة؛ من الصلاة، والصوم، والتلاوة، والذِّكر، ونحو ذلك مما يزيد الإيمان في القلب، ويَقْوَى به نورُه وضياؤُه، والعكس بالعكس، فكلما ازداد من الذنوب والمعاصي؛ أظلم القلب، واستحكم سواده.

الثالثة: قال ابن تيمية: النفاق في الشرع إظهار الدِّين وإبطان خلافه، وهذا المعنى الشرعي أخص من مسمى النفاق في اللغة، فإنه في اللغة أعم من إظهار الدين، ثم إبطان ما يخالف الدين إما أن يكون كفرًا أو فسقًا، فإذا أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب؛ فهذا هو النفاق الأكبر، الذي أوعد صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار، وإن أظهر أنه صادق أو موف أو أمين وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك؛ فهذا هو النفاق الأصغر، الذي يكون صاحبه فاسقًا(١).

الرابعة: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «وفي هذا الحديث حجة على من أنكر أن يكون الإيمان يزيد وينقص، ألا تراه يقول: «كلما ازداد الإيمان ازدادت اللُّمظة»، مع أحاديث في هذا كثيرةٍ، وعدة آيات من القرآن»(٢).

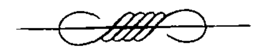
الخامسة: قوله: **(والذي نفسي بيده لو شققتم عن قلب مؤمن...)**، هذا من باب التحقيق والتصديق لحال العبد في إيمانه أو نفاقه، وإلَّا فلا يعلم ذلك إلَّا الله؛ كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ١٤٣) بتصرف يسير، وينظر: (٧/ ٦٢٠، ٥٢٣، ٦٣٩).

(٢) غريب الحديث (٤/ ٣٥٤)، وينظر: قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٧٢).

ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: الآية ١٩]، وليس لنا الحكم على أحدٍ من الخلق إلَّا بما أظهر لنا من حاله، وأما سريرته فإلى ربه ومولاه، وعالِم سِرِّه ونجواه.



٩- حدثنا وكيع، نا الأعمش، عن سليمان بن مَيْسَرة، عن طارق بن شهاب قال: قال عبد الله: «إن الرجل ليذنب الذنب فيُنْكَتُ في قلبه نُكْتَة سوداء، ثم يذنب الذنب فتُنْكَتُ أخرى، حتى يصير لونُ قلبه لونَ الشاة الرَّبْداء[(١)]»[(٢)].

الفوائد:

الأولى: يشهد لمعنى هذا الأثر حديثُ حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا: **«إنَّ الفتن تُعرض على القلوب، عرض الحصير عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكت فيه نُكتة بيضاء، حتى يصير القلبُ أبيضَ مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، وأسود مربَادًّا؛ كالكُوز مُجَخِّيًا[(٣)]، لا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا، إلَّا ما أُشرب من هواه»[(٤)].**

---

(١) **الشاة الربداء:** هي التي سوادها غير خالص، معه غُبرة أثَّرت عليه، وقيل: الربداء هي السوداء المُنقَّطة بحمرةٍ أو بياض. ينظر: النهاية (٢/ ١٨٣)، لسان العرب (٣/ ١٧٠)، تاج العروس (٨/ ٨٢).

(٢) قال ابن الجوزي في شرح المشكل (١/ ٣٩٦): «المربَاد والمربد: الذي في لونه ربدة: وهي لون بين السواد والغبرة كلون النعامة؛ ولهذا قيل للنعام: ربد، وقوله: كالكوز مجخيًا، المجخي: المائل، ويقال منه: جخى الليل: إذا مال ليذهب. والمعنى: مائلًا عن الاستقامة منكوسًا».

(٣) أخرجه: مسلم (١٤٤).

(٤) أخرجه: الخلال في السنة (١٥٩٩)، وابن بطة (١١٢٣)، والبيهقي في الشعب (٦٨٠٩) من طريق الأعمش بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإسناده صحيح، وروي بنفس الإسناد عند: أبي داود في الزهد (٢٧١)، وأبي نعيم في الحلية (١/ ٢٧٣)، والبيهقي في الشعب (٦٨١٠) عن حذيفة رضي الله عنه، ولمعناه شواهد مرفوعة.

وورد أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقِلَ قلبُه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذلك الرَّيْنُ الذي ذكر الله**»، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين: الآية ١٤][(١)].

فهذه النصوص تدل على أن الإيمان يبدأ شيئًا فشيئًا، ثم يزداد بحسب تكميل العبد وتحقيقه في التصديق واليقين، والتوحيد الخالص، والأعمال الصالحة، وإذا نقص من ذلك سواءٌ في الاعتقاد القلبي، أو العمل البدني، فإنَّ إيمانه ينقص.

الثانية: هذه النصوص تدل لأصل عظيم جليل، وهو زيادة الإيمان ونقصانه، وقد دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ومُتَعلَّق الزيادة والنقصان الاعتقاد الباطن والعمل الظاهر على حدٍّ سواء، وليس بالأعمال الظاهرة فقط؛ كما يقوله من يقوله[(٢)]، فاعتقاد القلب وعمله يزيد وينقص، والناس متفاوتون فيه جدًّا، بل الرجل الواحد يشعر بتفاوت ذلك عنده بحسب ما قام به من عمل طاعة أو اقتراف معصية، كما أن هذا التفاوت ظاهر في الأعمال الظاهرة من الأقوال والأفعال، وبها يزيد الإيمان وينقص، والقول بضدِّ ذلك، وأن الناس غير متفاوتين في الإيمان

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، وأحمد (٧٩٥٢)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) مما خالف فيه ابن حزم أهل السنة أن اعتقاد القلب وتصديقه غير متفاوت، ولا تدخله الزيادة ولا النقص، فهو يخص الزيادة والنقص بالأعمال. ينظر: الفِصَل (٣/ ١٩٤، ٣١١)، مسائل الإيمان عند ابن حزم للدكتور عبد الله بن عوض العجمي.

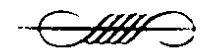
من أفحش الخطأ[١].

الثالثة: القول بزيادة الإيمان ونقصه راجع إلى قاعدة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، قال فيها: «أصل أهل السنة أن الإيمان يتفاضل من وجهين: **من جهة أمر الرب، ومن جهة فعل العبد، أما الأول** فإنه ليس الإيمان الذي أمر به شخص من المؤمنين هو الإيمان الذي أمر به كل شخص، فإن المسلمين في أول الأمر كانوا مأمورين بمقدار من الإيمان ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك. .، وأيضًا فمن وجب عليه الحج والزكاة، أو الجهاد يجب عليه من الإيمان أنْ يعلم ما أمر به، ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره إلَّا مجملًا، وهذا يجب عليه فيه الإيمان المفصَّل. .، فالإيمان الذي أوجبه الله على عباده يتنوع ويتفاضل، ويتباينون فيه تباينًا عظيمًا، فيجب على الملائكة من الإيمان ما لا يجب على البشر، ويجب على الأنبياء من الإيمان ما لا يجب على غيرهم، ويجب على العلماء ما لا يجب على غيرهم، ويجب على الأمراء ما لا يجب على غيرهم، وليس المراد أنه يجب عليهم من العمل فقط؛ بل ومن التصديق والإقرار. .، **والنوع الثاني**: هو تفاضل الناس في الإتيان به مع استوائهم في الواجب، وهذا هو الذي يُظَنُّ أنه محل النزاع وكلاهما محل النزاع، وهذا أيضًا يتفاضلون فيه، فليس إيمان السارق والزاني والشارب كإيمان غيرهم، ولا إيمان من أدَّى الواجبات كإيمان من أخلَّ ببعضها، كما أنه ليس دين هذا وبِرُّه وتقواه مثل دين هذا وبِرِّه

(١) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٣٨-٢٤٣)، شرح السنة للبغوي (١/ ٤٠)، مجموع الفتاوى (٧/ ٥٦٢-٥٦٥)، الإيمان الأوسط (ص٤٤٧)، فتح الباري (١/ ٤٦-٤٧).

وتقواه؛ بل هذا أفضل دينًا وبرًّا وتقوى، فهو كذلك أفضل إيمانًا»[١].

الرابعة: في هذا دليل على أن القلب قد تجتمع فيه خصال الإيمان والنفاق، فيكون فيه مادة إيمان ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما؛ كما سيأتي في أثرٍ لحذيفة رضي الله عنه.



(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٥١-٥٥)، وينظر أيضًا: (٧/ ٢٣٢، ٥٦٤).

١٠- حدثنا وكيع، عن سفيان قال: قال هشام: عن أبيه قال: «ما نقصت أمانة عبد قط إلَّا نقص إيمانه»[١].

الفوائد:

الأولى: أن الإيمان يزيد وينقص.

الثانية: أن الأعمال من مسمَّى الإيمان، وهي من جملة حقيقته عند أهل السنة، وأن الإيمان إذا نقص في القلب فسبب ذلك ما ران عليه من الذنوب والمعاصي، فالأعمال لها أثرٌ عظيم إما في زيادة الإيمان وإما في نقصانه.

الثالثة: التلازم بين الأعمال ومسمَّى الإيمان، وهذه كما أنها حقيقة شرعية فهي ضرورة عقلية؛ إذ لا يتصور وجود إيمان محقق في القلب ولا تنبعث به أعمال الجوارح، فلا بد أن يتوافق الظاهر مع الباطن إلا فيما يتعلق بالمنافق؛ لأنَّ أعماله صورية لا حقيقية، يُصانِعُ بها الخلق وقد نسي الخالق - نسأل الله العافية والسلامة -؛ ولهذا كانت حاله أشدَّ وأنكى من حال الكافر.



(١) أخرجه: عبد الله في السنة (٧٩٥)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٤٩٧)، والخلال في السنة (١٠٣٣)، والآجري (٢٤٨)، وابن بطة (١١٤٧)، واللالكائي (١٧٢٩)، والبيهقي في الشعب (٥٧)، وإسناده صحيح.

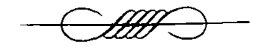
١١- حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عُبَيْد بن عُمَيْر قال: «الإيمانُ هَيُوبٌ»(١).

◈ هذه العبارة اختلف في معناها على قولين:

الأول: أنَّ المؤمن يَهَاب الذنب، فالمؤمن كلما صَدَق في إيمانه هاب الذنب وخَشِيَه واتَّقاه، فتكون فعولٌ بمعنى فاعل.

الثاني: أن المؤمن هيوبٌ بمعني: مَهِيبٌ، له من الوقار والهيبة والإجلال بحسب قوة إيمانه، فتكون فعول بمعنى: مفعول(٢).

وقد رجَّحَ القاسم بن سلَّام المعنى الأول، وأنَّ اللفظة وصفٌ للإيمان، وتعقَّبه ابن قتيبة ورجَّح الثاني(٣).



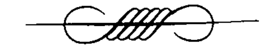
(١) أخرجه: مسدد (١٦٩ إتحاف)، وابن بطة في الإبانة (٨٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٢) من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار به.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٦/ ٢٤٤)، الفائق (٤/ ١٢٣-١٢٤)، النهاية (٥/ ٢٨٥)، لسان العرب (١/ ٧٨٩)، تاج العروس (٤/ ٤٠٩).

(٣) ينظر: غريب الحديث (٥/ ٣٩١)، إصلاح غلط أبي عبيد (ص١٣٦).

١٢- حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن نافع بن جبير: «أن رسول الله ﷺ بعث بِشْرَ بنَ سُحَيْم الغِفَاري يوم النحر يُنَادي في الناس بمنى: أنه لا يدخل الجنة إلَّا نفسٌ مؤمنة»[1].

معنى هذا الحديث المرسل تواترت به نصوص الوحيين، فلا يدخل الجنة إلَّا نفس مؤمنة، والمقصود أن يكون عنده أصل الإيمان، وبمقدار كماله يمنعه من دخول النار، فعدم مطلق الإيمان سبب لدخول النار، ونقصه يمنع الخلود فيها لمن شاء الله دخوله على شيء من معاصيه، وكماله يمنع دخولها مطلقًا.



(١) أخرجه: النسائي في الكبرى (٢٩٠٧)، وابن ماجه (١٧٢٠)، وأحمد (١٥٤٢٩)، والطيالسي (١٣٩٥)، والدارمي (١٨٠٧)، وابن خزيمة (٢٩٦٠)، والطبراني (١١٩١)، والبيهقي (٨٥٤٠) من طريق عمرو بن دينار، وحبيب بن أبي ثابت، عن نافع ابن جبير به، وهو مرسل. وفيه (أن النبي ﷺ أمره أن ينادي أيام التشريق؛ أنها أيام أكل وشرب...)، وروي من وجه آخر موصولًا (نافع، عن بشر بن سُحَيم)، وله وجه ثالث (بشر بن سحيم، عن علي رضي الله عنه)، وصوَّب الدارقطني أنه من حديث بشر بن سُحَيم، والحديث ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، منها: حديث أبي هريرة وابن مسعود في الصحيحين، وحديث عمر وكعب بن مالك عند مسلم. ينظر: علل الدارقطني (٣/ ١٣٣)، تحفة الأشراف (٢/ ٩٧).

١٣- حدثنا وكيع، نا هشام بن عروة، عن أبيه قال: «لا يغرنكم صلاة امرئ ولا صيامه، مَنْ شاء صام، ومَنْ شاء صلَّى، لا دين لمن لا أمانة له[١]»[٢].

المقصود بقول عروة هذا: عدم الاغترار بالعمل الظاهر، فالعبرة بالخوف من الله تعالى في الباطن، وصدق الإيمان في القلب، الذي يترتب عليه القيام بالتكاليف الشرعية بإخلاص، وأداء حقوق الخلق بصدق وأمانة، ومن لم يكن كذلك فقد نقص كمال إيمانه الواجب.



(١) في المصنف: «أَلا لا دينَ لمن لا أمانة له».

(٢) لم أقف عليه عند غيره بهذا الإسناد، وروي من وجه آخر عند: محمد بن نصر (٤٩٦)، والخلال (١٤٩١)، وابن المقرئ (٧٥٤)، والبيهقي (١٢٨١٩) من طريق هشام، عن أبيه، عن عمر رضي الله عنه، وهذا هو المحفوظ؛ كما قال البيهقي في الشعب، لكن عروة لم يدرك عمر رضي الله عنه، وله أيضًا طرق أخرى عن عمر رضي الله عنه، لا تخلو من ضعف، لكنها بمجموعها تتقوى. ينظر: التابعون الثقات المتكلم في سماعهم من الصحابة (٢/ ٧٩٠-٧٩٥).

١٤ - حدثنا عفان، نا حماد بن سلمة، عن أبي جعفرٍ الخَطْمي، عن أبيه، عن جده عُمَيْر بن حَبِيب بن خُمَاشَةَ[١] أنه قال: «الإيمان يزيد وينقص، فقيل[٢]: فما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا ربنا وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيَّعنا فذلك نقصانه»[٣].

هذا الأثر يدل على ما سبق، من إثبات زيادة الإيمان ونقصانه، وهذا أصلٌ من أصول أهل السنة، وزيادة الإيمان وردت في القرآن، وأما نقصه فقد ورد في السنة، فالناس في إيمانهم ليسوا على درجة واحدة، وذلك بحسب تفاوت أعمالهم، فأعمال الناس الدينية والدنيوية متفاوتة متباينة، فقد تأمر اثنين أو ثلاثة أو عشرة من الرجال بأمرٍ فلا يمكن أن يؤدوا العمل على وجه واحد، فالتفاوت لازم، والتباين حاصل، وعلى هذا فزعم تساوي الناس في الإيمان كما تقول المرجئة ممتنع في العقل والحِسِّ، ومُخالف للنص والشرع.

قال ابن رجب: «زيادة الإيمان بالذِّكْرِ من وجهين: أحدهما: أنه يجدِّد

---

(١) هو: عُمَير بن حبيب بن خُمَاشة الخَطْمِي الأنصاري، له صحبة، وقيل: كان ممن بايع تحت الشجرة. ينظر: التاريخ الكبير (٦/ ٥٣١)، الثقات (٣/ ٢٩٩)، الإصابة (٧/ ٥١٢).

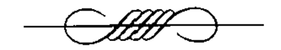
(٢) في المصنف: (قيل له).

(٣) أخرجه: ابن سعد (٤/ ٣٨١)، وعبد الله في السنة (٦٢٤)، والخلال (١٥٨٢)، والآجري (٢١٥)، وابن بطَّة (١١٣١)، واللالكائي (١٧٢٠)، والبيهقي في الشعب (٥٥) من طريق حماد به، وفيه ضعفٌ؛ فوالد أبي جعفر يزيد بن عمير بن حبيب لم أقف له على ترجمة، لكن قال عبد الرحمن بن مهدي: «كان أبو جعفر وأبوه وجده قومًا يتوارثون الصدق بعضهم عن بعض»، وأعلَّه ابنُ السكن بتفرد حماد بن سلمة به. ينظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٣٩٢)، الإصابة (٧/ ٥١٢-٥١٣).

من الإيمان والتصديق في القلب ما دَرَس منه بالغفلة؛ كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الذِّكْر يُنبت الإيمان في القلب كما يُنبت الماء الزرع.

وفي «المسند» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**جدِّدوا إيمانكم**» قالوا: كيف نجدِّد إيماننا؟ قال: «**قولوا: لا إله إلَّا الله**»[1].

والثاني: أن الذِّكْرَ نفسه من خصال الإيمان، فيزداد الإيمان بكثرة الذكر، فإنَّ جمهور أهل السنة على أن الطاعات كلها من الإيمان؛ فرضَها ونفلَها»[2].

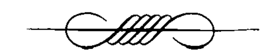


(١) أخرجه: أحمد (١٢٦٣٣)، وعبد بن حميد (١٤٢٤)، وإسناده ضعيف.

(٢) فتح الباري (١/ ١٤).

١٥- حدثنا ابن نُمَير، عن سفيان، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول: «اللهم لا تنزع مني الإيمان كما أعطيتنيه[1]»[2].

الأثر تضمن هذا الدعاء العظيم والرغبة الشديدة في الثبات على الإيمان والتوحيد، وقد ورد في الحث على هذا وطلبه والإلحاح فيه نصوصٌ من الكتاب والسنة، فالواجب على العبد أن يدعو ويُلِحَّ على ربه - تبارك وتعالى - بالثبات على الحق والإيمان، بل يدعو بزيادة الإيمان والتصديق واليقين، وفي زمن الفتن وتقلُّب الأحوال تكون مسألة اضطرار شديد، وافتقار أكيد، نسأل الله السلامة والعافية من الفتن ما ظهر منها وما بطن.



(١) في المصنف: «أعطيته».

(٢) لم أقف عليه عند غير المُصنِّف بهذا السياق واللفظ، لكن أخرج: أبو نُعيم في الحلية (١/٣٠٨) من طريق همام بن يحيى، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «اللهم إنك قلت: ادعوني أستجب لكم، وإنك لا تخلف الميعاد، اللهم؛ إذ هديتني للإسلام فلا تنزعه مني، ولا تنزعني منه حتى تقبضني وأنا عليه».

١٦- حدثنا يزيد بن هارون، عن العوَّام، عن علي بن مُدْرِك، عن أبي زُرْعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «الإيمان نَزِهٌ، فمن زنى فارقه الإيمان، فمن لام نفسه وراجع راجعه الإيمان»[1].

الفوائد:

الأولى: قوله: (**الإيمان نَزِهٌ**) أي أنَّ الإيمان الكامل نقيٌّ نظيف، يحجب صاحبَه عن المعاصي والذنوب والسيئات والأدناس، فهي نظافة إيمانية معنوية.

الثانية: قوله: (**فمن زنى فارقه الإيمان**) يعني: كمال الإيمان الواجب، وهذا كما في «الصحيحين» - وسيأتي: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» -.

الثالثة: قوله: (**فمن لام نفسه...**) بعد هذا الذنب والمعصية، وراجع فتاب وأناب راجعه الإيمان، فيكون عليه كالظُّلَّة كما في الحديث الآخر.

الرابعة: مقتضى الإيمان الواجب حفظ الفرج؛ كما في قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: الآية ٥]، فالزاني لم يحفظ فرجه؛ ولذا انتفى عنه كمال الإيمان الواجب، لكنه لم يَكْفر؛ كما تقول الخوارج، ولم يبق معه الإيمان الكامل؛ كما تقول المرجئة.

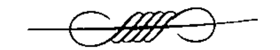
الخامسة: كون هذه النصوص محمولة على التغليظ، أو أنَّ النفي غير

---

(١) أخرجه: عبد الله في السنة (٧٥٣)، والخلال (١٢٥٩)، والآجري (٢٢٩)، وابن بطة (٩٧٧)، واللالكائي (١٨٧٠)، والبيهقي في الشعب (٤٩٨٠)، وإسناده صحيح.

حقيقي، كل هذه من أقوال المرجئة المخالفة للكتاب والسنة، وسبق تقرير أنَّ النفي إذا ورد في كتاب الله - تبارك وتعالى - أو في سنة نبيه ﷺ لأمرٍ، فإنه لا يكون إلَّا لنفي حقيقته، أو لترك بعض واجباته، فالعرب لا تنفي الشيء إلا لتخلُّف ما هو ركن أو واجب فيه.

قال ابن رجب: «لولا أنَّ ترك هذه الكبائر من مسمَّى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها؛ لأن الاسم لا ينتفي إلَّا بانتفاء بعض أركان المسمَّى أو واجباته»[١].



(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٥).

١٧- حدثنا حفص بن غِيَاث، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا».

١٨- حدثنا محمد بن بشر، نا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[١].

١٩- حدثنا حفص، عن خالد، عن أبي قِلابة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[٢].

٢٠- حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ، عن سعيد بن أبي أيوب، عن ابن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[٣].

الفوائد:

الأولى: هذه الأحاديث متعلقة بحسن الخُلُق وعلاقته بالإيمان كمالًا

---

(١) أخرجه: أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٧٤٠٢)، والدارمي (٢٨٣٤)، وأبو يعلى (٥٩٢٦)، وابن حبان (٤٧٩)، والبيهقي (٢٠٨٢٠) من طرق (أبو سلمة، وأبو صالح، ومحمد بن سيرين، ومحمد بن زياد، والأعرج) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٦١٢)، والنسائي في الكبرى (٩٣٠٦)، وأحمد (٢٤٢٠٤، ٢٤٦٧٧) من طريق خالد به، وفيه زيادة: «**وألطفهم بأهله**»، قال الترمذي: «هذا حديث حسن، ولا نعرف لأبي قلابة سماعًا من عائشة»، لكنه ثابت عن غيرها من الصحابة. ينظر: جامع التحصيل (ص٢١١)، فتح الباري (١٠/ ٤٥٨).

(٣) تقدم تخريجه في الحديث رقم (١٧-١٨).

ونقصًا.

الثانية: هذه الأحاديث وما ورد في معناها أدلة صريحة على عظيم أمر الأخلاق في الإسلام، فالأخلاق الإسلامية ليست أمرًا تحسينيًّا تكميليًّا، أو تجميليًّا هامشيًّا، وإنما هي نابعة من صدق توحيد، ومنبعثة من كمال إيمان، والعبد إذا كَمُلَ إيمانه؛ حَسُنَ خُلُقُه، وهي من أعظم الأسباب وأوسع الأبواب لدخول الجنة؛ كما قال النبي ﷺ حينما سُئِلَ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «**تقوى الله، وحُسْنُ الخُلُق**»(١).

قال ابن القيم: «الدِّين كله خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق؛ زاد عليك في الدِّين»(٢).

الثالثة: المتأمل فيما نزل على النبي ﷺ إبَّان المرحلة المكية، خلال ثلاثة عشر عامًا يجد أنه في ثلاثة أصول: في العقائد، والأخلاق، والأخبار، فهي إذن قرينة التوحيد في التقرير والتأكيد، فلا يمكن أن تفهم الأخلاق على أنها أمر تحسيني وتجميلي محض، أو أن ما يكون من باب الآداب والأخلاق ليس بذات الأهمية، بل حُسن الخُلُق دلالة على كمال الإيمان؛ كما في هذه الأحاديث الصريحة.

الرابعة: اختلفت العبارات في تعريف حُسْن الخلق، فقيل: بذل النَّدَى، وكفُّ الأذى، واحتمال الأذى. وقيل: بذل الجميل، وكفُّ القبيح. وقيل: التخلي من الرذائل، والتحلي بالفضائل. وقيل: بسط

---

(١) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد (٢٨٩)، والترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٦٩٦)، وابن حبان (٤٧٦).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٠).

الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى[١].

ولعل الأول منها يجمع ذلك كله، وهو: بذل النَّدَى، وكفُّ الأذى، واحتمال الأذى.

الخامسة: ينبغي للعبد أن يجاهد نفسه على الأخلاق الفاضلة، ولا يستسلم لطبع سيئ عنده، بزعم عدم قدرته على تغييره، وأنه هكذا خُلق وجُبِل، فكل هذا من تلبيس النَّفْس، والاستكانة لعوائدها الرديئة حتى تغلب فتصير خُلُقًا سيئًا، وسلوكًا مَشِينًا، بل الواجب الحرص على اكتساب المعالي، والترقي في درجات الكمال الأخلاقي، والأمر لا شك يحتاج إلى مجاهدة في أوله ثم يُيسَّر على العبد ويُهَّون عليه، وإذا استعان بالله أعانه؛ كما قال ﷺ: «**ومن يتصبَّر؛ يُصَبِّره الله...**»[٢] الحديث.

السادسة: قال ابن القيم: «وحُسْن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلَّا عليها: **الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل**.

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة. **والعفة**: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء. وهو رأس كل خير. وتمنعه من الفحش، والبخل والكذب، والغِيبة والنميمة. **والشجاعة**: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشِّيَم، وعلى البذل والندى؛ الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ والحلم. **والعدل**: يحمله

(١) ينظر: مدارج السالكين (٣/ ٣١)، جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥٧).

(٢) أخرجه: البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذل والقِحَة، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحِلْم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس»[(١)].

السابعة: أن العبد هو أول مَنْ يجني ثمار حُسْن الخُلق، وقد قيل: حَسَنُ الخُلُق من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، وسيء الخُلُق الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء. وقيل: مَنْ ساء خلقه ضاق رزقه[(٢)].

الثامنة: مما يختبر العبدُ به حُسنَ أخلاقه أنها لا تتغير بتغيُّر الأحوال والأشخاص، فهو حَسَن الخُلُق وكريم الخليقة مع مَن فوقه ومَن هو مثله ومَن دونه، وأخلاقه حسنة وتعامله طيِّب في حال الفقر والغنى، والشدة والرخاء، والسفر والحضر، فهذا حُسْن الخُلُق الشرعي الدال على شَرَف المَلَكَة، وكرامة المخبر، وجَزَالة المروءة.

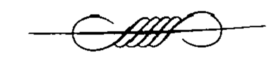


(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٠-٣١) بتصرف يسير، وينظر: روضة العقلاء لابن حبان، وتهذيب الأخلاق لابن مسكويه، وأدب الدنيا والدِّين للماوردي.

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص٢٤٢).

٢١- حدثنا أبو أسامة، عن جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم قال: أكبر ظني أنه عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عمر ﵄: «إن الحياء والإيمان قُرِنا جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخر»[١].

معنى ذلك أن العبد إذا خَلَع الحياء ونبذه نقص من إيمانه الواجب بمقدار ذلك؛ إذ يحمله قلة الحياء والوقاحة على فحش القول وقبيح الفعل دون مبالاة، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[٢]، فالحياء الشرعي الذي كله خير يحمل على فعل ما يَزين ويَجمُل، وترك ما يَشين وَيقبُح، وهذا من أعظم شعب الإيمان؛ كما قال ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وستون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذى من الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[٣].



(١) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد (١٣١٣)، وابن نصر (٨٨٤)، والحاكم (٥٨)، وأبو نعيم (٤/ ٢٧٩)، والبيهقي في الشعب (٧٣٣١) من طريق جرير بن حازم، قال العراقي: «صحيح غريب، إلَّا أنه قد اختلف على جرير بن حازم في رفعه ووقفه». ينظر: فيض القدير للمناوي (٣/ ٤٢٦).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٤٨٣).

(٣) أخرجه: البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

٢٢- حدثنا غُنْدر، عن شعبة، عن سلمة، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قال رجل عند عبد الله: «إني مؤمن، قال: قل: إني في الجنة! ولكنَّا نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله»(١).

٢٣- حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل قال: «(جاء)(٢) رجل إلى عبد الله فقال: إني لقيتُ ركبًا فقلت: مَنْ أنتم؟ قالوا: نحن المؤمنون، قال: فقال: أَلَا قالوا: نحن من أهل الجنة!»(٣).

٢٤- حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة قال: «قيل له: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو»(٤).

٢٥- حدثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك بن سلمة، عن عبد الرحمن بن

---

(١) أخرجه: أبو عبيد في الإيمان (١١)، وعبد الله في السنة (٦٥٥)، والخلال (١٣٣٩)، والطبراني (٨٧٠٤)، واللالكائي (١٧٨٠)، والبيهقي في الشعب (٧٠)، وإسناده صحيح.

(٢) كلمة (جاء) سقطت من المخطوط، وتم استدراكها من المصنف.

(٣) أخرجه: عبدالرزاق (٢٠١٠٦)، وأبو عبيد في الإيمان (١٠)، وعبد الله في السنة (٦٥٦)، والطبري في تهذيب الآثار (٩٩٣)، والخلال (١٣٤٠)، وابن بطة (١١٨١)، والطبراني (٨٧٠٣)، واللالكائي (١٧٨١)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه: أبو عبيد في الإيمان (١٥)، وابن سعد (٦/ ٨٦)، وعبد الله (٦٥٧)، والطبري في التهذيب (١٩٩٨)، والخلال (١٣٤٤)، والآجري (٢٨٥)، وابن بطة (١١٨٣)، وأبو نعيم (٢/ ١٠٠)، والبيهقي في الشعب (٧١)، وإسناده صحيح، وفيه قصة، قال إبراهيم: كان لعلقمة جار من الخوارج يؤذيه، فقال له علقمة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟...﴾ الآية [الأحزاب: الآية ٥٨]، فقال له الرجل: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو.

عصمة(١): «**أنَّ عائشة قالت: أنتم المؤمنون إن شاء الله**»(٢).

٢٦- حدثنا أبو أسامة، عن مِسْعَر، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن قال: «إذا سُئِلَ أحدُكم: أمؤمن أنت؟ فلا يَشكَّنَّ»(٣).

٢٧- حدثنا وكيع، عن مسعر، عن زياد بن عِلاقة، عن عبد الله(٤) **بن يزيد قال: «إذا سُئِلَ أحدُكم: أمؤمن أنتَ؟ فلا يشك في إيمانه»**(٥).

---

(١) في المخطوط: (عقبة) وهو تصحيف، فاسمه عبد الرحمن بن عصمة؛ كما في تهذيب الكمال في شيوخ سماك بن سلمة، وفي المصنف ومصادر التخريج.

(٢) أخرجه: عبد الله في السنة (٧٤٨)، والخلال (١١٦٨)، واللالكائي (١٧٢٣) من طريق مغيرة، عن سماك، عن عبد الرحمن بن عصمة قال: كنت عند عائشة رضي الله عنها فأتاها رسول معاوية رضي الله عنه بهدية، فقال: أرسل بها إليك أمير المؤمنين. فقالت: «أنتم المؤمنون إن شاء الله تعالى، وهو أميركم، وقد قبلت هديته»، وابن عصمة مجهول، ولم أقف له على ترجمة، وإنما ذكروه في شيوخ سماك بن سلمة الضبي.

(٣) أخرجه: الطبري في تهذيب الآثار (٩٨٩) من طريق مسعر به، وعند: ابن سعد (٦/ ١٧٣)، والطبري في التهذيب (٩٨٧-٩٨٨) بإسناده: «أن أبا عبد الرحمن السلمي قال لرجل فيه عجمة: أمؤمن أنت أو مسلم أنت؟ قال: نعم إن شاء الله. قال: لا تقل إن شاء الله. قال - عبد الحميد الحماني -: قلتُ لمسعر: يا أبا سلمة أقول: إني مؤمن حقًّا؟ قال: نعم، تكون مؤمنًا باطلًا! أيحسن في الكلام أن يقول الرجل: هذه سماء إن شاء الله؟!» وهذا لفظ ابن سعد، وعطاء بن السائب مختلط، ومسعر لم يذكر فيمن روى عنه قبل الاختلاط، كما أن قوله وروايته توافق مذهبه؛ إذ كان رحمه الله يرى رأي المرجئة في ترك الاستثناء. ينظر: الكواكب النيرات (ص٣١٩-٣٣٥).

(٤) في المخطوط: (عبيد الله) وهو تصحيف، فهو عبد الله بن يزيد الخطمي، وسيأتي نحوه عنه برقم (٣٢)، كما أن هذا روي عنه مرفوعًا؛ كما في التخريج.

(٥) لم أقف عليه موقوفًا عند غير المصنف، لكن أخرجه مرفوعًا: الطبري في التهذيب (٩٩٢)، وأبو نعيم (٧/ ٢٣٨) من طريق أحمد بن بُدَيل اليامي، عن أبي معاوية، عن مسعر، عن زياد ابن علاقة، عن عبد الله بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: =

٢٨- حدثنا وكيع، عن مسعر، عن موسى بن أبي كثير، عن رجل لم يسمِّه، عن أبيه قال: «سمعت ابن مسعود يقول: أنا مؤمن»(١).

٢٩- حدثنا ابن مهدي، عن سفيان، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، وعن مُحِلٍّ(٢)، عن إبراهيمَ: «أنهما كانا إذا سُئِلا؟ قالا: آمنا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله»(٣).

٣٠- حدثنا أبو معاوية، عن الشيباني قال: «لقيتُ عبد الله بن معقل(٤)

= «**إذا سئل أحدكم أمؤمن؟ فلا يشك**». وابن بُدَيل مُتَكَلَّمٌ فيه، وقد خالف في رفعه. قال أبو نعيم: «تفرد برفعه أحمد بن بُدَيل، عن أبي معاوية». ينظر: تهذيب الكمال (١/ ٢٧٠)، الكاشف (١٠)، التقريب (١٢).

(١) لم أقف عليه عند غيره، وإسناده ضعيف؛ لجهالة الرجل وأبيه، لكن أخرج: ابن جرير في تهذيب الآثار (٩٨٣) من طريق مسعر، عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم قال: قال عبد الله رضي الله عنه: «أنا مؤمن»، وفيه كلام من جهة حماد بن أبي سليمان، ومن جهة متنه؛ إذ المحفوظ عن ابن مسعود القول بالاستثناء، وقد أنكر الأئمة كل ما دلَّ على أنَّ ابن مسعود رجع عن القول به؛ كما سيأتي بيانه.

(٢) في المخطوط: (محمد) وهو خطأ، والصواب (مُحِلٍّ)، كما في المصنف ومصادر التخريج، وهو: ابن مُحْرز الكوفي الضَّبي، يروي عن إبراهيم النخعي، وهو صدوق، ووثَّقه بعضُهم، وتكلَّم فيه آخرون. ينظر: التاريخ الكبير (٨/ ٢٠)، الضعفاء للعقيلي (٦/ ١٢٦)، الجرح والتعديل (٨/ ٤١٣)، تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٩١)، الميزان (٣/ ٤٤٥).

(٣) أخرجه: عبد الرزاق (٢٠١٠٨)، وأبو عبيد في الإيمان (١٢، ١٣)، وعبد الله (٦٤٩، ٦٦٠)، والطبري في التهذيب (١٠١١-١٠١٢)، والخلال (١٣٣٣، ١٣٣٤)، والآجري (٢٩٨)، وابن بطة (١٢٠٥-١٢٠٦)، واللالكائي (١٧٨٧، ١٧٨٨)، وإسناده صحيح.

(٤) تصحف في المخطوط إلى: (مغفل) في الموضعين، والصواب: (مَعْقل) كما سيأتي =

قال: فقلت: إن أناسًا من أهل الصلاح يعيبون عليَّ أن أقول: أنا مؤمن؟ قال: فقال عبد الله بن معقل: لقد خبتَ وخسرتَ إن لم تكن مؤمنًا»[١].

٣١- حدثنا وكيع، عن عمر بن مُنَبِّه، عن سوَّار بن شبيب قال: «جاء رجل إلى ابن عمر فقال: إنَّ هاهنا قومًا يشهدون عليَّ بالكفر؟ قال: فقال: أَلَا تقول: لا إله إلَّا الله، فتكذِّبهم»[٢].

٣٢- حدثنا أبو معاوية، عن الشيباني، عن ابن علاقة، عن عبد الله بن يزيد الأنصاري قال: «تسمَّوا باسمكم الذي سمَّاكم الله: بالحنيفية، والإسلام، والإيمان»[٣].

٣٣- حدثنا عبد الله بن إدريس، عن الأعمش، عن شقيق، عن سلمةَ بن سَبْرَة قال: «خطبنا معاذ بن جبل فقال: أنتم المؤمنون، وأنتم أهل الجنة»[٤].

= عند المصنف رقم (٧٣).

(١) أخرجه: الطبري في تهذيب الآثار (٩٨٢) من طريق أبي معاوية به، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه: ابن المقرئ (٧٢٩)، ومن طريقه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص٤٠٥) من طريق عكرمة بن عمار، عن سوَّار بن شبيب بنحوه، وإسناده صحيح، وورد عند أبي يعلى (٤٠٩٩)، والطبري في التهذيب (٨٨٢) بمعناه عن أنس رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٣) لم أقف عليه عند غيره، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه: مسدد (٣٧٠٦ مطالب)، والطبري في التفسير (٢٠/٥٠٧)، وفي التهذيب (٩٩١)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٨٤٧٩)، والحاكم (٣٧٠٦)، والبيهقي في الشعب (٧٢) من طريق الأعمش به، وسلمة بن سبرة فيه جهالة، وقد وثَّقه: العجلي =

الفوائد:

الأولى: كل هذه الآثار تتعلق بمسألة الاستثناء في الإيمان.

الثانية: مسألة الاستثناء في الإيمان من أشهر المسائل الخلافية في الباب؛ كما سبق بيانه في المقدمة، لكن الخلاف فيها يسير، وهو خلاف لفظي فيما بين أهل السنة، وحقيقي بينهم وبين أهل البدع؛ كما سيأتي.

الثالثة: المقصود بالاستثناء هو: ألَّا يجزم العبد بالإيمان لنفسه، فلا يقول: أنا مؤمن، فإنه إذا قال ذلك فقد جزم وحكم لنفسه بالنجاة والجنة، فلا بد أن يستثني فيقول: مؤمنٌ إن شاء الله، أو يقول: أرجو؛ كما سبق. أو يقول: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله. أو أنا أقول: لا إله إلَّا الله فقط، أما أنني محقق للإيمان ومستكمل لشُعَبِهِ وشرائعه فلا، فهذا المقصود بمسألة الاستثناء في الإيمان.

الرابعة: الخلاف عن السلف في المسألة اختلاف تنوع، بمعنى أنَّ من أجاز الاستثناء، فهو يقصد أن العبد يستثني لئلَّا يجزم لنفسه باستكمال شرائع الإيمان وشُعَبِهِ، ومَن نهى عنه ومنع منه كما في الآثار التي سبقت؛ كقوله: «لقد خبت وخسرت إن لم تكن مؤمنًا»، أو جزم حتى بالمآل؛ كقول معاذ السالف: «أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة» فالمقصود أصلُ الإيمان، في كونه مؤمنًا وليس كافرًا.

وعليه: فالذي يقول بالاستثناء يريد معنًى غير الذي يريده مَنْ منع منه، فهذا الذي يفسِّر كون الخلاف لفظيًّا وليس حقيقيًّا عند السلف

= وابن حبان، وتُكلِّم في سماعه من معاذ رضي الله عنه، فقد حكم بانقطاعه البخاري. ينظر: التاريخ الكبير (٤/ ٧٧)، الثقات للعجلي (٦٤٢)، الثقات (٤/ ٣١٧).

رحمهم الله تعالى، بينما هو عند المرجئة حقيقي، فقد منعوا الاستثناء في الإيمان، وقالوا: إن الإيمان واحد، فإذا استثنيت فأنت شاكٌّ ولست بمؤمن، فالإيمان عندهم شيءٌ واحد لا يتفاوت فكيف يُسْتثنى فيه؟ ولهذا مما يُطلقه هؤلاء المبتدعة على أهل السنة أنهم شُكَّاك؛ لأنَّ منهم من يقول: بالاستثناء(١).

الخامسة: من آثار المسألة أنَّ مَنْ منع من الاستثناء زعمًا بأن الإيمان شيءٌ واحد، وهو لا يتفاوت فهذا تفريعٌ على بدعة مخالفٌ لقول السلف، ومَنْ منع منه باعتبار أنه لا يجزم بالمآل، أو بأنه غير مستكمل لشرائع الإيمان، وليس لأنَّ التصديق لا يتفاوت، فهذا مَنزِعُ سُنَّة موافق لقول السلف.

السادسة: الإيمان في النصوص الشرعية له إطلاقان:

الإطلاق الأول: يُطلق على الإسلام، وهو مطلق الإذعان والتصديق، والإقرار بالشهادتين، فهذا لا يُستثنى فيه.

قال ابن تيمية: «إذا أريد بالإسلام الكلمة، فلا استثناء فيه؛ كما نصَّ عليه أحمد وغيره، وإذا أريد به من فعل الواجبات الظاهرة كلها فالاستثناء فيه كالاستثناء في الإيمان، ولما كان كلُّ من أتى بالشهادتين صار مسلمًا متميزًا عن اليهود والنصارى، تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه»(٢).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٣)، وينظر: قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢١٩-٢٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٥)، وينظر: (٧/ ٢٥٩)، (١٣/ ٤٣).

الإطلاق الثاني: يطلق على الدين كله، فهذا يُستثنى فيه؛ لأن العبد لا يمكن أن يُزكِّي نفسه، ويزعم أنه قد استكمل شرائع الدين كلها، وقام بجميع ما أوجب الله عليه، وترك كلَّ ما حرم عليه، وهذا المعنى التفصيلي ورد عن الحسن البصري - رحمه الله تعالى-؛ كما عند البيهقي في «شُعَب الإيمان» من طريق تمَّام بن نَجِيح قال: «سأل رجلٌ الحسنَ البصري عن الإيمان؟ فقال: الإيمان إيمانان: فإن كنتَ تسألني عن الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، والجنة، والنار، والبعث، والحساب، فأنا مؤمن، وإن كنتَ تسألني عن قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] فوالله ما أدري أنا منهم أم لا»[١]، وروي معناه عن قتادة بن دِعَامة[٢].

ولهذا قال البيهقي تعليقًا عليه في كتاب «الاعتقاد»: «فلم يتوقف الحسن في أصل إيمانه في الحال، يعني باعتبار الأصل، وإنما توقف في كماله الذي وعد الله ﷻ أهلَه الجنة بقوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية ٤].

السابعة: قال ابن تيمية: «الناس في الاستثناء على ثلاثة أقوال: قول: إنه يجب الاستثناء، ومن لم يستثن كان مبتدعًا، وقول: إن الاستثناء

(١) أخرجه: البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٧٥)، وفي الاعتقاد (ص١٨٢).
(٢) ينظر: الجامع لشعب الإيمان (١/ ١٦٦).

محظور؛ فإنه يقتضي الشك في الإيمان، والقول الثالث أوسطها وأعدلها: أنه يجوز الاستثناء باعتبار وتركه باعتبار؛ فإذا كان مقصوده أني لا أعلم أني قائم بكل ما أوجب الله عليَّ وأنه يقبل أعمالي، ليس مقصوده الشك فيما في قلبه، فهذا استثناؤه حسن، وقصده ألَّا يزكِّي نفسه»[١].

وقال أيضًا: «والناس لهم في الاستثناء ثلاثة أقوال: منهم من يحرمه؛ كطائفة من الحنفية، ويقولون: من يستثني فهو شكَّاك، ومنهم من يوجبه؛ كطائفة من أهل الحديث، ومنهم من يجوِّزه، أو يستحبه، وهذا أعدل الأقوال؛ فإن الاستثناء له وجه صحيح، فمن قال: أنا مؤمن إن شاء الله، وهو يعتقد أن الإيمان فعل جميع الواجبات، ويخاف ألا يكون قائمًا بها فقد أحسن؛ ولهذا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم، قال ابن أبي مليكة: أدركتُ ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ومن اعتقد أن المؤمن المطلق هو الذي يستحق الجنة، فاستثنى خوفًا من سوء الخاتمة فقد أصاب، وهذا معنى ما يُرْوَى عن ابن مسعود أنه قيل له: عن رجل أنت مؤمن؟ فقال: نعم. فقيل له: أنت من أهل الجنة؟ فقال: أرجو، فقال: هلَّا وَكَلَ الأولى كما وَكَلَ الثانية، ومَن استثنى خوفًا من تزكية نفسه، أو مدحها، أو تعليق الأمور بمشيئة الله فقد أحسن، ومَن جزم بما يعلمه أيضًا في نفسه من التصديق؛ فهو مصيب»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٠-٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٨١-٦٨٢)، وينظر: (٧/ ٤٢٩-٤٣٩)، (٨/ ٤٢٧)، (١٣/ ٤٦)، الاستقامة (١/ ١٤٩-١٥٠)، الإيمان الأوسط (٣٤٩-٣٥٣).

الثامنة: مما لحظه السلف في تجويز الاستثناء في الإيمان أو إيجابه عدة أمور، منها:

١- أن الإيمان يشمل الدين كله، فهو عقيدة وشريعة، ومن الذي يشهد لنفسه أنه قد استكمل ذلك كله؟!

٢- أن الاستثناء في هذا من الاعتراف بالتقصير، والإزراء على النفس، وعدم تزكيتها.

٣- أن الإيمان النافع الذي تحصل به النجاة هو المُتَقَبَّل عند الله - تبارك وتعالى - ومَنِ الذي يعلم أنه قد تُقُبِّل عمله؟ فصحَّ الاستثناء في الإيمان وأعمال الإيمان من هذا الوجه، قال ابن تيمية: «وهذا أظهر الوجوه في استثناء من استثنى منهم في الإيمان، وفي أعمال الإيمان»[1].

٤- أن العبرة بالخواتيم، فالعبد لا يدري ما يُختم له به، فهو يستثني رجاء أن يموت على التوحيد والإيمان.

٥- أن الاستثناء قد ورد حتى في الأمور المتيقنة التي لا يشك فيها، ومع هذا صحَّ الاستثناء فيها[2].

التاسعة: يمكن تلخيص ذلك باعتبار مراتب الدِّين الثلاث: أما الإسلام الذي هو الكلمة والدخول في أصل الدين، فلا استثناء فيه أبدًا، وأما الإيمان، فهو بحسب ما أريد به؛ فإن أريد به الإسلام بالمعنى السابق، فلا استثناء، وإن قُصِدَ به الشرائع والشُعَب وبلوغ الكمال في الإيمان والتحقيق فيه، فهذا يُستثنى فيه، وأما الإحسان، فإنه يجوز

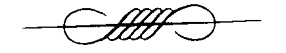
(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٩٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٧، ٤٤٦، ٤٩٦، ٦٦٦-٦٦٩).

الاستثناء فيه قولًا واحدًا؛ لأنه إذا جاز أو وجب الاستثناء في الإيمان على المعنى الثاني فهو في الإحسان الذي هو مرحلة الكمال المطلق من باب أولى، والله أعلم.

العاشرة: كره السلف سؤال الرجل أخاه: أمؤمن أنت؟ وعدُّوا هذا من البدع التي أحدثها المرجئة؛ لتأكيد مذهبهم في إخراج العمل عن مسمى الإيمان.

قال ابن تيمية: «وقد كان أحمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره: أمؤمن أنت؟ ويكرهون الجواب؛ لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم، فإن الرجل يعلم من نفسه أنه ليس بكافر؛ بل يجد قلبه مصدقًا بما جاء به الرسول، فيقول: أنا مؤمن، فيثبت أن الإيمان هو التصديق؛ لأنك تجزم بأنك مؤمن، ولا تجزم بأنك فعلت كل ما أمرت به؛ فلما عَلِمَ السلف مقصدَهم صاروا يكرهون الجواب، أو يُفصلون في الجواب»[(١)(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٤٨-٤٤٩).

(٢) يراجع في مسألة الاستثناء في الإيمان: السنة للخلال (٣/ ٥٩٣-٦٠٢)، الشريعة (٢/ ٦٥٦-٦٧٥)، الإبانة (٢/ ٨٦٢-٨٧٦)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠٣٧-١٠٥٤)، شرح الطحاوية (٢/ ٤٩٤-٤٩٨)، شرح السفارينية لابن عثيمين (ص٤١٢-٤١٤)، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق البدر (ص٤٥٥-٥٣٧)، الإيمان بين السلف والمتكلمين للدكتور أحمد بن عطية الغامدي (ص٦٦-٧٣)، الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل (١/ ٨٩-٩٧).

٣٤- حدثنا عمر بن أيوب، عن جعفر بن بُرْقان قال: «كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: أما بعد؛ فإن عُرَى الدِّين، وقوائم الإسلام: الإيمان بالله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فصلوا الصلاة لوقتها»(١).

الفوائد:

الأولى: أهم قواعد الدين وأصوله، وأعظم ما يُستمسك به منه هي: الإيمان بالله ظاهرًا وباطنًا، والإقرار بالأركان الستة، وتحقيق التوحيد بأنواعه، ثم إقام الصلاة، وهذا في العمل الظاهر، وهي أوكد الأعمال بعد الشهادتين، وبعدها إيتاء الزكاة، وهي الركن الثالث.

الثانية: قوله: «**فصلوا الصلاة لوقتها**»؛ فهذا من الإيمان الواجب، والدِّين المؤكد، وإخراجها عن وقتها ينافي ذلك؛ لأن المحافظة على وقت الصلاة واجب وفرض؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: الآية ١٠٣].

وإن أراد بالمحافظة على الصلاة لوقتها ألَّا يضيعها البتة ولا يتركها بالكلية، فهذا ينافي أصل الإيمان؛ كما سيأتي؛ لأن الترك المطلق للصلاة كفر؛ ولهذا اختلف السلف - رحمهم الله تعالى - في قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: الآية ٥٩]، فعمر ابن عبد العزيز، والقاسم بن مخيمرة، وبعض السلف يرون أنَّ الإضاعة إضاعة المواقيت، قالوا: فلو تركها لكان كافرًا، واختاره القرطبي وابن تيمية، بينما ذهب بعض السلف؛ كمحمد بن كعب، وزيد ابن أسلم، والسُّدِّي، وهو اختيار ابن جرير إلى أن المقصود بالإضاعة في

(١) لم أقف عليه عند غيره، وإسناده لا بأس به.

هذه الآية: الترك الكلي[١].

وذهب ابن القيم إلى أن الآية تشمل ذلك كلَّه، قال: «والتحقيق أن إضاعتها تتناول تركها، وترك وقتها، وترك واجباتها وأركانها، وأيضًا فإنَّ مؤخرها عن وقتها عمدًا متعدٍّ لحدود الله، كمقدِّمها عن وقتها»[٢].



(١) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٦٧-٥٧١)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٤٧٢-٤٧٤)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/ ٢٣٤)، تفسير ابن كثير (٥/ ٢٤٣-٢٤٥).

(٢) كتاب الصلاة (ص١٣٢).

٣٥- حدثنا محمد بن بشر، نا سعيد، عن قتادة، عن أنس ﵁، أن نبي الله ﷺ قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة»، ثم قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّة»، ثم قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرَّة»(١).

الفوائد:

الأولى: يدل على أن مجرد قول: لا إله إلا الله باللسان لا يكفي؛ لأنه قال: **«من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه...»** فتضمن الحديث قول اللسان واعتقاد القلب، فلا ينفع مجرد القول، ولا ينجيه من النار خلافًا للكرَّامية، فالمنافق يقول بلسانه ما ليس في قلبه؛ ومع ذا هو في الدرك الأسفل من النار، فلا بد من التوافق بين الظاهر والباطن، فيقول ذلك بلسانه وفي قلبه أدنى ما يكون من الخير.

الثانية: المقصود بالخير هنا: الإيمان، وأدناه وأقله الذرَّة، وهي صغار النمل، وقيل: الشيء الذي لا وزن له ولا يُرى؛ كالذي لا تكاد تراه إلا في شعاع الشمس، أما في الرؤية المجردة فلا تمكن رؤيته، فأدنى ما يكون في قلب العبد من الإيمان مثل ذلك، والنبي ﷺ ذكره على سبيل التقليل، ولو أن شيئًا أقل من هذه لذكره ﷺ.

الثالثة: أن الأعمال لا عبرة بها إلا بمقدارٍ من الإيمان يكون في القلب، ولو كان قليلًا يسيرًا.

---

(١) أخرجه: البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣)، والترمذي (٢٥٩٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٥٤)، وابن ماجه (٤٣١٢)، وأحمد (١٢١٥٣) من طرق عن قتادة، به.

الرابعة: أن الإيمان يزيد وينقص، وقد ترجم البخاري على هذا الحديث بقوله: «باب زيادة الإيمان ونقصانه»[١].

الخامسة: أن الإيمان في القلب يتفاوت تفاوتًا عظيمًا، فيكون في القلب كالجبال الرواسي، وهذا حال الكُمَّل من الخلق، الذين بلغوا مرحلة الصِّدِّيقية، ويكون في قلب بعض الخلق مثقال ذرة.

قال ابن تيمية: «والذي مضى عليه سلف الأمة وأئمتها: أن نفس الإيمان الذي في القلوب يتفاضل؛ كما قال النبي ﷺ: «**أخرجوا من النار مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**». وأما زيادة العمل الصالح الذي على الجوارح ونقصانه فمتفق عليه»[٢].

وقال ابن رجب: «الإيمان في القلوب يتفاضل، فإنْ أريد به مجرد التصديق ففي تفاضله خلاف سبق ذكره، وإن أريد به ما في القلوب من أعمال الإيمان؛ كالخشية والرجاء، والحب والتوكل، ونحو ذلك؛ فهو متفاضل بغير نزاع»[٣].

وقال أيضًا: «التصديق القائم بالقلوب متفاضل، وهذا هو الصحيح، وهو أصح الروايتين عن أحمد، فإن إيمان الصدِّيقين الذين يتجلى الغيب لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة؛ بحيث لا يقبل التشكيك ولا الارتياب، ليس كإيمان غيرهم ممن لم يبلغ هذه الدرجة؛ بحيث لو شُكِّكَ لدخله

---

(١) الصحيح (١/ ١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٧٩)، وينظر: (٢/ ٣٨٤).

(٣) الفتح (١/ ٩٤).

الشك»(١).

السادسة: أن أهل الكبائر في الآخرة تحت المشيئة، وأنَّ مَنْ دخل منهم النار فإنه يخرج منها؛ خلافًا للخوارج والمعتزلة، فيُعذَّب بحسب ذنوبه ثم إذا طُهِّر أُخْرِج؛ كما دلَّت عليه أحاديث كثيرة، منها حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يُدْخِلِ الله أهل الجنة الجنة، يُدْخِل مَنْ يشاء برحمته، ويُدْخِل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا مَنْ وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيُخْرَجون منها حُمَمًا قد امتَحَشُوا**»(٢).



(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١١٦)، قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٨٦، ١٩٤-١٩٨).

(٢) أخرجه: البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

٣٦- حدثنا يزيد بن هارون، أنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن عامر بن سعد[١]، عن أبيه: «أنَّ نفرًا أتوا رسول الله ﷺ، فسألوه فأعطاهم إلا رجلًا منهم، فقال سعد: يا رسول الله؛ أعطيتهم وتركتَ فلانًا، والله إني لأراه مؤمنًا، فقال رسول الله ﷺ: «أوْ مسلمًا»، فقال سعد: والله إني لأراه مؤمنًا، فقال رسول الله ﷺ: «أوْ مسلمًا»، فقال ذلك ثلاثًا، وقال رسول الله ﷺ ذلك ثلاثًا»[٢].

الفوائد:

الأولى: هذا الحديث تضمن قصة سعد رضي الله عنه مع النبي ﷺ في حال هذا الرجل، فسعد - رضي الله تعالى عنه - شَهِدَ جزمًا باليمين المؤكدة للرجل بالإيمان، والنبي ﷺ جزم له بالإسلام؛ إذ هو المعلوم من ظاهر كل مسلم، دون الشهادة بالإيمان الباطن الذي لا يعلم به إلا الله - تبارك وتعالى-.

الثانية: قال النووي: «ليس فيه إنكار كونه مؤمنًا، بل معناه: النهي عن القطع بالإيمان، وأنَّ لفظة الإسلام أولى به؛ فإن الإسلام معلوم بحكم الظاهر، وأما الإيمان فباطن لا يعلمه إلا الله تعالى»[٣].

---

(١) تصحَّف في المخطوط إلى (سعيد).

(٢) أخرجه: البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠)، وأبو داود (٤٦٨٣)، والنسائي (٥٠٣٦)، وأحمد (١٥٧٩) من طرق عن ابن شهاب، به.

(٣) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٨١). وينظر: مطالع الأنوار (١/ ٣٤٧)، تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٩)، فتح الباري لابن رجب (١/ ١٢٢)، التوضيح لابن الملقن (٢/ ٦٤٤)، فتح الباري لابن حجر (١/ ٨٠).

الثالثة: فيه إثبات التفاوت والتباين بين حقيقة الإسلام والإيمان؛ وهو قول جمهور أهل السنة، فالإسلام حقيقته الأعمال الظاهرة، والإيمان التصديق الباطن بأركان الإيمان الستة، وهذا إذا اجتمعا[١].

قال ابن رجب: «والتحقيق في الفرق بينهما: أن الإيمان هو تصديق القلب، وإقراره، ومعرفته. والإسلام: هو استسلام العبد لله، وخضوعه، وانقياده له، وذلك يكون بالعمل... ومِنْ هنا قال المحققون من العلماء: كل مؤمن مسلم، فإن مَنْ حقق الإيمان، ورسخ في قلبه، قام بأعمال الإسلام، كما قال ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**» فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام، وليس كل مسلم مؤمنًا، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفًا، فلا يتحقق القلب به تحققًا تامًّا مع عمل جوارحه بأعمال الإسلام، فيكون مسلمًا وليس بمؤمنٍ الإيمان التام... وكذلك قول النبي ﷺ لسعد لما قال له: لَمْ تُعطِ فلانًا وهو مؤمن، فقال النبي ﷺ: «**أَوْ مُسْلِمٌ**». يشير إلى أنه لم يحقق مقام الإيمان، وإنما هو في مقام الإسلام الظاهر، ولا ريب أنه متى ضعف الإيمان الباطن؛ لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضًا»[٢].

الرابعة: أن الإسلام ظاهر، فيُشهد للعبد به إذا قام بأركانه الخمسة،

---

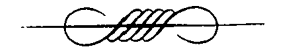
(١) ينظر: معالم السنن (٤/ ٣١٥)، مسائل الإيمان لأبي يعلى (ص٤٢١-٤٣١)، الإيمان الأوسط (ص٤٨٢-٤٨٣)، فتح الباري لابن رجب (١/ ١٣٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٨-١١١)، وينظر: السنة للخلال (١٠٧٦-١٠٧٧، ١٠٨٥).

وأعماله الظاهرة، بينما الإيمان اعتقاد باطن، فلا ندري عن تصديق هذا الرجل، وعما في قلبه من اليقين فلا نشهد له به؛ ولذا أنكر النبي ﷺ على سعد رضي الله عنه لما شهد لهذا الرجل بالإيمان؛ كما ردَّ الله تعالى دعوى الأعراب به، فقال: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجرات: الآية ١٤] فهم دخلوا في ظاهر الإسلام من الشهادتين والقيام بأعمال الإسلام الظاهرة، وأما الإيمان وتحقيقه واستكمال شرائعه فلا[1].

قال ابن رجب: «والظاهر - والله أعلم - أن النبي ﷺ زجر سعدًا عن الشهادة بالإيمان؛ لأن الإيمان باطن في القلب لا اطلاع للعبد عليه، فالشهادة به شهادة على ظن، فلا ينبغي الجزم بذلك... ولهذا كره أكثر السلف أن يطلق الإنسان على نفسه أنه مؤمن، وقالوا: هو صفة مدح، وتزكية للنفس بما غاب من أعمالها؛ وإنما يشهد لنفسه بالإسلام لظهوره»[2].

الخامسة: أنه لا يلزم من ثبوت وصف الإسلام ثبوت الإيمان، فالنصوص دلَّت على إثبات إسلام بلا إيمان، فالإسلام الذي يمنع الخلود في النار لا يستلزم الإيمان الموجب للمدح وعلو الدرجات[3].



(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٨-٣٩٠)، تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٩).

(٢) فتح الباري (١/ ١٣١-١٣٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٣٨)، قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٦٧).

٣٧- حدثنا أبو معاوية، عن عاصم، عن أبي عثمان، عن سلمان رضي الله عنه قال: «يقال له: سل تُعْطَه - يعني النبي ﷺ - واشفع تُشَفَّع، وادعُ تُجَب، قال: فيرفع رأسه فيقول: «رب أمتي أمتي» مرتين أو ثلاثًا، قال سلمان: فيشفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة حنطة من إيمان، أو قال: مثقال شعيرة من إيمان، أو قال: مثقال حبة خردل من إيمان، فقال سلمان: فذلكم المقام المحمود»(١).

الفوائد:

الأولى: أنَّ الإيمان يتفاوت في القلوب، وقد سبق بيان ذلك.

الثانية: إثبات الشفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة، وشفاعاته متعددة.

الثالثة: أن النبي ﷺ يشفع في العصاة ألا يدخلوا النار، ومَنْ دخلها أنْ يخرج منها.

الرابعة: أنَّ النجاة لا تكون إلا بالتوحيد ولو كان قليلًا، فالعبد الذي في قلبه مثقال ذرة من إيمان ينجو من الخلود في النار، وإن عُذِّبَ فيها ما عُذِّب، بحسب ذنوبه ومعاصيه، فدلَّ هذا على عظيم أمر التوحيد في النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة(٢).

---

(١) أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (٨١٣)، وابن خزيمة في التوحيد (٤٥٠)، والطبراني (٦١١٧) من طريق أبي معاوية، وإسناده صحيح؛ كما قال: ابن حجر والبوصيري، وله حكم الرفع، وورد معناه في حديث الشفاعة عن أنس، وأبي هريرة رضي الله عنهما في الصحيحين. ينظر: المطالب العالية (١٨/ ٥٨٦)، إتحاف الخيرة المهرة (٨/ ١٩١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧٩).

٣٨- حدثنا يزيد بن هارون، أنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، (وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[1]، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ[2] وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[3].

٣٩- حدثنا يزيد بن هارون، أنا محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد ابن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ - يعني الخَمْرَ - حِينَ يَشْرَبُ[4] وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فإيَّاكم، إيَّاكم»[5].

---

(١) سقطت هذه من المخطوط، وهي في المصنف وبقية مصادر التخريج.

(٢) **النُّهبة** هي: أخذ مال الغير علانية بغير إذن، وكون الناس يرفعون إليها أبصارهم كناية عن عِظَم مقدارها وقيمتها، وفي بعض الروايات: «**ينتهب نهبة ذاتَ شرف**»، يعني: ذات قدر ومكانة. ينظر: النهاية (٥/ ١٣٣)، شرح النووي (٢/ ٤٤)، التوضيح لابن الملقن (١٦/ ٢١)، طرح التثريب (٧/ ٢٦٢)، فتح الباري (٥/ ١٢٠)، الكوثر الجاري (٥/ ١٤٤).

(٣) أخرجه: البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذي (٢٦٢٥)، والنسائي (٤٩١٤)، وابن ماجه (٣٩٣٦)، وأحمد (٨٨٩٥) من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في المخطوط: (يشربها) ووضع الناسخ على (بها) علامة الضرب، ثم كتب الصواب فوقها (ب).

(٥) أخرجه: أحمد (٢٥٠٨٨)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٥٤٨)، والطبري في التهذيب (١٩١٩)، والخلال (١٢٧١)، وابن بطة (٩٥٨) من طريق ابن إسحاق، =

٤٠- حدثنا ابن عُلَيَّة، عن الليث، عن مُدْرِك، عن ابن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا رُؤُوسَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

٤١- حدثنا الحسن بن موسى، نا شعبة، عن فِرَاس، عن مُدْرِك، عن ابن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: نحوه(١).

۞ الفوائد:

الأولى: هذه الأحاديث في بيان أثر اقتراف الكبائر على الإيمان.

الثانية: أن هذه الكبائر تسلب كمال الإيمان الواجب، فقوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، يعني: أنه حال الزنا - والعياذ بالله - لا يكون مؤمنًا، فيُسْلَب كمال الإيمان الواجب؛ إذ لو كان هذا الرجل

= ولم يصرِّح بالسماع، كما أنه اختلف عليه: هل هو من حديث عائشة أو حديث أبي هريرة؟ ورُوِي من وجه آخر عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقوفًا، واختلف أيضًا فيه على هشام في رفعه ووقفه، لكن معناه في الصحيحين كما سبق. ينظر: مجمع الزوائد (٢/ ١٢٣)، إتحاف الخيرة المهرة (٤/ ٢٣٥).

(١) أخرجه: أحمد (١٩١٠٢)، والطيالسي (٨٦١)، والبزار (٣٣٥٤)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٥٥٢)، والطبري في التهذيب (٩٢٢)، والخلال (١٢٦٧)، والآجري (٢٢٣)، وابن بطة (٩٥٧) من طريق ليث بن أبي سُلَيم وفراس، عن مدرك بن عمارة، به. وقد اختلف في رفعه ووقفه، والمحفوظ الوقف، واختلف أيضًا في إسناده على شعبة، كما أن مدركًا لم يدرك ابن أبي أوفى؛ كما قال ابن معين، لكن معناه في الصحيح. ينظر: جامع التحصيل (٧٤٤)، تحفة التحصيل (ص٤٨٥)، تعجيل المنفعة (١٠١٩).

مُصَدِّقًا تمام التصديق، ومؤمنًا حق الإيمان لمنعه ذلك من هذه الكبائر والقبائح[١].

الثالثة: أن النبي ﷺ نفى اسم الإيمان عن مقترف هذه الكبائر؛ لكونه ترك واجبًا من واجبات الإيمان، ولم ينفِ عنه أصل الإيمان، وإلا لكان كافرًا مخلدًا في النار. ويدل لهذا صريحًا: ما في «الصحيحين» من حديث أبي ذر - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو نائم، وعليه ثوب أبيض، ثم أتيته وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال النبي ﷺ: «**ما مِنْ عبدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ثم مات على ذلك؛ إلا دخل الجنة**»، أو قال في رواية: «**حرَّمه الله على النار**». فقلت: يا رسول الله، وإن زنى وإن سرق؟! قال: «**وإن زنى وإن سرق**». قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: «**وإن زنى وإن سرق**». قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: «**وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر!**»[٢].

الرابعة: أن هذه الأحاديث أدلة صريحة في الرد على أهل البدع؛ كالخوارج الذين قالوا بكفر وتخليد أهل الكبائر في النار، وهي ردٌّ على المرجئة الذين قالوا بأنه مؤمنٌ كامل الإيمان، ولا أثر لهذه المعاصي على إيمانه.

فأهل السنة قالوا: الكبائر تسلب كمال الإيمان، فلا يكون صاحبها مؤمنًا مطلقًا، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، وعَبَّرَ بعضهم بأنه: خرج من الإيمان إلى الإسلام، وورد عن بعض السلف أنه دَوَّر دائرتين: دائرة

---

(١) ينظر: إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/ ٩٤٩)، جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٥، ١١١، ٣٠٢).

(٢) أخرجه: البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

واسعة وهي دائرة الإسلام، ودائرة أضيق منها وهي الإيمان، فهو خرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام، ويقولون في حقه أيضًا: هو مؤمن ناقص الإيمان، وبعضهم يعبر بأنه: مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، وهذا قد استُشكل؛ لأن بعض أهل البدعة يعبرون بهذا التعبير، فالأولى أن تقول بأنه: مؤمنٌ ناقص الإيمان، فالإيمان لم يفارقه بالكلية باعتبار أصله؛ ولهذا ورد في الرواية الأخرى أنه يكون كالظُّلَّة فوق رأسه، فإذا نَزَعَ عاد إليه؛ والظل تابعٌ للشخص وليس منتفيًا عنه.

قال ابن أبي شيبة في بيان معنى الحديث: «لا يكون مستكمل الإيمان، يكون ناقصًا من إيمانه»[١].

وقال ابن أبي العز: «أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرًا ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج؛ إذ لو كفر كفرًا ينقل عن الملة لكان مرتدًّا يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام»[٢].

الخامسة: أن النفي في النصوص لترك واجب أو فعل محرم إنما هو للإيمان دون الإسلام.

قال ابن رجب: «وأما اسم الإسلام فلا ينتفي بانتفاء بعض واجباته، أو انتهاك بعض محرماته، وإنما يُنْفَى بالإتيان بما ينافيه بالكلية، ولا يُعْرَف

---

(١) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٥٨١).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٤٤٢)، وينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٢، ٢٤١-٢٤٣)، المباحث العقدية المتعلقة بالكبائر ومرتكبها، للدكتور سعود الخلف (ص٧٣-٨٨).

في شيء من السنة الصحيحة نفي الإسلام عمن ترك شيئًا من واجباته، كما يُنفى الإيمان عمن ترك شيئًا من واجباته، وإنْ كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات، وإطلاق النفاق أيضًا»[١].

السادسة: قال ابن القيم: «وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأفعال فقط، بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان، بل هذا النفي مستمر إلى حين التوبة، وإلا فما دام مصرًّا وإن لم يباشر الفعل فالنفي لاحق به، ولا يزول عنه اسم الذم والأحكام المترتبة على المباشرة إلا بالتوبة النصوح، والله سبحانه وتعالى أعلم»[٢].

السابعة: لا يصح أن يقال: هذه الكبائر سلبته كمال الإيمان المستحب، فهذا تفسير بدعي، غلط فيه قائله، وهو يشبه قول المرجئة؛ كما قال ابن تيمية[٣].

الثامنة: أن المعاصي ليست على درجة واحدة، بل فيها كبائر وصغائر[٤]؛ خلافًا لمن قال: كلها كبائر[٥].

قال ابن القيم: «وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١١١)، وينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣١، ٤٢).

(٢) الوابل الصيب (ص٦٦).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٢-٦٥٣)، الفتاوى الكبرى (٥/ ١٣٢)، مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٧٧٩).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٩٦)، الفتاوى الكبرى (٥/ ١٣٤)، الداء والدواء (ص٢٨٩)، مدارج السالكين (١/ ١٧٢).

(٥) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٧).

بعدهم والأئمة على أن من الذنوب كبائرَ وصغائرَ»[١].

التاسعة: أن ترك المعاصي يُسمى إيمانًا، كما أن فعل الواجبات إيمان، على خلاف بين السلف أيهما أولى وأعظم في تقوى القلوب، وصلاح النفوس: فعل الواجبات أو ترك المحرمات؟ ورجَّح ابن تيمية وابن القيم وابن رجب أن جنس فعل المأمورات أعظم وأفضل من جنس ترك المنهيات[٢].

العاشرة: أنَّ أهل السنة وسط بين الخوارج الذين كَفَّروا أصحاب الكبائر، والمرجئة الذين حكموا لهم بكمال الإيمان.

الحادية عشرة: أن الكبائر إذا تاب منها العبد رجع إليه إيمانه؛ كما قال النبي ﷺ: «**فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ**»، بل ربما كان بعد الذنب أحسن من حاله قبله، بحسب صدق التوبة وكمالها، والجدِّ والتشمير في الطاعة، وشدة الندم وعظيم الأَسَف على ما سَلَف.

قال ابن القيم: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يحكي هذا الخلاف، ثم قال: والصحيح أن من التائبين مَنْ لا يعود إلى درجته، ومنهم من يعود إليها، ومنهم من يعود إلى أعلى منها، فيصير خيرًا مما كان قبل الذنب، وكان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة.

قال: وهذا بحسب حال التائب بعد توبته، وعزمه وحذره، وجِدِّه وتشميره، فإن كان ذلك أعظم مما كان له قبل الذنب عاد خيرًا مما كان

(١) الداء والدواء (ص٢٨٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٨٥)، الفوائد (ص١٧١-١٨٥)، جامع العلوم والحكم (١/ ٢٥٢-٢٥٦)، المفاضلة في العبادات (٢/ ٤٣٩).

وأعلى درجة، وإن كان مثله عاد إلى مثل حاله، وإن كان دونه لم يعد إلى درجته، وكان منحطًّا عنها، وهذا الذي ذكره هو فصل النزاع في هذه المسألة»(١).

الثانية عشرة: أن الكبائر تكفرّها التوبة، وتكفيرها بالتوبة مُطَّرِد لا يمكن أن يتخلف إذا صدق العبد في توبته، لكن المختلف فيه بين أهل العلم تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة، ولعل الأقرب: أن الطاعة العظيمة، والعمل الصالح الجليل؛ كالحج والجهاد - مثلًا - إذا قام به العبد على وجه من الكمال ظاهرًا وباطنًا؛ أنه يكَفِّر الكبائر، والله تعالى أعلم(٢).

قال ابن تيمية: «وقد يفعل العبد من الحسنات ما يمحو الله به بعض الكبائر؛ كما غفر للبغي بسقي الكلب، وقوله لأهل بدر: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(٣)، ولكن هذا يختلف باختلاف الحسنات ومقاديرها، وبصفات الكبائر ومقاديرها، فلا يمكن لنا أن نعيِّن حسنة تكفِّر بها الكبائر كلها غير التوبة، فمن أتى كبيرة ولم يتب منها، ولكن أتى معها بحسنات أُخَر فهذا يتوقف أمره على الموازنة والمقابلة، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦-٩]، فلهذا كان صاحب الكبيرة تحت الخطر ما

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٣)، وينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٣)، (١٠/ ٢٩٣-٢٩٤)، (١٥/ ٥٥-٥٧)، منهاج السنة (٢/ ٤٣٢-٤٣٤)، طريق الهجرتين (٢/ ٥٣٢-٥٣٤)، شفاء العليل (١/ ٣٨٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨٩-٤٩٥)، الإيمان الأوسط (ص٣٣٩-٣٤٤).

(٣) أخرجه: البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

لم يتب منها، فإذا أتى بحسنات يُرْجَى له محو الكبيرة، وكان بين الخوف والرجاء، والحسنة الواحدة قد يقترن بها من الصدق واليقين ما يجعلها تكفِّر الكبائر»[١].



٤٢- حدثنا محمد بن بشر، نا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَالبَذَاءُ[1] مِنَ الجَفَاءِ، وَالجَفَاءُ فِي النَّارِ»[2].

الفوائد:

الأولى: الحياء مَلَكَةٌ وجِبِلَّة وطبيعة يطبع الله - تبارك وتعالى - عليها بعض خلقه، فتحمله على أن يفعل ما يَزِينُ و يَجْمُل ويترك ما يَشين ويَقبُح من الأقوال والأفعال، والبذاء ضد الحياء، وهو: الفُحْشُ في القول والفعل، وهو من الجفاء والغِلظة والقُبح.

الثانية: الحياء يكون من الله - تبارك وتعالى - ومن النفس، ومن الخَلْق، وهو ستر وجمال وزينة؛ قالت الحكمة: من كساه الحياءُ ثوبَه لم يَرَ الناسُ عيبَه[3].

الثالثة: أن مِنْ كمال إيمان العبد صدق حيائه، وعكس ذلك مثله، فبقدر ما يكون عنده من الغِلظة والجفاء والفُحش ينقص إيمانه.

---

(١) في المخطوط رطوبة أثَّرت على الكلمة حتى كأنها في عاجل النظر: (المذاذة)، وليس الأمر كذلك، وإنما هي (البذاذة)، ولم أقف عليها في مصدر بهذا اللفظ، ومن حيث المعنى غير منسبكة؛ إذ البذاذة من الإيمان؛ كما قد رُوِيَ، والذي في المصنف وجميع مصادر التخريج «**والبذاء من الجفاء**»؛ فلذا أثبتها.

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٠٠٩)، وأحمد (١٠٥١٢)، وابن حبان (٦٠٨)، والحاكم (١٧٣) من طريق ابن عمرو، به. وإسناده لا بأس به، وله عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طرق أخرى، قال الترمذي: «وفي الباب عن ابن عمر، وأبي بكرة، وأبي أمامة، وعمران بن حصين، هذا حديث حسن صحيح».

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص٢٤٧-٢٥١).

الرابعة: وجه ارتباط الحياء بالإيمان: أنه يدل على حياة القلب ويقظته، بخلاف الوقاحة والبذاء.

قال ابن تيمية: «والحياء مشتق من الحياة؛ فإن القلب الحي يكون صاحبه حيًّا، فيه حياء يمنعه عن القبائح، فإن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب . . . فإن الحي يدفع ما يؤذيه، بخلاف الميت الذي لا حياة فيه، فإنه يسمى وَقِحًا، والوَقَاحة الصلابة، وهو اليُبْسُ المخالف لرطوبة الحياة، فإذا كان وَقِحًا يابسًا صليب الوجه لم يكن في قلبه حياة توجب حياءه وامتناعه من القُبح؛ كالأرض اليابسة لا يؤثر فيها وطء الأقدام، بخلاف الأرض الخَضِرة؛ ولهذا كان الحيِيُّ يظهر عليه التأثر بالقبح، وله إرادة تمنعه عن فعل القبح، بخلاف الوَقِح الذي ليس بحيِيٍّ فلا حياء معه ولا إيمان يزجره عن ذلك»(١).

وقال ابن رجب: «**والحياء نوعان**: **أحدهما**: غريزي، وهو خلق يمنحه الله العبد ويجبله عليه، فيكفه عن ارتكاب القبائح والرذائل، ويحثه على فعل الجميل، وهو من أعلى مواهب الله للعبد، فهذا من الإيمان باعتبار أنه يؤثر ما يؤثره الإيمان من فعل الجميل والكفِّ عن القبيح . . ، **والنوع الثاني**: أن يكون مكتسبًا، إما من مقام الإيمان؛ كحياء العبد من مقامه بين يدي الله يوم القيامة، فيوجب له ذلك الاستعداد للقائه، أو من مقام الإحسان؛ كحياء العبد من اطلاع الله عليه وقربه منه، فهذا من أعلى خصال الإيمان»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى(١٠/ ١٠٩-١١٠)، وينظر: التفسير البسيط للواحدي(٢/ ٢٧٠-٢٧١)، شرح السنة للبغوي (١٣/ ١٧٣)، شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٥).

(٢) فتح الباري (١/ ١٠٢-١٠٣).

وقال ابن حجر: «الحياء من الإيمان، وهو الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود، وأما ما يقع سببًا لترك أمر شرعي فهو مذموم، وليس هو بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة»[١].



(١) فتح الباري (١/ ٢٢٩).

٤٣- حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن هشام، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: قيل: يا رسول الله؛ أي الإيمان أفضل؟ قال: «الصبر والسماحة»، قيل: فأي المؤمنين أكمل إيمانًا؟ قال: «أحسنهم خلقًا»[1].

۞ الفوائد:

الأولى: قوله: **«الصبر والسماحة»** المقصود بذلك الصبر بكل أنواعه؛ على أقدار الله، وعلى طاعة الله، وعن معاصي الله، فهذا من كمال الإيمان.

الثانية: المراد بالسماحة سماحة النفس، وجودها، وكرمها، وسخاوتها، ولينها، وانقيادها، فكل هذا سماحة.

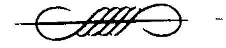
وقد فَسَّر الحسن البصري ذلك بأن الصبر متعلق بترك المحارم،

---

(١) أخرجه: ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٦٤٧)، والبيهقي في الشعب (٩٢٦١) من طريق حسين بن علي، به. والحسن لم يسمع من جابر ﵁، كما قال جمهور النقاد، ورواية هشام عن الحسن فيها ضعف، وله عن جابر ﵁ طرق أخرى فيها مقال، وأخرجه: أحمد في الزهد (٥٤)، وأبو الشيخ في فوائده (١٢)، والبيهقي في الشعب (١٠٣٤٤) من وجه آخر عن هشام، عن الحسن مرسلًا، وأخرجه: الدِّينوري في المجالسة (١١٥٥)، واللالكائي (١٥٧٨)، وأبو نعيم (٢/ ١٥٦)، والبيهقي في الشعب (٩٢٥٩) من طريق الحسن قوله، وفسَّره بالصبر عن معصية الله، والسماحة بأداء فرائض الله. وله شواهد من حديث عمرو بن عَبَسة، وعبادة بن الصامت، وعمير بن قتادة الليثي، وفيها ضعف، ولعله بالمجموع يتقوى. ينظر: المطالب العالية (١٣/ ١٦٧-١٧٠)، جامع التحصيل (١٣٥)، تهذيب الكمال (٣٠/ ١٨١)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٧)، التابعون الثقات المتكلم في سماعهم من الصحابة (١/ ٢١٧-٢٢٦).

والسماحة متعلقة بأداء الفرائض[١].

الثالثة: قال ابن القيِّم: «وهذا من أجمع الكلام، وأعظمه برهانًا، وأوعبه لمقامات الإيمان من أولها إلى آخرها؛ فإنَّ النفس يراد منها شيئان: بذل ما أمرت به وإعطاؤه، فالحامل عليه: السماحة، وترك ما نُهِيت عنه والبعد منه، فالحامل عليه: الصبر»[٢].



(١) أخرجه: البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٩٢٥٩)، وينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٢١)، مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٧٠).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٥٩).

٤٤- حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ».

٤٥- حدثنا عَبيدة، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ بنحوه[١].

٤٦- حدثنا يحيى بن واضح، عن حسين بن واقد قال: سمعت ابن بريدة يقول: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ تَرْكُ الصَّلَاةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[٢].

٤٧- حدثنا شَرِيك، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله رضي الله عنه قال: «مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا دِينَ لَهُ»[٣].

٤٨- حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام الدستوائي، عن يحيى، عن أبي قِلابة، عن أبي المَلِيح، عن بريدة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَرَكَ الْعَصْرَ حَبِطَ عَمَلُهُ».

---

(١) أخرجه: مسلم (٨٢)، وأبو داود (٤٦٧٨)، والترمذي (٢٦١٨-٢٦٢٠)، والنسائي (٤٧١)، وابن ماجه (١٠٧٨)، وأحمد (١٤٩٧٩) من طريق أبي الزبير وأبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٧٠)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٢٢٩٣٧)، وابن حبان (١٤٥٤)، والدارقطني (١٧٥١)، والحاكم (١١)، والبيهقي (٦٥٧٣) من طريق حسين بن واقد، به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، ونقل ابن عبد الهادي في المحرر (١٥٣) تصحيحه عن هبة الله الطبري.

(٣) أخرجه: عبد الله (٧٧٢)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٩٣٦-٩٣٧)، والخلال (١٣٨٧)، والطبراني (٨٨٤٧)، وابن بطة (٨٨٨)، والبيهقي في الشعب (٤٢) من طريق عاصم ابن بهدلة، به. ولا بأس به، فقد تابع شريكًا عددٌ من الرواة عن عاصم.

٤٩- حدثنا عيسى ووكيع، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قِلابة، عن أبي المُهَاجر، عن بريدة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ مثل حديث يزيد، عن هشام الدَّستوائي(١).

٥٠- حدثنا هُشَيْم، أنا عبَّاد بن ميسرة المِنْقَري، عن أبي قِلابَة والحسن: أنهما كانا جالسين، فقال أبو قِلابَة: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: مَن ترك العصر حتى تفوته من غير عذر فقد حبط عمله. قال: وقال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً حَتَّى تَفُوتَهُ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري (٥٥٣)، والنسائي (٤٨١)، وابن ماجه (٦٩٤)، وأحمد (٢٢٩٥٧)، والطيالسي (٨٤٨)، وابن خزيمة (٣٣٦)، وابن حبان (١٤٦٣)، والبيهقي (٢١١٨-٢١١٩)، وغيرهم من طريق هشام والأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، واختلفا فيه، والصواب رواية هشام، وأما الأوزاعي فقد أخطأ فيه كما قال: أحمد، والبخاري، وابن حبان، وابن رجب؛ فأخطأ في إسناده فقال: (عن أبي المهاجر)، وفي متنه فقال: إن بريدة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فقال: «**بَكِّرُوا بِالصَّلَاةِ فِي الْيَوْمِ الْغَيْمِ فَإِنَّهُ مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فقد حَبِطَ عَمَلُهُ**»، وأما هشام فقال في روايته: إن أبا المليح قال: كنا مع بريدة في غزوة في يوم غيم، فقال: بكِّروا بصلاة العصر؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**»، فلم يرفع منه غير هذا القدر، وجعل الذين كانوا معه في الغزوة في يوم الغيم، والذي أمر بالتبكير بصلاة العصر هو بريدة، وهو الصحيح. ينظر: التاريخ الكبير (٦/ ٤٤٩)، المجروحين لابن حبان (٢/ ٩١)، ذخيرة الحفاظ (٢٣٥٨)، فتح الباري لابن رجب (٤/ ٣١١-٣١٣)، فتح الباري (٢/ ٣١-٣٢، ٦٦)، عجالة الإملاء للحلبي (٢/ ٥١٠-٥١٢).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٧٤٩٢) من طريق هُشَيم، عن عباد بن راشد، عن أبي قلابة، به. وعباد بن ميسرة وابن راشد متكلم فيهما، هذا إذا كان هُشَيم يرويه عنهما جميعًا، مع احتمال وجود وهم في اسم أحدهما؛ إذ الظاهر أنه يرويه عن واحد منهما، وروايته =

الفوائد:

الأولى: هذه الأحاديث والآثار تتعلق بترك الصلاة وأثر ذلك في إيمان العبد وإسلامه، سواءٌ في نقص إيمانه، أو ربما - والعياذ بالله - سلب الأصل والخروج من الإسلام.

الثانية: الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام، وأعظم شرائعه بعد الشهادتين، وهي الفارق بين المسلم والكافر، وهي أجلُّ الفرائض التي أمر الله - تبارك وتعالى - بها أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام؛ ولجلالتها وعلو قدرها ورفيع منزلتها فُرضت في السماء بلا واسطة.

قال البيهقي: «وليس من العبادات بعد الإيمان الرافع للكفر عبادة سمّاها الله ﷻ إيمانًا، وسمَّى رسولُ الله ﷺ تركَها كفرًا إلا الصلاة»[(١)].

الثالثة: ترك الصلاة من المسائل التي طال فيها الخلاف، واسترسل فيها الكلام، وتجاذبتها المناقشات والردود، ويمكن لَمّ شَمْلِها، وجمع لفيفها بأن يقال: **تاركها لا يخلو من سبع حالات**:

- **الحال الأولى**: أن يترك الصلاة ناسيًا، فلا لوم عليه ولا إثم بالإجماع، وكفارة ذلك أن يصليها إذا ذكرها.

- **الحال الثانية**: أن يتركها جاحدًا لوجوبها؛ فهذا كافرٌ بالإجماع،

= عن ابن راشد أكثر، وأبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء، وأما حديث الحسن فمرسل ضعيف. ينظر: تهذيب الكمال (١٤/ ١١٦، ١٦٧)، فتح الباري لابن رجب (٤/ ٣٠٨)، فتح الباري (٢/ ٣٠)، (٨/ ١٥٦)، التقريب (٣١٢٦، ٣١٤٩).

(١) شعب الإيمان (٤/ ٢٨٨).

حتى لو فعلها[١].

- **الحال الثالثة**: أنْ يتركها استكبارًا، أو عصبية لدينه، أو بغضًا لها؛ فهذا كافرٌ بالإجماع أيضًا.

- **الحال الرابعة**: أن يتركها من باب الاستخفاف والمُجون، فهذا لا يفعله إلا زنديق كافر، وقد سُئل الإمام أحمد عن رجلٍ ترك ذلك استخفافًا ومُجونًا هل هو مسلم؟ قال: إذا تركها استخفافًا ومُجونًا فماذا بقي؟![٢]، يعني: أنه كافر.

- **الحال الخامسة**: إذا تركها مُصرًّا على ذلك حتى يُقْتَل، فيُعْرَض على السيف، ويقال له: إما أن تصلي وإلا قتلناك؟ فيقول: لا أصلي، فهذا لا يمكن أن يكون مُقِرًّا بها في الباطن؛ كما يقول ابن تيمية[٣].

- **الحال السادسة**: إذا تركها مُعرِضًا عنها، فهذا وجه من وجوه الكفر، قالوا: ومعنى هذا: أنه يكون عنده أصل الإسلام والإقرار به من حيث الجملة، دون الإقرار بتفاصيل الشرائع على سبيل الإعراض؛ فهذا كافر.

- **الحال السابعة**: إذا تركها تهاونًا وكسلًا، وهذه الحال هي التي كثر فيها الاختلاف بين العلماء، **وتحرير محل النزاع فيها بما يلي**:

أولًا: أنه لا يصح إجماعٌ قطعي في أنَّ مَن ترك الصلاة تهاونًا وكسلًا يكون كافرًا، وما وُجد في عبارات بعض الأئمة، وأشهرها قول أيوب

---

(١) ينظر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (١٠/ ٧٧١).

(٢) ينظر: أحكام أهل الملل (٢/ ٥٣٦)، الجامع لعلوم الإمام أحمد (٥/ ٥٢٦).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨).

السختياني وإسحاق: إنه كافر، فهذا كما قال بعض أهل العلم من المحققين: إما أن يكون من الإجماع السكوتي، والإجماع السكوتي ليس قطعيًّا، وإما أنه محمول على الجحد، أو على وجه من وجوه الكفر التي لا يُختلف فيها، فأما أن يقال: إنَّ السلف أجمعوا على كفر تاركها تهاونًا وكسلًا فهذا غلط عليهم، كيف والمنقول عن أئمة كبار منهم أنه غير كافر!

فالخلاف في المسألة محفوظ، وإنْ كان الراجح - والله تعالى أعلم - أنه كافر، وهو المنقول عن عامة الصحابة، وطائفة من التابعين، ومَنْ بعدهم[١].

ثانيًا: اختلف في مناط تكفيره بين القائلين بكفره على أقوال:

- **أشدها وأضيقها من قال**: يكفر بترك صلاة واحدة حتى يخرج وقتها بلا عذر؛ كجهل، أو إكراه، أو نسيان، وبعضهم قَيَّد بأن تكون الصلاة مما لا تُجمع إلى غيرها؛ كالفجر مثلًا فهذا يكفر.

- **وقالت طائفة**: العبرة بترك فرضين أو صلاتين.

- **والقول الثالث**: أن يغلب عليه الترك، فما تركه أكثر مما صلَّاه.

- **والقول الرابع**: أنه لا يكفر حتى يتركها مطلقًا، فلا يصلي بالكلية.

---

(١) ينظر في المسألة: تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٧٣-١٠٢٧)، شرح مشكل الآثار (٨/ ١٩٣-٢٠٦)، التمهيد (٤/ ٢٢٤-٢٤١)، المغني (٣/ ٣٥٥-٣٥٩)، المجموع (٣/ ١٦)، مجموع الفتاوى (٢٠/ ٩٧-٩٩)، (٢٨/ ٣٥٩-٣٦٠)، كتاب الصلاة لابن القيم (ص٥-١٠٧)، فتح الباري لابن رجب (١/ ٢٢-٢٦)، طرح التثريب (٢/ ١٤٥-١٥٠)، نواقض الإيمان القولية والعملية (ص٤٥٠-٤٩٨)، موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (١٠/ ٧٨٤-٧٩٣).

وهذا لعله أقرب الأقوال، فالعبرة بالترك المطلق، وليس بمطلق الترك[(١)].

قال ابن تيمية: «كثيرٌ من الناس، بل أكثرهم في كثير من الأمصار لا يكونون محافظين على الصلوات الخمس، ولا هم تاركوها بالجملة، بل يُصلون أحيانًا ويَدَعون أحيانًا، فهؤلاء فيهم إيمان ونفاق، وتجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة، في المواريث ونحوها من الأحكام، فإن هذه الأحكام إذا جرت على المنافق المحض كابن أُبيٍّ وأمثاله من المنافقين، فَلَأنْ تجري على هؤلاء أولى وأحرى»[(٢)].

وقال أيضًا: «مَنْ كان مُصِرًّا على تركها لا يُصلي قط، ويموت على هذا الإصرار والترك، فهذا لا يكون مسلمًا، لكن أكثر الناس يُصلون تارة ويتركون تارة، فهؤلاء ليسوا يحافظون عليها، وهؤلاء تحت الوعيد الذي جاء في الحديث؛ كما في حديث عُبادة في السنن: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، مَن حافظ عليهن كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، ومَن لم يحافظ عليهن لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ**»[(٣)]»[(٤)].

---

(١) ينظر: معالم السنن (٤/ ٣١٤)، المغني (٣/ ٣٥٤)، كتاب الصلاة لابن القيم (ص٢٢-٤٠)، طرح التثريب (٢/ ١٤٨)، الإنصاف (٣/ ٢٨-٣٠)، حاشية الروض (١/ ٤٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦١٧)، الإيمان الأوسط (ص٥٦٧).

(٣) أخرجه: أبو داود (١٤٢٠)، والنسائي (٤٦١)، ومالك (٣٢٠)، وأحمد (٢٢٦٩٣)، والدارمي (١٦١٨)، وابن حبان (١٧٣٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٩)، وينظر: الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٤)، جامع المسائل (المجموعة السابعة ص ١١٩).

وقال الشيخ ابن عثيمين: والذي يظهر من الأدلة أنه لا يكفر إلا بترك الصلاة دائمًا، فإنْ كان يصلي فرضًا أو فرضين فإنه لا يكفر، وذلك لقول النبي ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»، فهذا تَرَكَ صلاةً لا الصلاة؛ ولأنَّ الأصل بقاء الإسلام فلا نُخرجه منه إلا بيقين؛ لأن ما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين، فأصل هذا الرجل المُعَيَّن أنه مسلم(١).

الرابعة: أن مَنْ لم يقل بكفر تارك الصلاة فإما أن يكون مَنزِعه مَنزِع بدعة، وإما أن يكون مَنزِعه مَنزِع سُنَّة؛ كما قيل في مسألة الاستثناء، ووجه هذا أن مَنْ قال: بأن تارك الصلاة لا يكفر؛ لأن الصلاة من الأعمال، والأعمال ليست من مسمَّى الإيمان فهذا قول بدعي، وأما مَنْ قال: بأن تارك الصلاة لا يكفر؛ لعدم قوة الأدلة عنده على كفره فهذا مَنزِع سنة، قال به أئمة من علماء أهل السنة، وخلافهم معتبر محفوظ.

الخامسة: أورد المؤلف بعد الأحاديث العامة حديث بريدة في ترك صلاة العصر، وصلاة العصر هي الصلاة الوسطى على القول الراجح، وهو قول الجمهور(٢).

ومما ورد في أهميتها حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ العَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ**»(٣).

---

(١) الشرح الممتع (٢/ ٢٧-٢٨) بتصرف.

(٢) ينظر: الاستذكار (١/ ٦٦)، شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ١٢٨)، جامع المسائل لابن تيمية - المجموعة السادسة - (ص٣٠١)، زاد المعاد (٣/ ١٥٤-١٥٥)، فتح الباري لابن رجب (٤/ ٣٤٠)، طرح التثريب (٢/ ١٧٠-١٧٥)، فتح الباري (٨/ ١٩٥-١٩٨).

(٣) أخرجه: البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦).

السادسة: قوله ﷺ: «**فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**»، هو على ظاهره وحقيقته، لكنه لا يقتضي الكفر، و لا أنَّ حبوط عمله كحبوط عمل أهل الكفر، فهذا لا يقوله أحدٌ من أهل السنة، ولا ينبغي أن يُتأول هذا الحديث بتأويلات وتعسفات تُخرجه عن مراده.

يقول ابن رجب: «أكثر السلف والأمة على القول بذلك (حبوط العمل بترك بعض الفرائض وارتكاب بعض المحرمات) وإمرار الأحاديث الواردة فيه على ما جاءت به، من غير تعسف في تأويلاتها»[١].

السابعة: هل هذا خاص بصلاة العصر أم أن غيرها يُلحق بها؟ هذا فيه خلاف بين أهل العلم، وقد ذهب ابن عبد البر وابن العربي إلى أن غير العصر كمثلها لا فرق[٢]، ورأى النووي تخصيص العصر، وقال: «لأن الشرع ورد في العصر، ولم تتحقق العلة في هذا الحكم، فلا يلحق بها غيرها بالشك والتوهم، وإنما يلحق غير المنصوص بالمنصوص إذا عرفنا العلة واشتركا فيها، والله أعلم»[٣].

فالأقرب: أن هذا خاص بالعصر، لكن هذا لا يدل على الاستهانة بغيرها من الصلوات؛ لما ورد من النصوص الأخرى في تأكيد المحافظة على كل الصلوات، بل على تخصيص غيرها؛ كالفجر.

ووجه التخصيص للعصر في هذا الحديث: قيل: لأنها وقت تعب

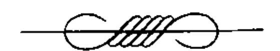
---

(١) فتح الباري (٣/ ١٢٣).

(٢) ينظر: الاستذكار (١/ ٦٥)، القبس (١/ ٣٢٠)، المسالك (١/ ٤١٢)، شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ١٢٦).

(٣) شرح صحيح مسلم (٥/ ١٢٦)، وينظر: فتح الباري لابن رجب (٤/ ٣٠١)، التوضيح لابن الملقن (٦/ ١٨٢)، طرح التثريب (٢/ ١٧٩).

الناس من مقاساة أعمالهم، وحرصهم على قضاء أشغالهم، فربما شُغلوا عنها، وقيل: لشرفها، وكون الملائكة تشهدها، ولكن هذا تشترك فيه الفجر، وقيل: لأنها الصلاة الوسطى، والله أعلم[1].



(١) ينظر: كتاب الصلاة لابن القيم (ص١١١-١١٢)، التوضيح لابن الملقن (٦/ ١٨٢).

٥١- حدثنا هَوذَة بن خليفة، نا عوف، عن قَسَامَة بن زُهير[(١)] قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[(٢)].

هذا الأثر متعلق بالأخلاق والسلوك وأثر ذلك في الإيمان، فلا إيمان لمن لا أمانة له، فخيانة الأمانة من خصال النفاق التي ينقص بها كمال الإيمان الواجب، وسبق معنى هذا، وأن الأمانة هي: أمانة في التكاليف، وأمانة في حقوق المخلوقين، كذلك حفظ العهد والوعد الذي يقطعه الإنسان على نفسه؛ ولهذا كان من خصال المنافق أيضًا أنه إذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف؛ ففي كل ذلك دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان، وأنها تزيده أو تُنقصه، حسنها زيادة، وسيئها نقص.



(١) هو: قسامة بن زهير المازني، من تابعي البصرة، روى عن: أبي هريرة وأبي موسى ﭭ، وثَّقه: ابن سعد، وابن معين، وابن حبان، والعجلي. ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ١٤٧)، الثقات (٥/ ٣٢٨)، تهذيب الكمال (٢٣/ ٦٠٢)، الكاشف (٤٥٨٠)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٧٨)، التقريب (٥٥٤٩).

(٢) أخرجه: الخلال (١٥٦٠-١٥٦١)، وأبو أحمد الحاكم في الأسامي والكنى (٣/ ٤٤٥)، وابن بطة (٩٦٤) من طريق عوف بن أبي جميلة، واختلف عليه على ثلاثة أوجه، فمرة جعله من قول قسامة، ومرة من قول أبي موسى ﭬ، ومرة مرفوعًا، فأما رفعه من هذا الوجه فمنكر، والأصح أنه من قول قسامة، فرواته عن عوف من هذا الوجه أكثر وأحفظ.

٥٢- حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد قال: «إن أفضل العبادة الرأي الحسن»(١).

معنى هذا الأثر أنَّ الرأي الحسن الموافق للشرع داخل في العبادة والإيمان، فالعقل الصريح يوافق النقل الصحيح، والرأي الصائب، والعقل الوافر، والفهم النيِّر هو الذي يتبع الدليل، وينقاد للحق، ومراده وقصده موافقة ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، فهو تابع للنص قصدًا وإرادة، وعلمًا وفهمًا، وعملًا واتباعًا؛ ولذا فسَّر ابن بطة بعد إخراجه للأثر الرأي الحسن بالسُّنَّة.

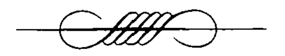
قال ابن تيمية: «أعلم الناس مَن كان رأيه، واستصلاحه، واستحسانه، وقياسه موافقًا للنصوص؛ كما قال مجاهد: «أفضل العبادة الرأي الحسن»، وهو اتباع السُّنَّة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: الآية ٦]؛ ولهذا كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة والشريعة في مسائل الاعتقاد الخبرية، ومسائل الأحكام العملية أهل الأهواء؛ لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير علم»(٢).

فبقدر ما يكون عند العبد من الإيمان والصدق يُهدى للحق، ويُجنَّب

(١) أخرجه: ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص١١٠)، وابن بطة (٢٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٩٣) من طريق الأعمش به، لكن الأعمش لم يسمع من مجاهد إلا اليسير؛ ولذا قال أبو حاتم: «الأعمش قليل السماع من مجاهد، وعامة ما يروي عن مجاهد مدلَّس». ينظر: علل ابن أبي حاتم (٢/ ٢١٠).

(٢) جامع الرسائل - جمع وتحقيق محمد رشاد سالم - (٢/ ٢٠٤)، وينظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٨٦٢).

الزيغ والضلال في المسائل العلمية والعملية، فيكون رأيه صوابًا، وقوله حقًّا، وعمله سدادًا، نسأل الله الهداية والسداد.



٥٣- حدثنا أبو معاوية، عن يوسف بن ميمون قال: قلت لعطاء: «إنَّ قِبَلَنا قومًا نعدُّهم من أهل الصلاح، إنْ قلنا: نحن مؤمنون. عابوا ذلك علينا؟ قال: فقال عطاء: نحن المسلمون المؤمنون، وكذلك أدركنا أصحاب رسول الله ﷺ يقولون»[١].

هذا يتعلق بمسألة الاستثناء في الإيمان، فهؤلاء القوم الذين يظنون بهم الصلاح ينكرون عليهم الجزم بالإيمان، وهذا الإنكار إما أن يكون منزعه سلفيًّا صحيحًا، وإما بدعيًّا باطلًا؛ كما سبق بيانه.



(١) أخرجه: الطبري في تهذيب الآثار (٩٨٦) من طريق أبي معاوية به. وإسناده ضعيف جدًّا؛ يوسف بن ميمون هو: القرشي الكوفي الصبَّاغ، اتفق النقاد على تضعيفه. ينظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٣٠)، الكامل (١٠/ ٤٥٥)، تهذيب الكمال (٣٢/ ٤٦٨)، الميزان (٤/ ٤٧٤)، تهذيب التهذيب (١١/ ٤٢٦)، التقريب (٧٨٨٩).

٥٤- حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البَخْتَري، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «القلوب أربعة: قلب مُصْفَحٌ[(١)]، فذلك قلب المنافق، وقلب أغلق[(٢)]، فذاك قلب الكافر، وقلب أَجْرَد[(٣)]؛ كأن فيه سراجًا[(٤)]، فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثله مَثَلُ قَرْحَة يَمُدُّها قَيْح ودم، ومثله مَثَلُ شجرة يسقيها ماء خبيث وطيب، فأيما غلب عليها غلب[(٥)]»[(٦)].

---

(١) **مصفح**: له صفحتان كصفحة السيف، والمقصود بصفحتي السيف: جانباه بخلاف حَدِّه، ولهذا قال: «لأضربنه بالسيف غير مُصفَح»، يعني: لأضربه بحد السيف لا بصفحتيه، فذلك قلب المنافق؛ بمعنى: له وجه إيمان ووجه نفاق، فهو بمعنى حديث ذي الوجهين. ينظر: تهذيب اللغة (٤/ ١٥٠)، غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٣١)، النهاية (٣/ ٣٤)، لسان العرب (٢/ ٥١٦)، تاج العروس (٦/ ٥٤٣).

(٢) هكذا في المخطوط، والذي في المصنف ومصادر التخريج: «وقلبٌ أغلف» بالفاء الموحدة، وهو الموافق للقرآن.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٥٦): «أي: ليس فيه غل ولا غش، فهو على أصل الفطرة، فنور الإيمان فيه يزهر».

(٤) في المخطوط: (سراج) بالرفع، ووضع فوقها الناسخ (كذا) استغرابًا؛ وإشارة إلى أنه هكذا وجده في الأصل المنقول منه.

(٥) في المصنف: «ومثله مثل شجرة يسقيها ماء خبيث وماء طيب، فأيُّ ماءٍ غلب عليها غلب».

(٦) أخرجه: ابن المبارك في الزهد (١٤٣٩)، وعبد الله في السنة (٨٢٠)، والطبري في التفسير (٢/ ٢٢٧)، وابن بطة (٩٢٩)، وأبو نعيم (١/ ٢٧٦)، والخطيب في تلخيص المتشابه (١/ ٢٦٠) من طرق عن عمرو بن مرة به موقوفًا، وروي نحوه بإسناده موقوفًا على سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما عند ابن أبي حاتم في التفسير (٨٦٦٧)، وأخرجه: أحمد (١١١٢٩)، والطبراني في الصغير (١٠٧٥)، وأبو نعيم (٤/ ٣٨٥) من طريق ليث، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، فالحديث مداره على =

الفوائد:

الأولى: أن قلوب عموم الخلق أربعة أقسام:

- القلب المُصفح الذي له وجهان، فهذا قلب المنافق.

- القلب الأغلف المغلق، وهو قلب الكافر؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: الآية ٨٨]، ورانَ عليه ما كسب من الشرك والضلال، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: الآية ١٤]، فلا يمكن أن يدخله الحق، ولا يعرف النور، ولا يسمع داعي الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: الآية ٥]، فالقلب قد أُغْلِق، وأُحْكِم إغلاقه.

- القلب الأجرد، وهو الذي تجرد لله - تبارك وتعالى - من هواه، وشيطانه، وسلطان نفسه، فليس فيه إلا الحق والنور والإيمان.

قال ابن القيم: «متجرد مما سوى الله ورسوله، فقد تجرد وسَلِمَ مما سوى الحق، و«فيه سراج يزهر» وهو مصباح الإيمان، فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل، وشهوات الغيِّ، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان»(١).

- قلبٌ فيه مادة نفاق ومادة إيمان؛ كالقرحة فيها قيحٌ ودم، والشجرة

= عمرو بن مرة، واختلف عليه فيه، والمحفوظ وقفه على حذيفة رضي الله عنه؛ لأنَّ راوي المرفوع ليث بن أبي سُلَيم وهو ضعيف مختلط، وقد اضطرب في روايته أيضًا، لكن يبقى في الوجه الموقوف عن حذيفة رضي الله عنه علة أخرى، وهي الانقطاع؛ لأن أبا البختري لم يلقَ حذيفة ولا سلمان رضي الله عنهما. ينظر: تهذيب الكمال (١١/ ٣٢)، جامع التحصيل (٢٤٢)، أهوال القبور لابن رجب (٥٧)، التقريب (٥٦٨٥)، القول المسدد (ص٢٩).

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٦)، وينظر: (١/ ١٠-١٧٤).

التي تُسقى بماء خبيث وطيب، فما غلب عليها منهما تكون إليه، فدل على أن هذا القلب مضطرب، لم يستقر على الحق ويستيقن ويطمئن به، فبقدر ما يغلب عليه يكون الحكم له، والعبرة بما يوافي به العبد ربه؛ إما بهذا القلب الذي غلب عليه النفاق - والعياذ بالله - أو بالقلب الذي غلب عليه الإيمان، فيكون من أهل النجاة.

الثانية: هذا فيه ردٌّ على المرجئة في أن الشخص لا يجتمع فيه إيمان وكفر، فمذهب أهل السنة أنه يجتمع في الشخص إيمان وكفر أصغر، أو إيمان ونفاق عملي، أما الكفر الأكبر أو النفاق الاعتقادي فلا يجتمعان مع الإيمان؛ إذ هما متناقضان.

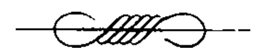
قال ابن تيمية: «وقد يجتمع في العبد نفاق وإيمان، وكفر وإيمان. . ، وطوائف أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة كرَّاميهم وغير كرَّاميهم يقولون: إنه لا يجتمع في العبد إيمان ونفاق، ومنهم مَن يدَّعي الإجماع على ذلك، وقد ذكر أبو الحسن في بعض كتبه الإجماع على ذلك، ومن هنا غلطوا فيه، وخالفوا فيه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان مع مخالفة صريح المعقول»[١].

الثالثة: قال ابن القيم: «الفتن التي تُعْرَض على القلوب هي أسباب مرضها، فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغَيِّ والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القلب

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥٣)، وينظر: (٧/ ٣٠٣، ٣١٢، ٣٥٣، ٥٢٠، ٦١٦)، مدارج السالكين (١/ ٤٣٧)، قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣٠٤-٣١٢).

والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد»[١].

الرابعة: هذا الاختلاف والتباين في أحوال القلوب دليلٌ على خطر أمر القلب؛ مما يوجب على العبد الخوف، وكثرة الدعاء بصلاح قلبه، وحفظه من الشبهات والشهوات؛ كما في الأحاديث التالية.



(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٦).

٥٥- حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك»، قالوا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها»(١).

٥٦- حدثنا معاذ بن معاذ، حدثنا أبو كعب صاحب الحرير، حدثنا شهر ابن حوشب قال: قلت لأم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يا أم المؤمنين، ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندكِ؟ قالت: كان أكثر دعائه: «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك»، قلت: يا رسول الله، ما أكثر دعائك: يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك؟» قال: «يا أم سلمة، ليس من آدميٍّ إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله؛ ما شاء أقام، وما شاء أزاغ»(٢).

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢١٤٠)، وأحمد (١٢١٠٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٨٣)، والبزار (٧٥٠٨)، وأبو يعلى (٣٦٨٧)، والحاكم (١٩٥١)، والبيهقي في الشعب (٧٤١) من طريق الأعمش به. ورواه بعضهم من هذا الوجه عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لكنه عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أصح؛ كما قال الترمذي.

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٥٢٠)، وأحمد (٢٦٦٧٩)، والطيالسي (١٧١٣)، وأبو يعلى (٦٩١٩)، والطبراني (٧٧٢) من طريق أبي كعب صاحب الحرير به، وإسناده ضعيف؛ من أجل شهر، لكنه توبع في روايته عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وللحديث شواهد، منها سابقه ولاحقه، وورد من حديث عدد من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كأبي هريرة، وبلال، والنوَّاس بن سمعان، ونُعَيم بن همَّار، وعبد الله بن عمرو، وهو أصحها؛ إذ أخرجه مسلم (٢٦٥٤)، ولفظه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء»**. ثم قال رسول الله ﷺ: =

٥٧- حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا همام بن يحيى، عن علي بن زيد، عن أم محمد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك» قلت: يا رسول الله، إنك لتدعو بهذا الدعاء؟! قال: «يا عائشة، أَوَمَا علمتِ أن قلبَ ابنِ آدم بين أُصبعي الله، إذا شاء أن يقلبه إلى هدًى قَلَبَه، وإن شاء أن يقلبه إلى ضلالة قَلَبَه»(١).

٥٨- حدثنا غُنْدَر، عن شعبة، عن الحكم بن عُتَيبة قال: سمعت ابنَ أبي ليلى يحدِّث عن النبي ﷺ: أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك»(٢).

= «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك». ينظر: سنن الترمذي (٥/ ٤٢٣)، أنيس الساري (٤٦٦١)، نزهة الألباب (٥/ ٢٩٨٠).

(١) أخرجه: أحمد (٢٦١٣٣)، وأبو يعلى (٤٦٦٩)، والطبراني في الأوسط (١٥٣٠) من طريق علي بن زيد، وإسناده ضعيف، من أجل ابن جدعان، وأم محمد زوجة أبيه لم يوثقها سوى ابن حبان، ورُوي من وجوه أخرى عن عائشة رضي الله عنها، وفيها ضعف، وسبق أن الحديث صحيح من رواية عدد من الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) لم أقف عليه عند غيره من هذا الوجه المرسل، وقد اختلف فيه على شعبة، فقد أخرجه: عبد بن حميد (٣٥٩) عن عبد الملك بن عمير، عن شعبة، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى، عن بلال رضي الله عنه به موصولًا، وإسناده ضعيف؛ لأن ابن أبي ليلى لم يلقَ بلالًا رضي الله عنه، وفي وجه ثالث عن شعبة رواه ابن أبي ليلى عن أم سلمة رضي الله عنها، ورجَّح الدارقطني الوجه المرسل. ينظر: علل أحاديث مسلم لابن عمار الشهيد (ص٦٦)، علل الدارقطني (١٥/ ٢٢٧)، المطالب العالية (١٢/ ٤٧٥) التابعون الثقات المتكلم في سماعهم من الصحابة (٢/ ٦٨٣-٦٨٨).

الفوائد:

الأولى: هذه الأحاديث متعلقة بدعاء النبي ﷺ بالثبات على الحق، وبيان أن القلب يتقلب.

الثانية: أنها تدل على خطورة هذا الشأن، مما يوجب عظيم الخشية، وشدة الخوف من الضلالة بعد الهدى، ولا نجاة ولا أمان من هذا ما دامت العين تطرف، والنَّفَس يتردد؛ إذ العبرة بما يختم به للعبد، وقد ورد عن المقداد بن الأسود - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: لا أشهد لأحد أنه من أهل الجنة حتى أعلم ما يموت عليه، بعد حديث سمعته من النبي ﷺ، قيل: وما سمعتَ؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لَقَلْبُ ابن آدم أسرع انقلابًا من القِدْر إذا استجمعت غَلَيانًا**»[١]، وورد في حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَثَلُ القلب مثل الريشة، تُقَلِّبُها الرياح بِفَلاةٍ**»[٢]، وما سُمي القلب قلبًا إلا لتقلبه.

الثالثة: عظيم وجل النبي ﷺ وخوفه، وأنه يُكثر من هذا الدعاء، وهو سيد ولد آدم - بنفسي وأبي وأمي - فينبغي للعبد أن يقتدي بنبيه ﷺ، ويكثر من الدعاء بهذا.

الرابعة: تجب العناية بأسباب الثبات على الحق، التي من أهمها وأعظمها تحقيق التوحيد، ومعرفة الله - تبارك وتعالى - بأسمائه وصفاته

---

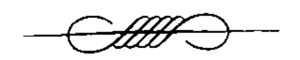
(١) أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (٢٢٦)، والبزار (٢١١٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٠٢١)، والحاكم (٣١٧٩)، قال البزار: إسناده حسن.

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٨٨)، وأحمد (١٩٧٥٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٨)، والبزار (٣٠٣٧)، وأبو نعيم (١/ ٢٦١)، واختلف في رفعه ووقفه، والمحفوظ أنه موقوف؛ كما قال الإمام أحمد وغيره.

وأفعاله، وكثرة العمل الصالح، وتلاوة القرآن بتدبر، وكثرة الذِّكْر، فهذه من أعظم أسباب الثبات على الحق، وبها ينجو العبد من الفتن والبلاء.

والله تعالى كريم لطيف رحيم بعبده، إنْ علم منه كمال الصدق في طلب ذلك، ثبَّتَه على الحق؛ كما قال تبارك وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧].

الخامسة: في هذه الأحاديث إثبات الأصابع لله - تبارك وتعالى - إثباتًا يليق بجلاله[١].



(١) ينظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للشيخ علوي السقّاف (ص٦٦-٦٨).

٥٩- حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن ذرٍّ، عن وائل بن مَهَانَة قال: قال عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما رأيت من ناقص الدِّين والرأي أغلب للرجال ذوي الأمر على أمرهم من النساء! قالوا: يا أبا عبد الرحمن، وما نقصان دينها؟ قال: تركها الصلاة أيام حيضها، قالوا: فما نقصان عقلها؟ قال: لا تجوز شهادة امرأتين إلا بشهادة رجل واحد»[١].

الفوائد:

الأولى: قوله: **(ذوي الأمر)**، يعني: ذوي الشدة والحزم، وفي الصحيح: **«أذهب لِلُبِّ الرجل الحازم»**[٢]، فإذا كانت المرأة تغلب الرجل الحازم فكيف بخفيف العقل والسفيه؟!

الثانية: نقص دِين المرأة بسبب ترك الصلاة أيام حيضها نقص طبيعة وجِبِلَّة لا تلام عليه؛ لأن ذلك بالنسبة لكمال الرجل الذي لا يترك الصلاة، فهي ناقصة باعتبار الكامل الذي لا يترك شيئًا من صلاته في شهره، وهو الرجل[٣].

الثالثة: محل الشاهد من الحديث: نقص دِين المرأة، فهذا دليل

---

(١) أخرجه: الحميدي (٩٢)، والعدني (٣٥)، والدارمي (١٠٤٧)، والحارث بن أبي أسامة (٢٩٧)، وأبو يعلى (٥٢٨٤)، والخلال (١١٧٢) وابن حبان (٣٣٢٣)، من طريق ذرٍّ المرهبي به. واختلف عليه في رفعه ووقفه، والصواب وقفه عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ كما قال ابن عبد البر، لكنه مرفوع من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة، وابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، في الصحيحين وغيرهما. ينظر: التمهيد (٣/ ٣٢٥-٣٢٦)، جامع الأصول (٦/ ١٣٧).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (ح ٣٠٤، ١٤٦٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٣٣)، (١٣/ ٥٤)، شرح الأصبهانية (ص٦٦١-٦٦٢).

على أن الإيمان يتفاوت ويتفاضل، ويزيد وينقص(١).

الرابعة: أن نقص الدِّين لا يقتضي الكفر؛ كما تقول الخوارج والمرجئة: بأنه شيءٌ واحد، إذا بقي بقي كله، وإذا ذهب ذهب كله، فهذا خطأ وضلال، فنقص دين المرأة لا يقتضي أنها كافرة، بل هي مسلمة قانتة، مطيعة لربها - تبارك وتعالى - في فعل الصلاة أيام طهرها، وتركها أيام حيضها.

الخامسة: نقص الدين لا فرق فيه بين امرأة وامرأة؛ لأن هذا شيءٌ كتبه الله على بنات آدم كلهن.

السادسة: نقص عقلها فُسِّر بأنَّ شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد، فهي أقرب إلى النسيان وعدم الضبط؛ كما في الآية: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢] وهذا باعتبار الجنس، وإلا فمن النساء مَن هي أعقل من بعض الرجال.

السابعة: أن هذا لا يمكن أن يكون سببًا لانتقاص المرأة، أو الإزراء بها، أو التحقير من شأنها، وإنما هو محض خبر عن طبيعة خِلْقتها، وخصوصية تركيبها.

الثامنة: خطر فتنة المرأة على الرجل، فأعظم أبواب الشر التي يُدخَل بها على الرجال هو النساء، وهذا مصداق ما أخبر به ﷺ؛ كما في «الصحيح»: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»(٢).

---

(١) ينظر: مسائل الإيمان لأبي يعلى (ص٢٧٠-٢٧٢)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٥١)، فتح الباري لابن رجب (١/ ٩٨).

(٢) أخرجه: البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤١).

قال ابن تيمية: «وأكثر ما يُفْسِد المُلْك والدول طاعة النساء»[١].

ولهذا لما عَلِمَ أعداء الإسلام - خيبهم الله وقبَّحهم - هذا الأمر جعلوا غزو المجتمعات الإسلامية المحافظة من باب المرأة، والمناداة بحقوقها المزعومة، **ومدافعة ذلك تكون بأمور منها:**

أولًا: دعاء الله - تبارك وتعالى - في أن يرد كيد العدو في نحره.

ثانيًا: تربية الأولاد - لا سيما البنات - تربية صالحة، وتمام العناية بإصلاحهن، وصلاحهن.

ثالثًا: قيام الرجل بحق الولاية التي له على المرأة، فالمرأة ناقصة عقل ودين، عاطفتها تغلب عقلها، فلابد أن يقوم الرجل بحق الولاية التي جعل الله - تبارك وتعالى - له، فيحفظ أهله، ويحفظ مَن تحت يده، وإذا كُفيت الأمة مؤونة كل شخص بما وجب عليه كَفَّ الله - تبارك وتعالى - ودفع عن الأمة شرًّا كثيرًا، فالواجب التواصي بالحق، وحفظ هذا الشأن، وأمر الناس به، وتعاهد المجتمعات بين الفينة والأخرى في ضبطه وإحكامه، والانتباه لغزو العدو الماكر في هذا الباب، والمرابطة لحفظ هذا الحصن، ولزوم الثَّغْر، واحتساب الأجر.

رابعًا: النظر والتأمل في العواقب الوخيمة، والواقع البائس الذي انتهت إليه تلك المجتمعات التي انفرط فيها العِقْد، وانحلَّ النظام، وهُتِك الستر.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦).

٦٠- حدثنا أبو أسامة، عن الحسن بن عيَّاش، عن مغيرة قال: «سُئِلَ إبراهيمُ عن الرجل يقول للرجل: أمؤمن أنت؟ قال: الجواب فيه بدعة، وما يسرني أني شككتُ»[1].

هذا الأثر يتعلق بمسألة الاستثناء في الإيمان التي سلفت، وهو يدل على أن السؤال عن ذلك من بدع المرجئة، وأحدثوا ذلك من أجل تقرير عقيدتهم في أن الإيمان شيءٌ واحد، ولهذا وافق إبراهيم - رحمه الله تعالى - السلف في تبديع هذا السؤال، والجواب عليه؛ لأن المسلم لا يشك في أصل إيمانه، ولا يجوز الاستثناء فيه على هذا المنزع البدعي، وسبق بيان ذلك وتوضيحه.

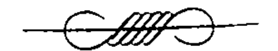


---

(١) أخرجه: عبد الله (٦٥٣، ٧١٣، ٧١٧)، والخلال (١٣٣٧، ١٣٥٠)، والآجري (٣٠٠-٣٠١)، وابن بطة (١٢١٧) من طرق عن إبراهيم بعدة ألفاظ، والمعنى واحد.

٦١- حدثنا أبو أسامة، عن حَبِيب بن الشهيد، عن عطاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن»[1].

هذا الحديث سبق تخريجه، والكلام على معناه.



(١) أخرجه: عبد الله (٧٥٤)، والخلال (١٢٦١)، واللالكائي (١٨٦٨)، هكذا موقوفًا، وهو في الصحيحين وغيرهما مرفوعًا، وقد سبق.

٦٢- حدثنا أبو خالد الأحمر، عن الأعمش، عن عمارة بن عُمَيْر، عن أبي عمَّار، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «والله إن الرجل ليصبح بصيرًا، ثم يُمْسِي ما ينظر بِشُفْر[1]»[2].

هذا دليل على تقلب القلوب، وهو بمعنى حديث: «**إن الرجل يصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا**» - كما سيأتي - فالرجل في أول النهار يكون مبصرًا للحق عارفًا به، ومميزًا له عن الغَيِّ والضلال، ويمسي أعمى عنه متنكرًا له، وهذا بسبب الفتن والبلاء، وكثرة الشرور والمنكرات، فاللهم ثبِّتنا على الحق حتى الممات.



(١) قال في النهاية (٢/ ٤٨٤): «الشُّفْر - بالضم، وقد يفتح: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر».

(٢) أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن (١٢٠)، والخلال (١٤٩٢، ١٦١١)، وابن بطة (١١٧١)، وأبو نعيم (١/ ٢٧٣) من طريق الأعمش به، وأخرجه الخلال (١٦١٠)،

٦٣- حدثنا ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن سعيد بن يسار قال: «بلغ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا بالشام يزعم أنه مؤمن، قال: فكتب عمر أن اجلبوه عليَّ، فقدم على عمر، فقال: أنت الذي تزعم أنك مؤمن؟ فقال[1]: هل كان الناس على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا على ثلاثة منازل: مؤمن، وكافر، ومنافق، والله ما أنا بكافر، ولا نافقت[2]، قال: فقال عمر: ابسط يدك». قال ابن إدريس: «رِضًا بما قال[3]»[4].

هذا الأثر يتعلق بمسألة الاستثناء في الإيمان، وسبق تقريره وتوضيحه، وأن العبد إن كان باعتبار أصل إيمانه فإنه لا يستثني، وإنما يجزم بذلك، وهو الذي قصده الرجل في قصته مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما إن كان باعتبار الإيمان المطلق، وكماله، واستيفاء شعبه فلا يشهد لنفسه بهذا.



(١) في المصنف: (قال: نعم، هل كان الناس...).

(٢) في المصنف: (ما أنا بكافر، ولا منافق).

(٣) هكذا في المخطوط، والذي في المصنف: (قال ابن إدريس: قلت: رضًا بما قال؟ قال: رضًا بما قال).

(٤) أخرجه: البيهقي في الشعب (٧٣) من طريق ابن إسحاق به، ولم يصرِّح بالسماع، وابن يسار لم يدرك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ينظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٢٠)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٠٢).

٦٤- **حدثنا شَبَابَة بن سوَّار، نا ليث بن سعد، عن يزيد، عن سعد بن سنان، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «تكون بين يدي الساعة فتن كقِطَعِ الليل المُظْلِم، يُصْبح الرجل فيها مؤمنًا ويُمْسي كافرًا، ويُصْبح كافرًا ويُمْسي مؤمنًا»[(١)].**

الفوائد:

الأولى: هذا خبر صدق أنَّ بينَّ يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، أي: أن كل فتنة كقطعة من الليل المظلم في شدَّتها وظلمتها، والتباس الحق فيها، وشيوعها واستمرارها، وعدم معرفة وجه الخروج والخلاص منها، فهي فتن حالكة السواد، مستحكمة الظُّلْمة، يخفى فيها وجه الحق، ويكثر فيها البلاء والشر.

قال النووي: «معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة؛ كتراكم ظلام الليل المُظْلم لا المُقْمِر»[(٢)].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢١٩٧)، والفريابي في صفة النفاق (٩٧)، وأبو يعلى (٤٢٦٠)، وابن عدي (٨٢٨١)، والحاكم (٨٥٧٤)، والداني في الفتن (٤٨) من طريق يزيد به.
قال الترمذي: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه»، وعلته سعد بن سنان، ويقال: سنان بن سعد الكندي المصري، تفرد به عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو متكلَّم فيه، ونصَّ بعض النقاد على إنكار أحاديثه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن معنى الحديث ثابت عن غير أنس من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، منها ما في صحيح مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسيأتي. ينظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٢٦٥)، الميزان (٢/ ١٢١)، التقريب (٢٢٣٨)، موسوعة أقوال الإمام أحمد (٣/ ٤٤).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٣٣)، وينظر: النهاية (٤/ ٨٣)، تاج العروس (٢٢/ ٣٥)، تحفة الأحوذي (٦/ ٣٦٦).

الثانية: الواجب على العبد المسلم في زمن الفتن أن يعتني بتحقيق أمور تحصل بها النجاة والسلامة من هذه الفتن، والخروج منها سالمًا مُعَافًى، **ومِنْ ذلك**:

- التَّأْيُ والبُعْد عن الفتن، والفرار منها، وعدم المشاركة ولو بكلمة فيها، وسبل المشاركة في هذا الزمن تيسرت من خلال وسائل التواصل، وهي كثيرة المخاطر، عظيمة المزالق.

- كثرة العمل الصالح؛ ولذا قال النبي ﷺ كما في «الصحيح»: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم**»[(١)]، فالموفق يبتدر الفتنة قبل وقوعها بالعمل الصالح، فإذا وقعت أَمِن منها وسَلَّمه الله - تبارك وتعالى - من أثرها.

وبعض الناس في زمن الفتن يشتغلون - كما هو الحال الآن - بالقيل والقال، والتحليل والتفسير، والغدو والرواح في الفتنة، وهذه أمارة أن الله لم يُرِد بهذا العبد خيرًا، فأما إذا أقبل العبد على نفسه، واشتغل بعبادة ربه - تبارك وتعالى - وفي طلب العلم، فهذه نجاة وسلامة محققة، وثواب ذلك أنه كهجرة إلى النبي ﷺ؛ كما ورد في حديث معقل بن يسار رضي الله عنه[(٢)]، فالفرار بالدين في عهد النبي ﷺ وإحرازه وحفظه يكون بالهجرة إليه ﷺ، وفي زمن الفتن بالهجرة إلى الهُدَى ودين الحق الذي جاء به ﷺ.

- كثرة الدعاء، والإلحاح على الله تعالى بالنجاة من الفتن ما ظهر

---

(١) أخرجه: مسلم (١١٨).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٩٤٨).

منها وما بطن.

- صحبة الأخيار والصالحين، لا سيما أهل العلم والبصيرة، وحضور مجالسهم، والاستفادة منهم.

- الأناة وعدم العجلة في نقل الأخبار، وتتبع الشائعات[١].



(١) ينظر: موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة للدكتور حسين الحازمي، **الفتن وموقف المسلم منها** للدكتور علي الضويحي، **بصائر في الفتن** لمحمد بن أحمد المقدّم.

٦٥- حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي عمرو السَّيْبَاني قال: قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني لأعلم أهل دِينَين، ذلك الدِّينان[١] في النار: أهل دين يقولون: الإيمان كلام ولا عمل، وإن قتل وإن زنى، وأهل دين يقولون: [أوَّلُونا][٢] - أُرَاه ذكر كلمةً[٣] - حين يأمرونا[٤] بخمس صلوات كل يوم، وإنما هما صلاتان: صلاة العشاء، وصلاة الفجر»[٥].

الفوائد:

الأولى: الطائفة التي أنكر عليها حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قولها: الإيمان كلام ولا عمل من فرق المرجئة، وهم الكرَّامية، فهم يرون أن الإيمان إقرار باللسان، وهذا من أشدِّ الإرجاء، وأقرب منهم الكُلَّابية ومرجئة الفقهاء الذين قالوا: الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، والأعمال ليست منه، فالإرجاء مراتب.

---

(١) في المصنف: (أهل ذينِك الدِّينين في النار).

(٢) في المخطوط: (لولونا)، ولعلها محرفة عن: (أولونا)، والذي في المصنف: (إن كان أولونا)، ولعل ما سقط وصفهم بأنهم ضُلَّال حين يأمرونهم بخمس صلوات، وإنما هما صلاتان.

(٣) في المصنف: (ذكر كلمة سقطت عني).

(٤) في المصنف: (ليأمرونا).

(٥) أخرجه: أبو عبيد في الإيمان (٢١)، وعبد الله (٦٦٣)، والطبري في تهذيب الآثار (٩٦٤-٩٦٥)، والخلال (١٣٥٦،١٣٦٩)، والآجري (٣٠٩ - ٣١٠)، وابن بطة (١٢٢٩، ١٢٤٦)، واللالكائي (١٧١٧)، والحاكم (٨٥١٤) من طريق الأوزاعي به. والسيباني لم يدرك حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وروايته عن الصحابة مرسلة.

قال ابن تيمية عن المرجئة: «وأقربهم الكُلابية؛ يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، والقول باللسان، والأعمال ليست منه»(١).

وقال عن الكرَّامية: «باينوا سائر الطوائف في قولهم: إن الإيمان هو القول باللسان، فمن أقرَّ بلسانه كان مؤمنًا، وإن جحد بقلبه قالوا: وهو مؤمن مخلَّد في النار؛ فإن هذا لم يقله غيرهم»(٢).

وقال أيضًا: «وآخر الأقوال حدوثًا في ذلك قول الكرامية: إن الإيمان اسم للقول باللسان، وإن لم يكن معه اعتقاد القلب، وهذا القول أفسد الأقوال»(٣).

وقال ابن أبي العز: «وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط! فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به، وقولهم ظاهر الفساد»(٤).

الثانية: لازم قول المرجئة في إخراج العمل عن مسمى الإيمان أنه لا يضر معه ذنب، فإيمان العاصي المرتكب للكبائر من الزنا والسرقة وغيرهما كإيمان العبد الصالح المطيع! وهذا من أفسد الأقوال وأبطلها.

الثالثة: الطائفة الأخرى التي أنكر عليها حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذين يرون أن الواجب صلاتان فقط، وهذا كفر، وشبهة هؤلاء الأخذ بما دلَّ عليه

---

(١) النبوات (١/ ٥٨٠).

(٢) منهاج السنة (٣/ ٤٦٢)، وينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٤٠، ٣٨٧)، الإيمان الأوسط (ص٣٠٨-٣٠٩).

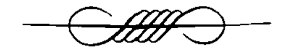
(٣) شرح الأصبهانية (ص٦٧١).

(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٤٦٠).

القرآن دون السنة؛ كما عليه طائفة القرآنيين المعاصرة[١]؛ إذ يقولون بمثل هذا، بل وبأفظع منه وأقبح، وقد ذكر الإمام الشافعي أن مِنْ لازم عدم الأخذ بالسنة هذه العظائم، قال: «أفضى به عظيم إلى عظيم من الأمر، فقال: مَن جاء بما يقع عليه اسم صلاة، وأقل ما يقع عليه اسم زكاة فقد أدَّى ما عليه، لا وقت في ذلك، ولو صلى ركعتين في كل يوم، أو قال: في كل أيام، وقال: ما لم يكن فيه كتاب الله فليس على أحد فيه فرض»[٢].

وقد حكى ابن حزم عن طائفة من الخوارج أنه لا يجب إلا ركعة واحدة بالغداة وأخرى بالعشي[٣].

الرابعة: كون حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرن بين منكري بعض الصلوات والمرجئة يقتضي عظيم الذمِّ لمذهبهم، وإن لم يكن الحكم عليهما واحدًا، فالمرجئة ليسوا كفارًا بخلاف منكري الصلاة أو بعضها، وأشار إلى هذه المقارنة ودلالتها على الذم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه «الإيمان» تحت باب: ذكر ما عابت به العلماء مَنْ جعل الإيمان قولًا بلا عمل[٤].



(١) ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم حسين إلهي بخش.

(٢) جماع العلم (ص١١).

(٣) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٤٤).

(٤) (ص٦٢-٦٣).

٦٦- حدثنا أبو خالد الأحمر، عن ابن عجلان، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان ستون أو سبعون، أو بضعٌ، أو أحد العددين، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[١].

٦٧- حدثنا ابن عيينة، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان»[٢].

۞ الفوائد:

الأولى: أن الإيمان شُعَب، منها الأعلى والأدنى، والباطن والظاهر، والأقوال والأفعال، فمراتبه متباينة، وشُعَبُه متفاوتة[٣].

الثانية: أن الأعمال داخلة في مسمَّى الإيمان، وذكر النبي ﷺ أعلى ذلك وأدناه.

الثالثة: أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا إما أن يكون نقصًا لكماله المستحب؛ كما في الأحوال، أو الأعمال التي ليست بواجبة، وإما نقصًا

---

(١) أخرجه: البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٥)، والترمذي (٢٨٠١)، والنسائي (٥٠٤٨)، وابن ماجه (٥٧)، وأحمد (٨٩٢٦) من طرق عن أبي صالح به.

(٢) أخرجه: البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦)، وأبو داود (٤٧٩٥)، والترمذي (٢٦١٥)، والنسائي (٥٠٧٧)، وابن ماجه (٥٨)، وأحمد (٤٥٥٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ مرَّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: **«دعه فإن الحياء من الإيمان»**.

(٣) ينظر: فتح الباري (١/ ٥٣).

لكماله الواجب إذا ترك شيئًا من الأعمال الواجبة، أو فعل شيئًا من الأمور المحرمة، وربما ذهب منه أصل الإيمان بذهاب شعبة من شعبه، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فلو ذهب التصديق من القلب ذهب أصل الإيمان.

قال ابن تيمية عن الإيمان: «وهو مركب من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصًا يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة، فالناس فيه ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق. . ، فمن أجزائه ما إذا ذهب نقص عن الأكمل، ومنه ما نقص عن الكمال، وهو ترك الواجبات أو فعل المحرمات، ومنه ما نقص ركنه وهو ترك الاعتقاد والقول الذي يزعم المرجئة والجهمية أنه مسمى فقط، وبهذا تزول شبهات الفرق، وأصله القلب، وكماله العمل الظاهر، بخلاف الإسلام فإنَّ أصله الظاهر وكماله القلب»[(١)].

الرابعة: التفاوت بين المؤمنين في تحقيق الإيمان، وأنهم ليسوا على درجة واحدة، فبحسب ما يكون عند العبد من التكميل في الشعب والعمل بها يكون كمال إيمانه، وبقدر ما ينقص من هذه الشعب ينقص إيمانه.



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٧).

٦٨- حدثنا وكيع، نا الأعمش، عن سلمة بن كُهَيْل، عن حَبَّةَ العُرَني قال: «كنا مع سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد صافَفنا العدو، فقال: هؤلاء المؤمنون، وهؤلاء المنافقون، وهؤلاء المشركون، فينصر الله المنافقين بدعوة المؤمنين، ويؤيد الله المؤمنين بقوة المنافقين»(١).

الفوائد:

الأولى: قوله: (**صافَفنا العدو...**) المراد أن المؤمنين والمنافقين في صفٍّ، والمشركين في صفٍّ، فينصر الله المنافقين بدعوة المؤمنين؛ إذ دعاء المنافق لا يُقبل ولا يُرفع، فالمؤمن يستنصر ربه - تبارك وتعالى - فينصر الله القوم المؤمنين وإنْ كان معهم منافقون، ويؤيد الله المؤمنين بقوة المنافقين في كونهم معهم ويكثرون سوادهم، وهذا شاهد لما ورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الله ليؤيد هذا الدِّين بالرجل الفاجر**»(٢).

الثانية: أن الناس متفاوتون، فيهم: المؤمن، والمنافق، والكافر، وهذه مراتب الناس باعتبار أحوال الدِّين، والتي يوافون بها الآخرة، ثلاثة أقسام لا رابع لها.



(١) أخرجه: الفريابي في صفة النفاق (٥٥)، والبيهقي (١٧٩٣٢) من طريق الأعمش به، وحبة العُرَني: هو ابن جُوَين أبو قُدَامة الكوفي، متكلم فيه عند الجمهور، قال ابن حجر: «صدوق له أغلاط، وكان غاليًا في التشيع». ينظر: تهذيب الكمال (٥/ ٣٥١)، الميزان (١/ ٤٥٠)، تهذيب التهذيب (٢/ ١٧٦)، التقريب (١٠٨١).

(٢) أخرجه: مسلم (١١١).

٦٩- حدثنا عَبْدة بن سليمان، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي قُرَّة قال: قال سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل: «لو قُطِّعت أعضاء ما بلغت الإيمان. - أو كما قال»(١).

الفوائد:

الأولى: المقصود بذلك: أن العبد لو قُطِّع في سبيل الله - تبارك وتعالى - ما بلغ الإيمان، فهذا فيه نفي التزكية عن النفس، وأن العبد لا يزعم أنه قد بلغ الإيمان المطلق، ووفَّى حق الله - تبارك وتعالى - عليه.

الثانية: قال محمد بن نصر المروزي: «الإيمان ليس له غاية؛ لأن المعرفة أصل الإيمان، ولكن الله من رأفته ورحمته لهم افترض عليهم من الإيمان ما لا يجهدهم ولا يستفرغ طاقتهم، ولو شاء لافترض عليهم أكثر من ذلك، ولو افترضه عليهم لكان إيمانًا مفترضًا، ولو تقطَّع عباده ما بلغوا غاية المعرفة به، ألم تسمع إلى قول سلمان لحُجْر: «لو تقطعت أعضاء ما بلغت الإيمان»، وصدق؛ لأنه ليس للمعروف غاية عند العارفين، فيكون لمعرفتهم به غاية»(٢).

(١) أخرجه: المروزي في فوائد ابن معين (١٣) عن عبدة به. وأخرجه: ابن نصر (٨٠١)، والخلال (١٥٤٧)، وابن بطة (١١٦٠) من طريق يعلى بن عبيد، عن الأعمش، عن أبي إسحاق قال: قال سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحجر: «يا بن أم حجية، لو تقطعت أعضاء...»، ليس فيه أبو قرة، وأبو إسحاق لم يسمع من سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولعل الأرجح رواية عبدة عن الأعمش، لكن يبقى الكلام في حال أبي قرة فلا يعرف له اسم، ولم أقف على جرح أو تعديل فيه سوى ذكر ابن حبان له في الثقات، ولم يروِ عنه غير أبي إسحاق. ينظر: الكنى والأسماء لمسلم (٢٨٠٠)، الثقات (٥/ ٥٨٧)، الاستغناء لابن عبد البر (٢٣١٠)، تهذيب الكمال (٢٢/ ١٠٢)، تعجيل المنفعة (٤٠٦).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (ص٥٢٣).

الثالثة: فيه رد على المرجئة الذين جعلوا إيمان الناس واحدًا غير متفاضل، ولو عملوا ما عملوا من الطاعات أو المعاصي، وهذا مذهب سوء يخالف النقل والعقل.

الرابعة: أن العبد لا يُعجب بعمله، مهما بلغ من الاجتهاد في الطاعة؛ إذ النقص يعتوره، والخطأ يكتنفه؛ كما قال ﷺ: «**كلُّ بني آدم خطَّاء، وخيرُ الخطَّائين التوابون**»[1].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (١٣٠٤٩)، وفي إسناده ضعفٌ، وقواه ابن حجر في البلوغ (١٤٧٧).

٧٠- حدثنا حماد بن مَعْقل، عن غالب، عن بَكْر قال: «لو سُئلت عن أفضل أهل المسجد، فقالوا: تشهد[(١)] أنه مؤمن مستكمل الإيمان، بريء من النفاق؟ لم أشهد، ولو شهدت لشهدت أنه في الجنة. ولو سئلت عن شرِّ أو أخبث[(٢)] - الشك من أبي العلاء[(٣)] - رجل، فقالوا: تشهد أنه منافق مستكمل النفاق، بريء من الإيمان؟ لم أشهد، ولو شهدت لشهدت أنه في النار»[(٤)].

الفوائد:

الأولى: أن معيار المفاضلة فيما ظهر من الأعمال؛ ولهذا قال: **(لو سئلت عن أفضل أهل المسجد)** فالعبد إنما نشهد له بحسب ما أظهر لنا من خير أو شر، وليس لنا الحكم على باطنه وسريرته.

الثانية: فضيلة شهود المسجد، وأن الفضل في الظاهر بالاعتبار لمن شهد المسجد، وشهد جماعة المسلمين في هذه الصلوات المفروضات.

الثالثة: أنه لا يمكن الحكم على من أظهر سوءًا بالمآل المطلق،

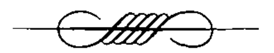
(١) في المصنف: (نشهد) في الموضعين، وهو بالتاء أسبك.

(٢) في المصنف: (أشر أو أخبث).

(٣) في النسخ المحققة من المصنف (الشك من أبي بكر)، والمقصود ابن أبي شيبة، وإن كان أبو العلاء هو الصواب، فلعل المقصود أبو العلاء الوكيعي راوي الكتاب عن ابن أبي شيبة.

(٤) أخرجه: الطبري في التهذيب (١٠٠٤)، وحرب في مسائله (٣/ ١٠٧٤-١٠٧٥)، والخلال (١٥٤٤)، وابن بطة (١٠٤٥) من طريق غالب القطان، وعند بعضهم فيه قصة وسياقه أطول، وإسناده حسن، وأخرجه: أبو نعيم (٢/ ٢٢٤)، والخطيب في المتفق والمفترق (١٦٩) من طريق معمر، عن بكر المزني بنحوه مطولًا.

والعقاب الأخروي حتمًا وجزمًا، وليس هذا من شأن أهل السنة وطريقتهم، وإنما يحكمون له بالظاهر الذي أبداه، ويسمونه باسمه الشرعي، فهم يرجون للمحسن، ويخافون على المسيء، بخلاف المُكَفِّرة من الخوارج، أو ضدهم من المرجئة، ومن قواعد أهل السنة أنهم يفرقون بين الحكم الظاهر والباطن، والحكم الدنيوي والأخروي(١).



(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٧٢، ٦٢٠-٦٢١)، الإيمان الأوسط (ص٣٠٤، ٥٦٧-٥٦٨، ٥٧٦)، مدارج السالكين (٢/ ٢٠٧).

٧١- حدثنا عبد الله بن نُمَيْر، نا فُضَيْل بن غَزْوَان، نا عثمان بن أبي صفيَّة الأنصاري قال: قال عبد الله بن عباس ﵄ لغلمانه يدعو غلامًا غلامًا يقول: «أَلَا أُزَوِّجك؟ ما من عبد يزني إلا نزع الله منه نور الإيمان»(١).

الفوائد:

الأولى: مشروعية المبادرة بتزويج الشاب؛ لأن الزواج منجاة من الفتن، وسترٌ وعفاف للرجل وللمرأة.

الثانية: خطورة الفتن على الشابِّ والشابة، فقوة الشهوة التي في نفوسهم ربما حملت على مواقعة شيء من المعاصي، واقتراف شيء من الذنوب، لا سيما ما يتعلق بباب الشهوات والفواحش. نسأل الله العافية.

الثالثة: التحذير من الزنا، وأثره على نقص الإيمان، وأنه ينزع منه نوره وكماله الواجب.



(١) أخرجه: عبد الله (٧٥٥)، وابن نصر (٥٥٨)، والخلال (١٢٦٥)، وابن بطة (٩٦٧) من طريق فُضَيل به، واختلف في رفعه ووقفه، والمحفوظ وقفه، وعثمان بن أبي صفية فيه جهالة، ولم يسمع من ابن عباس ﵄؛ كما قال أبو حاتم، لكن تابعه مجاهد، عنه بنحوه، وسيأتي عند المصنف، ومعناه في الصحيح، وقد علَّقه البخاري (٨/ ١٥٧).
ينظر: المراسيل لابن أبي حاتم (٤٤٩)، جامع التحصيل (٥٠٧)، تغليق التعليق (٥/ ٢٢٨).

٧٢- حدثنا سليمان بن حرب، عن حماد بن سلمة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن»[(١)].

٧٣- حدثنا أبو معاوية، عن الشيباني، عن ثعلبة، عن أبي قِلابة، حدثني الرسول الذي سأل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقال: «أنشدك بالله[(٢)]؛ أتعلم أن الناس كانوا على عهد رسول الله ﷺ على ثلاثة أصناف: مؤمن السريرة مؤمن العلانية، وكافر السريرة كافر العلانية، ومؤمن العلانية كافر السريرة؟ قال: فقال عبد الله: اللهم نعم. قال: فأنشدك بالله؛ مِنْ أيهم كنتَ؟ قال: فقال: اللهم كنت مؤمن السريرة مؤمن العلانية، أنا مؤمن. قال أبو إسحاق: فلقيت عبد الله بن معقل[(٣)]، فقلت: إنَّ أناسًا من أهل الصلاح يعيبون عليَّ أن أقول: أنا مؤمن؟ قال: فقال عبد الله بن معقل: لقد خبتَ وخسرتَ إنْ لم تكن مؤمنًا»[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه رقم (٣٩).

(٢) في المصنف: (أسألك بالله).

(٣) في المخطوط: (مغفل)، والصواب: (معقل) كما في المصنف ومصادر التخريج، وتقدم نحوه في رقم (٣٠).

(٤) أخرجه: الطبري في تهذيب الآثار (٩٨٢) من طريق أبي معاوية به، وفي إسناده رجل مجهول بين أبي قلابة وابن مسعود رضي الله عنه، ورُوي عن أبي مسلم الخولاني أنه وقع له نحو هذه القصة مع ابن مسعود رضي الله عنه وأصحابه؛ كما عند الطبراني في مسند الشاميين (١٤٤٣)، وإسنادها ضعيف، وقد سبق أنَّ الأئمة أنكروا رجوع ابن مسعود عن القول بالاستثناء؛ إذ المحفوظ عنه القول به، وقد تقدم قول ابن معقل برقم (٣٠) وإسناده صحيح.

في هذا الأثر أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجع عن القول بالاستثناء، وهذا لا يصح عنه، فقد أنكر الأئمة رجوعه عن ذلك؛ كما سيأتي عند الكلام على الأثر رقم (٧٦).

وقول عبد الله بن معقل: **(لقد خبت وخسرت...)** سبق الكلام عليه في مسألة الاستثناء.



٧٤- حدثنا أبو معاوية، عن موسى بن مسلم الشيباني، عن إبراهيم التيمي قال: «وما على أحدهم أن يقول: أنا مؤمن؟ فوالله؛ إن كان صادقًا لا يُعذِّبه الله على صدقه، ولئن كان كاذبًا لما دخل عليه من الكفر أشدُّ[١] من الكذب»[٢].

هذا الأثر يتعلق بمسألة الاستثناء، وأن العبد يجزم في أصل إيمانه ولا يستثني فيه، فيقول: أنا مؤمن، فإنْ كان صادقًا فإن الله لا يعذبه على صدقه في الإقرار بالتوحيد وأصل الإيمان، ولئن كان كاذبًا في هذا الادِّعاء لما دخل عليه من الكفر أشدُّ من الكذب، في كونه ادَّعى الإيمان وهو كاذب، فكفره أعظم من كذبه في هذه الدعوى، وهذا توجيه لقول إبراهيم التيمي في الجزم وعدم الاستثناء؛ ليوافق مذهب أهل السنة، وإلا فهو رَحِمَهُ اللَّهُ ممن رُمِي بالإرجاء[٣]، فيكون كلامه تأكيدًا لمذهب المرجئة في النهي عن الاستثناء في الإيمان.



(١) في المصنف: (أشدُّ عليه).

(٢) لم أقف عليه عند غيره، وإسناده صحيح.

(٣) ينظر: مسائل حرب الكرماني (ص٤٦٠)، صحيح ابن حبان (١/ ١٦٠)، المستخرج من كتب الناس للتذكرة لابن منده الأصبهاني (٣/ ١٣٢).

٧٥- حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قيل له[١]: «أمؤمن أنتَ؟ قال: أرجو»[٢].

سبق معناه والكلام عليه في الأثر رقم (٢٤).

---

(١) في المصنف: (قال له رجل).

(٢) سبق تخريجه رقم (٢٤).

٧٦- حدثنا أبو معاوية، عن داود بن أبي هند، عن شَهر بن حَوشب، عن الحارث بن عَمِيرَة الزَّبِيدي[١] قال: وقع الطاعون بالشام، فقام معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بحمص فخطبهم، فقال: إن هذا الطاعون رحمة ربكم، ودعوة نبيكم ﷺ، وموت الصالحين قبلكم، اللهم اقسم لآل معاذ نصيبهم الأوفى منه، فلما نزل عن المنبر أتاه آتٍ، فقال: إن عبد الرحمن بن معاذ قد أُصيب، فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٦]**، ثم انطلق نحوه، فلما رآه عبد الرحمن مقبلًا، قال: يا أبتِ[٢] ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾** [البَقَرَة: الآية ١٤٧] **قال: يا بني؛ ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾** [الصَّافات: الآية ١٠٢] **قال: فمات آل معاذ إنسانٌ إنسانٌ[٣]، حتى كان معاذ آخرَهم،**

---

(١) هكذا سمَّاه شهر بن حوشب (الحارث بن عميرة)، وقيل: الصواب في اسمه (يزيد بن عَميرة)، وابن ناصر الدين في التوضيح جعلهما أخوين، الحارث يروي عن معاذ، ويزيد يروي عن ابن مسعود، وكلاهما له ترجمة في كتب الرجال، والذي يظهر لي: أنه في هذا الحديث الحارث بن عميرة، فهو الذي حضر معاذًا عند وفاته، وهل هو (زُبَيْدي) أو (زَبِيدي) فيه اختلاف، واختار ابن حجر الثاني، وأنه من زَبِيد في اليمن؛ إذ صحب معاذًا هناك، ثم قدم معه إلى الشام، توفي في ولاية يزيد بن معاوية. ينظر: التاريخ الكبير (٨/ ٣٥٠)، الثقات (٤/ ١٣٢)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٤٦٥، ١٤٦٧)، تالي تلخيص المتشابه (٢/ ٤٩٧)، المستخرج من كتب الناس للتذكرة (٢/ ٤٤٧-٤٤٨)، إكمال الإكمال (٤/ ٢٢١)(٦/ ٢٧٩)، تاريخ دمشق (١١/ ٤٥٨-٤٦٣)، تهذيب الكمال (٣٢/ ٢١٧)، التكميل في الجرح والتعديل (٢/ ٣٦٢-٣٦٣)، توضيح المشتبه (١/ ٩٤٧)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٥١)، الإصابة (٣/ ١٧)، التقريب (٧٧٥٩).

(٢) (يا أبت) ليست في المصنف.

(٣) هكذا في المخطوط وبعض طبعات المصنف: (إنسانٌ إنسانٌ) بالرفع، وإعرابها بدل =

فأُصيب[١] فأتاه الحارث بن عَمِيرة الزَّبيدي يعوده، قال: وغُشِيَ على معاذ غَشْيَة، فأفاق معاذ والحارث يبكي، فقال معاذ: ما يبكيك؟ فقال: أبكي على العِلْم الذي يُدْفَن معك، فقال: إن كنتَ طالب العلم لا محالة فاطلبه من عبد الله بن مسعود، ومن عويمر أبي الدرداء، ومن سلمان الفارسي، وإياك وزلَّة العالِم، فقلت: وكيف لي - أصلحك الله - أن أعرفها؟ قال: للحق نور يُعْرَف به. قال: فمات معاذ - رحمة الله عليه - وخرج الحارث يريد عبد الله ابن مسعود بالكوفة، فانتهى إلى بابه، فإذا على الباب نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود يتحدثون، فجرى بينهم الحديث حتى قالوا: يا شامي، أمؤمن أنتَ؟ فقال: نعم، قال: فقالوا: من أهل الجنة؟ قال: إنَّ لي ذنوبًا، وما أدري ما يصنع الله فيها[٢]، فلو أعلم أنها غُفِرَت لي لأنبأتكم أني من أهل الجنة، قال: فبينما هم كذلك؛ إذ خرج عليهم عبد الله، فقالوا[٣]: ألا تعجب من أخينا هذا الشامي! يزعم أنه مؤمن، ولا يزعم أنه من أهل الجنة، فقال عبد الله: لو قلت إحداهما لأتبعتها الأخرى، فقال الحارث: إنا لله

= تفصيل من (آل)، ولها وجه بالنصب فتكون حالًا، لكن يشكل عليه أن لفظ (إنسان) جامد، فلا بد من تأويله بمشتق، فيكون الرفع على هذا أولى من النصب؛ إذ لا يحتاج إلى تقدير، وهذا من إفادة شيخنا العلامة عبد الله بن صالح الفوزان، حفظه الله ورعاه، ومتَّعه متاع عباده الصالحين.

(١) في المصنف: (حتى كان معاذ آخرهم، قال: فأصيب...).

(٢) في المصنف: (لا أدري ما يصنع الله فيها).

(٣) في المصنف: (فقالوا له).

وإنا إليه راجعون، صلى الله على معاذ، قال: ويحك! ومَنْ معاذ؟ قال: معاذ ابن جبل، قال: وما ذاك؟ قال: قال: إياك وزلَّة العالِم، فأحلف بالله إنها منك لزلَّة يابن مسعود، وما الإيمان إلا أنَّا نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والجنة والنار، والبعث، والميزان، ولنا ذنوب ما ندري ما يصنع الله فيها، فلو أنا نعلم أنها غفرت لنا لقلنا: إنَّا من أهل الجنة، قال: فقال عبد الله: صدقتَ والله، إنْ كانت مني لزلَّة، صدقت والله، إن كانت مني لزلَّة[١]»[٢].

الفوائد:

الأولى: الشاهد منه يتعلق بمسألة الاستثناء في الإيمان، وأن

---

(١) في المصنف قالها مرة واحدة.

(٢) لم أقف عليه عند غيره بهذا السياق المطول، وأخرجه: عبد بن حميد (١٢٩) عن ابن أبي شيبة به مقتصرًا على قول معاذ في أوله، وأخرجه: الطبري في التهذيب (٩٨١) من طريق داود بن أبي هند يذكر عن شهر بن حوشب قال: لما أصيب معاذ أتاه أخ يقال له: الحارث بن عميرة، فذكر نحوه مختصرًا، وأخرجه مطولًا بسياق مختلف: البزار (٢٦٧١) من طريق شهر، عن عبد الرحمن بن غَنْم، عن الحارث به، فكلها تدور على شهر، فإسنادها ضعيف. وأخرجه: الحاكم (٨٥١٦) من طريق عكرمة مولى ابن عباس، عن الحارث بن عميرة ببعضه مختصرًا، وفي (٨٦٦١) من طريق أبي قلابة، عن يزيد بن عميرة ببعضه أيضًا، كما أنَّ الحديث يرويه ابن عميرة فقط، قال البخاري (٨/ ٣٥٠) في ترجمته: «سمع معاذ بن جبل، وقدم الكوفة وسمع ابن مسعود، لم يتابع عليه، يُعْرَف بحديث واحد». وللحديث عن معاذ طرق أخرى عند: الترمذي (٣٨٠٤)، والنسائي في الكبرى (٨٣٩٣)، وأحمد (٢٢١٠٤)، وغيرهم بسياقات مختلفة مختصرًا ومطولًا، وكلها لا تخلو من مقال.

ابن مسعود رضي الله عنه رجع عن القول به، لكن هذا غير ثابت؛ لضعف الأثر كما تبين في التخريج، وقد أنكر الأئمة؛ كيحيى القطان، وأحمد، وابن تيمية رجوعه عن قوله في الاستثناء.

قال أبو عبيد: «وقد رأيتُ يحيى بن سعيد يُنكره، ويطعن في إسناده؛ لأنَّ أصحاب عبد الله على خلافه»(١).

وفي كتاب «السنة» للخلال: «إن الحسن بن محمد بن الحارث سأل أبا عبد الله: يصح قول الحارث بن عميرة أن ابن مسعود رجع عن الاستثناء؟ فقال: لا يصح، أصحابه يعني على الاستثناء»(٢).

وقال ابن تيمية: «وأنكر أحمد بن حنبل حديث ابن عميرة أن عبد الله رجع عن الاستثناء»(٣).

الثانية: في قول معاذ - رضي الله تعالى عنه - في هذا الأثر؛ إنَّ الطاعون دعوة نبيكم إشارة إلى ما رُوِي في الحديث: «**اللهم اجعل فناء أمتي بالطعن والطاعون**»، وفي رواية بلفظ الخبر: «**فناء أمتي بالطعن والطاعون**»(٤).

الثالثة: في قول معاذ رضي الله عنه: (**اللهم اقسم لآل معاذ نصيبهم الأوفى**

---

(١) كتاب الإيمان (ص٤٠).

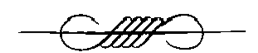
(٢) (٣/ ٥٩٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٧).

(٤) أخرجه: أحمد (١٩٥٢٨)، والطيالسي (٥٣٦)، وأبو يعلى (٧٢٢٦)، وغيرهم عن أبي موسى رضي الله عنه. وفي إسناده اختلاف وجهالة. ينظر: علل الدارقطني (٧/ ٢٥٥)، أنيس الساري (٢٥٢٤).

منه) هذا فيه تمني البلاء، ورُوي نحو ذلك عن غيره من الصحابة؛ كأبي عبيدة وأُبَيِّ بن كعب، والمقرر أن العبد مأمور بسؤال العافية، فالجواب: أنه اجتهاد منهم ﷺ، لمَّا تأولوا أن هذه الأمراض كفارات ورحمة من الله لعبده، أو هو محمول على تمني الشهادة عند حضور سبب الموت؛ كالطاعون مثلًا.

قال ابن رجب في ذكر الأحوال التي يجوز فيها تمني الموت: «ومنها: تمني الموت عند حضور أسباب الشهادة؛ اغتنامًا لحضورها، فيجوز ذلك أيضًا، وسؤال الصحابة الشهادة وتعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور، وكذلك سؤال معاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لما وقع بالشام»[١].



(١) لطائف المعارف (ص٢٩٦).

٧٧- حدثنا مصعب بن المِقْدَام، نا عكرمة بن عمار، نا أبو زُمَيْل، عن مالك بن مَرْثَد الزِّمَّاني، عن أبيه قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ: ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: «الإيمان بالله»، قال: قلت: يا نبي الله، إنَّ مع الإيمان عملًا[1]؟ قال: «تَرْضَخُ[2] مما رزقك الله» أو «يرضخ مما رزقه الله»[3].

هذا الأثر يدل على أنه لا إيمان بلا عمل، وأن أعمال الإيمان متفاوتة فيها الظاهر والباطن، وفيها المالي والبدني، ومنها الأفعال والتروك،

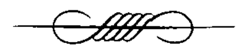
---

(١) في المصنف: (أوَ مع الإيمان عملٌ؟).

(٢) الرضخ: العطية القليلة. النهاية لابن الأثير (٢/٢٢٨). والمقصود أن يتصدق ولو بالقليل من المال، فإنه من أعمال الإيمان.

(٣) أخرجه: الطبراني (١٦٥٠)، والبيهقي في الشعب (٣٠٥٦)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢٨٧) من طريق عكرمة بن عمار به. وتمامه: قلت: يا نبي الله، فإن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ؟ قال: «**يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر**». قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؟ قال: «**فليعن الأخرق**». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: «**فليعن مظلومًا**». قلت: يا نبي الله، أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا؟ قال: «**ما تريد أن تترك لصاحبك من خير ليمسك أذاه عن الناس**». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال: «**ما من مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة**» وإسناده ضعيف؛ فمرثد بن عبد الله الزِّمَّاني فيه جهالة، لكن تابعه عند: الحاكم (٢١٣) عبد الرحمن بن أُذَينة، عن أبي ذر رضي الله عنه بنحوه مطولًا، وقد ورد في البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤) عنه رضي الله عنه مختصرًا بلفظ: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله وجهاد في سبيله**». قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: «**أنفسها عند أهلها وأغلاها ثمنًا**». قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «**تُعِينُ صانعًا أو تصنع لأخرق**». قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «**تعمل بيدك فتنفع نفسك وتتصدق**». قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «**تكفُّ شرك عن الناس، فذلك صدقة منك على نفسك**».

ففعل الخير للناس إيمان، وكفُّ الأذى عنهم إيمان، فهذا ما دلَّ عليه الحديث برواياته المتعددة.



٧٨- حدثنا عفان، نا حماد بن زيد، عن علي بن زيد، عن أم محمد، أن رجلًا قال لعائشة: «ما الإيمان؟ فقالت: أُفَسِّر أو أُجْمِل؟ قال: لا، بل أجملي، فقالت: مَنْ سرَّته حسنته، وساءته سيئته فهو مؤمن»[1].

الفوائد:

الأولى: أنَّ مَن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن؛ لأن من سلمت فطرته أحب الطاعة، وكره المعصية؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحُجرات: ٧]، فمن أحب الحسنات والمحسنين، وكره المعاصي والعاصين فهذا دليل على إيمان صحيح، ويقين راسخ.

قال ابن بطة: «من استبشر للحسنة تكون منه، وعلم أن الله تعالى وفَّقه لها وأعانه عليها فاستبشاره تصديق بثوابها، ومن اعتصر قلبه عند السيئة تكون منه، فخاف أنْ يكون الله قد خذله بها ليعاقبه عليها، وعلم أنه راجع إلى الله، وأنه مسائله عنها ومجازيه بها، فلولا حجة التصديق، وزوال الشك لما سرَّته الحسنة، ولا ساءته السيئة؛ لأنَّ المنافق لا يُسرُّ بالحسن من عمله، ولا ييأس على قبيح فرط منه؛ لأنه لا يُصَدِّق بثواب

---

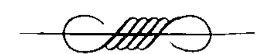
(١) أخرجه: عبد الله (٦٨١) من طريق علي بن زيد، وإسناده ضعيف؛ من أجل ابن جُدْعان، وأم محمد زوجة أبيه لم يوثقها سوى ابن حبان، لكنه ورد مرفوعًا عن عدد من الصحابة؛ كعمر، وأبي أمامة، وعامر بن ربيعة، وأبي موسى ﷺ، وكلها لا تخلو من مقال، وأمثلها حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على اختلاف في وصله وإرساله، ولعله بمجموعها يتقوى. ينظر: سنن الترمذي (٢١٦٥)، علل ابن أبي حاتم (١٩٣٣، ١٩٧٥)، علل الدارقطني (٢/ ٦٥)، جامع الأصول (٦/ ٦٦٩)، أنيس الساري (٢٤٣٣).

يرجوه، ولا بعقاب يخافه»[(١)].

وقال ابن تيمية: «حب الله ورسوله من الإيمان، وحب ما أمر الله به، وبغض ما نهى عنه هذا من أخص الأمور بالإيمان؛ ولهذا ذكر النبي ﷺ في عدة أحاديث أنَّ: «**من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن**» فهذا يحب الحسنة ويفرح بها، ويبغض السيئة ويسوؤه فعلها وإن فعلها بشهوة غالبة، وهذا الحب والبغض من خصائص الإيمان»[(٢)].

الثانية: أنَّ إنكار المنكر وكراهته أصل عظيم في الشرع، ومجرد كراهته إذا عَجَز عن تغييره سلامة ونجاة؛ كما في قول النبي ﷺ في حديث أم سلمة: «**فمن كَرِه فقد برئ**»[(٣)].

الثالثة: أنَّ المؤمن الصادق يفرح بالحسنة والظفر بها، وتوفيق الله له في فعلها، ويحزن إن فاتته أو شيء منها، ويعتبر ذلك بذنب أصابه، وسيئة عملها فيكثر من الاستغفار، ويبادر بالتوبة.



(١) الإبانة (٢/ ٦٦١)، وينظر: المسائل والأجوبة لابن قتيبة (ص٣٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٦)، وينظر: (٧/ ٤٢-٤٣).

(٣) أخرجه: مسلم (١٨٥٤).

٧٩- حدثنا محمد بن سابق، نا إسرائيل، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعَّان، ولا باللعَّان، ولا بالفاحش، ولا بالبذيء»[١].

الفوائد:

الأولى: الطعَّان: مَنْ يسبُّ ويشتم الناس بلسانه، وأعظم ذلك وأشده ما يلحقهم به منقصة؛ كمثل الطعن في أنسابهم، واللعَّان: كثير اللعن، فيدعو على الناس بالطرد من رحمة الله، والفاحش: هو المتفحش بقبيح الفعل وسيئ التصرفات أو بقوله، والبذيء الذي يجري على لسانه لغو الكلام وساقط القول[٢].

---

(١) أخرجه: الترمذي (١٩٧٧)، وأحمد (٣٨٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٣٢)، والبزار (١٥٢٣)، وأبو يعلى (٥٣٦٩)، والحاكم (٢٩)، والبيهقي (٢١١٨٠) من طريق محمد بن سابق به. واستغربه ابن أبي شيبة عليه، وأنكر ابن المديني والذهبي الحديث من هذا الوجه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، وقد رُوِي عن عبد الله من غير هذا الوجه». والمحفوظ إنما هو من طريق أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه، كما أن ابن سابق خولف فيه، وأيضًا اختلف في رفعه ووقفه، والمحفوظ وقفه؛ كما قال: الدارقطني.

وأخرجه: أحمد (٣٩٤٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٣١٢)، وأبو يعلى (٥٣٧٩)، وابن حبان (١٩٢)، والطبراني (١٠٤٨٣)، والحاكم (٣٠)، والبيهقي (٢٠٨٣١) من طريق الحسن بن عمرو، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه، عن عبد الله به مرفوعًا، وإسناده صحيح. ينظر: علل الدارقطني (٥/ ٩٢)، تاريخ بغداد (٣/ ٢٩٣)، بيان الوهم والإيهام (٥/ ٣٠٠-٣٠٣)، ميزان الاعتدال (٣/ ٥٥٥)، تهذيب التهذيب (٩/ ١٧٥).

(٢) ينظر: مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٣٨٥)، فتح ذي الجلال والإكرام (١٥/ ٣٠٩-٣١٣).

الثانية: المؤمن بقدر ما يكون عنده من كمال الإيمان يكون في قلبه رحمة للخلق، ومحبة لهم؛ وشعار أهل السنة الذي يُعْرَفون به: أنهم يتبعون الحق، ويرحمون الخلق؛ كما قال ابن تيمية(١)، فتجمع بين الرحمة لهم وتعليمهم الحق والخير.

قال النووي: «وليس الدعاء بهذا - اللعن - من أخلاق المؤمنين، الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم، والتعاون على البر والتقوى، وجعلهم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، وكالجسد الواحد، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة، وهي الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاطعة والتدابر»(٢).

الثالثة: أن هذه الخصال تنافي الإيمان، والمقصود: أنها تنافي كماله الواجب؛ لأنها أمور محرمة.



---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٧٩) (١٦/ ٩٦).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٤٨)، وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/ ٩٣).

٨٠- حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن منصور، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله رضي الله عنه قال: «المؤمن يُطْبَع[(١)] على الخِلال كلِّها إلا[(٢)] الخيانة، والكذب»[(٣)].

٨١- حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن سلمة بن كُهَيْل، عن مصعب بن سعد، عن سعد رضي الله عنه قال: «المؤمن يُطْبَع على الخِلال كلِّها إلا الخيانة، والكذب»[(٤)].

٨٢- حدثنا وكيع، نا الأعمش قال: حُدِّثتُ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُطْوَى المؤمن على كل شيء إلا الخيانة، والكذب»[(٥)].

---

(١) في المصنف: (يطوى).

(٢) في المصنف: (غير الخيانة...).

(٣) أخرجه: ابن أبي الدنيا في الصمت (٤٩١)، والخلال (١٥٣٢)، والطبراني (٨٨١٧)، وابن بطة (٩٠٨) من طريق يحيى بن سعيد به، ورواه أيضًا أبو وائل، عن عبد الله رضي الله عنه، كما عند: هناد في الزهد (١٣٧٠)، والخلال (١٥٢٦)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه: ابن المبارك في الزهد (٨٢٨)، والدورقي في مسند سعد (٦٥)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٤٧٢، ٤٩٠)، والبزار (١١٣٩)، وأبو يعلى (٧١١)، والخلال (١٥٢٤-١٥٢٥، ١٤٢٨)، وابن عدي (١/ ١٣٦، ٥٤٣)، والدارقطني في العلل (٤/ ٣٣٠)، وابن بطة (٩٠٦)، والبيهقي (٢٠٨٦٥)، واختلف في رفعه ووقفه، وصحَّح الدارقطني والبيهقي والضياء: وقفه، وهو ظاهر قول أبي زرعة والبزار. ينظر: العلل لابن أبي حاتم (٢٥٠٦)، الأحاديث المختارة (٣/ ٢٥٨-٢٥٩)، فتح الباري (١٠/ ٥٠٨).

(٥) أخرجه: أحمد (٢٢١٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١١٤)، وإسناده ضعيف؛ لإبهام الواسطة بين الأعمش وأبي أمامة رضي الله عنه. وأخرجه: ابن عدي (١/ ١٣٧) من وجه آخر =

۞ الفوائد:

الأولى: أن الخيانة والكذب ينافيان الإيمان الواجب؛ إذ الفطرة السوية تدل على الأخلاق الكريمة، والخصال الحميدة؛ كما أن النفاق يدل على ضد ذلك؛ لقوله ﷺ: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا...**»(١) الحديث.

الثانية: قال الصنعاني: «فإن الله لا يطبعه عليهما، بل إنما تحصل له بالتطبع والتشبه بالأشرار الذين يسرق طباعهم الطباع، وفيه بيان قبح هاتين الخلتين، والخيانة شاملة للخيانة في الأموال والأقوال والأفعال، والكذب شامل لقبائح الأقوال»(٢).

وقال عبد الحق الدهلوي: «قوله: **(إلا الخيانة والكذب)** إما أن يكون المراد اجتماعهما، والإشكال باقٍ بعد؛ إذ ربما يكون المؤمن اجتمعتا فيه، أو المراد المبالغة في نفي هاتين الصفتين عن المؤمن، والأظهر أن الغرض الأصلي النهي عنهما، أي: لا ينبغي أن يتصف المؤمن بهما، ويجتهد في إزالتهما؛ لأنه محل الصدق وحامل أمانة الله»(٣).

الثالثة: خطر هاتين الخصلتين على دين العبد، وأشدهما خطرًا وأعظمهما قبحًا الكذب الذي يفصل بين المؤمن والمنافق.

= عن أبي أمامة رضي الله عنه، لكنه واهٍ، قال الدارقطني في العلل (١٣/ ٢٧٦): «ورواه علي بن هاشم بن البريد، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد، عن سعد، وهو الصواب»، فرجع إسناده إلى سعد رضي الله عنه. ينظر: مجمع الزوائد (٢/ ٧٩).

(١) أخرجه: البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٨/ ١٧٣).

(٣) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٨/ ١٦٧).

قال ابن تيمية: «إن الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق هو الصدق؛ فإن أساس النفاق الذي بُنِيَ عليه: الكذب، وعلى كل خُلُق يُطبع المؤمن ليس الخيانة والكذب»(١).

الرابعة: منزلة الأخلاق في الإسلام، وأنها من أعظم وأجلِّ خصال الإيمان.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٧٥).

٨٣- حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن هشام، عن الحسن، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يكون في آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم، يُصْبِحُ الرجل مؤمنًا ويُمْسِي كافرًا، ويُمْسِي مؤمنًا ويُصْبِحُ كافرًا»[١].

سبق معناه والكلام عليه في حديث رقم (٦٤).



(١) لم أقف عليه عند غيره، وإسناده ضعيف؛ رواية هشام عن الحسن فيها ضعف، والحسن لم يسمع من أبي موسى رضي الله عنه؛ كما قال ابن المديني وغيره، ولكن أخرج: أبو داود (٤٢٩٥)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وأحمد (١٩٧٣٠)، وابن حبان (٥٩٦٢)، والبيهقي (١٦٨٨٢) من طريق هُزَيل بن شُرَحبيل، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكَسِّروا قِسِيَّكم، وقَطِّعوا أوتاركم، واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دُخِلَ على أحدكم، فليكن كخير ابني آدم»**، وله عن أبي موسى رضي الله عنه طرق أخرى. ينظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ١٨١)، **التابعون الثقات المتكلم في سماعهم من الصحابة** (١/ ٣٥٩-٣٦٣).

٨٤- حدثنا ابن عُلَيَّة، عن الحجاج بن أبي عثمان، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء، عن معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي في قِبَلِ أُحُدٍ والجَوَّانية[1]، فاطَّلَعْتُها ذات يوم وإذا ذئب قد ذهب بشاة من غنمها، قال: وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت إلى رسول الله ﷺ، فعظَّم ذلك عليَّ، فقلت: يا رسول الله؛ ألا أعتقها؟ قال: «ايتني بها»، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «فأعتقها؛ فإنها مؤمنة»[2].

٨٥- حدثنا علي بن هاشم[3]، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن الحكم[4] يرفعه: أنَّ

---

(١) بفتح الجيم وتشديد الواو، وهي: موضع شمال المدينة بينها وبين أُحد، وبعضهم قال: بطرف الحرة الشرقية، وبعضهم قال: هو لآل الزبير بن العوام، وأبعدَ من قال: إنه من أعمال الفرع جنوب المدينة. ينظر: مشارق الأنوار (١/ ١٦٩)، معجم ما استعجم (٢/ ٤٠٨)، معجم البلدان (٢/ ١٧٥)، وفاء الوفاء (٤/ ٥٢)، معجم معالم الحجاز للبلادي (ص٣٨٢)، المعالم الأثيرة (ص٩٣).

(٢) أخرجه: مسلم (٥٣٧)، وأبو داود (٩٣٠)، والنسائي (١٢٣١)، وأحمد (٢٣٧٦٢)، وابن حبان (١٦٥) من طريق عطاء بن يسار به.

(٣) في بعض طبعات الكتاب والمصنف: (علي بن هشام)، وهو خطأ، ولم أقف على من اسمه (علي بن هشام) في شيوخ ابن أبي شيبة، وإنما هو: علي بن هاشم بن البريد أبو الحسن الكوفي الخزَّاز، توفي ١٨١هـ. ينظر: تهذيب الكمال (٢١/ ١٦٣)، الكاشف (٣٩٧٧)، التقريب (٤٨١٠).

(٤) هكذا وقع في المخطوط، وفي بعض مطبوعات كتاب الإيمان والمصنف، وفيه

رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إنَّ على أمي رقبة مؤمنة، وعندي رقبة سوداء أعجمية، قال: «ايت بها»، قال: «أتشهدين أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟» قالت: نعم، قال: «فأعتقها»(١).

الفوائد:

الأولى: أن العبد ينبغي أن يراعي الشرع والعقل حال الغضب، فليس العيب أن يغضب العبد؛ لأنه من بني آدم يأسف كما يأسفون، لكن العيب أن يتصرف حال الغضب بما لا يليق من قول أو فعل، وما أكثر ما يقع من الجنايات والأخطاء حال الغضب، من قتل أو طلاق أو غير ذلك، فإذا غضبتَ فعليك أن تأخذ بالأسباب الشرعية التي تخفف عنك آثاره حتى لا تقع فيما تندم عليه.

الثانية: جواز السؤال عن الله - تبارك وتعالى - بـ: «أين»؛ لأنَّ النبي ﷺ سأل الجارية بهذه الصيغة، وأهل البدع يُشَنِّعون على أهل السنة، بأنهم أينية؛ لأنهم يُثبتون الأين لله بالسؤال عنه(٢).

= تقديم وتأخير أحدث لبسًا في الإسناد، وصواب سياقه: (عن المنهال بن عمرو والحكم ابن عُتيبة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس)، وهكذا وقع عند الطبراني في المعجم الكبير (١٢٣٦٩)، والأوسط (٥٥٢٣) من طريق علي بن هاشم، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو والحكم بن عُتيبة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس: «أن رجلًا...»، وينظر: العواصم والقواصم (٩/ ٢٧٨)، التلخيص الحبير (٥/ ٢٤٩٧).

(١) أخرجه: البزار (٤٧٤٩)، والطبراني (١٢٣٦٩) من طريق محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى به. وإسناده ضعيف من أجله، ولكن له شواهد من حديث معاوية بن الحكم، والشَّريد بن سُوَيد، وأبي هريرة ﷺ. ينظر: تقريب التهذيب (٦٠٨١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٩٠)، كتاب العرش للذهبي (٢/ ٣٨)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٧٢، ٤٣٥).

الثالثة: قول الجارية: **(في السماء)** المقصود: على السماء، وليس في السماء، فتكون (في) بمعنى فوق، وإن كانت على بابها فالمقصود بالسماء هنا جهة العلو، وهذا مدرك بالشرع، والإجماع، والعقل، والفطرة، وأن الله - تبارك وتعالى - عالٍ على خلقه، مستوٍ على عرشه(١).

الرابعة: أن جِماع التوحيد هو الإقرار بالله - تبارك وتعالى - والإيمان برسوله ﷺ، مع العمل الصالح؛ ولهذا لمَّا أقرَّت الجارية بذلك أمر النبي ﷺ بإعتاقها، فهذا الجواب أمارة على الإيمان وسمة أهله؛ كما قال الخطابي(٢)، وهذا في الحكم على الظاهر الذي تُجْرَى عليه أحكام الدنيا، وإن لم يستلزم الإيمان الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة، وعليه فلا يكون الحديث حجةً لأهل البدع في أن الإيمان هو مجرد الإقرار فقط.

قال ابن تيمية: «النبي ﷺ إنما أخبر عن تلك الأمة بالإيمان الظاهر الذي علقت به الأحكام الظاهرة، وإلا فقد ثبت عنه أن سعدًا لما شهد لرجل أنه مؤمن قال: **«أومسلم»**، وكان يظهر من الإيمان ما تظهره الأمة وزيادة، فيجب أن يُفرَّق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا، وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب؛ فالمؤمن المستحق للجنة لا بد أن يكون مؤمنًا في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة»(٣).

---

(١) ينظر: نكت القرآن للقصاب (٢/ ٦٨-٧١)، مجموع الفتاوى (٣/ ٥٣)(٥/ ٢٥٨) (١٦/ ٩٠)، جامع المسائل -المجموعة السابعة- ص(٣٤٩).

(٢) ينظر: معالم السنن (١/ ٢٢٢)، وينظر أيضًا: المسالك لابن العربي (٦/ ٥١٧).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢١٥-٢١٦)، وينظر: (٧/ ٢٠٩-٢١٠)، مدارج =

الخامسة: استُدل بهذا على اشتراط الإيمان في الرقبة عند العتق؛ لأن موجِب الرق هو الكفر، فيبقى في قيد رِقِّه ما دام على كفره، فإذا آمن فإنه يُعتَق.

السادسة: أنَّ مَن لَطَم رقيقه بغير ذنب فإن كفارته أن يعتقه، وقد ورد أن ابن عمر دعا بغلام له، فرأى بظهره أثرًا فقال له: أوجعتُك؟ قال: لا، قال: فأنت عتيق. قال: ثم أخذ شيئًا من الأرض فقال: ما لي فيه من الأجر ما يزن هذا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ضرب غلامًا له حدًّا لم يأته أو لطمه، فإنَّ كفارته أنْ يُعتقه**»[١].



= السالكين (٢/ ٢٠٧)، إغاثة اللهفان (٢/ ٧٧٧).

(١) أخرجه مسلم ح (١٦٥٧)، وينظر: شرح النووي (١١/ ١٢٧).

٨٦- حدثنا عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل المؤمن مثل الزرع، لا تزال الريح تُمِيله، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء، ومثل الكافر مثل شجرة الأَرْز[(١)]، لا تهتز حتى تَسْتَحْصِد[(٢)]»[(٣)].

٨٧- حدثنا ابن نمير، نا زكريا، عن سعد بن إبراهيم، حدثني ابن كعب ابن مالك، عن أبيه كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تُفيِّئها الريح، تصرعها مرة، وتعدلها أخرى حتى تهيج، ومثل الكافر كمثل الأرزة المُجْذية على أصلها، لا يُقِلُّها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة»[(٤)].

---

(١) **الأَرْز**، ويقال: الأَرْزة، وفيها ست لغات، وهي: شجرة الصنوبر كما قال أبو عبيدة وغيره من أهل اللغة؛ وقيل: الشجرة العظيمة التي لا تميلها الريح لكبرها، ولا تهتز بأسفلها. ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٣/ ١٢٠)، مشارق الأنوار (١/ ٢٧)، مطالع الأنوار (١/ ٢٣٨)، كشف المشكل (٢/ ١٢٢)، النهاية (١/ ٣٨)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ١٥٢-١٥٣)، التوضيح (٢٧/ ٢٦٥-٢٦٦)، هدي الساري (ص٧٧).

(٢) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٥١-١٥٢): «بفتح أوله وكسر الصاد كذا ضبطناه، وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين، وعن بعضهم بضم أوله وفتح الصاد، على ما لم يُسَمَّ فاعله، والأول أجود، أي: لا تتغير حتى تنقلع مرة واحدة؛ كالزرع الذي انتهى يُبْسه».

(٣) أخرجه: البخاري (٥٦٤٤)، ومسلم (٢٨٠٩)، والترمذي (٢٦٨٨)، والنسائي في الكبرى (٧٦٣٧)، وأحمد (٧١٩٢)، وابن حبان (٢٩١٥) من طريق ابن المسيب، وعطاء بن يسار، عنه به.

(٤) أخرجه: البخاري (٥٦٤٣)، ومسلم (٢٨١٠)، والنسائي في الكبرى (٧٦٣٦)، =

٨٨- حدثنا وكيع، عن عمران بن حُدَيْر، عن يحيى بن سعيد، عن بَشِير ابن نَهِيك، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مثل المؤمن الضعيف كمثل الخامة من الزرع، تُميلها الريح، وتُقيمها مرة أخرى، قال: قلت: يا أبا الشعثاء، فالمؤمن القوي؟ قال: مثل النخلة تؤتي أكلها كل حين في ظلها ذلك، ولا تقلبها الريح»[1].

٨٩- حدثنا غُنْدَر، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «مثل المؤمن مثل النَّحْلَة[2]، تأكل طيبًا، وتضع طيِّبًا»[3].

= وأحمد (١٥٧٦٩)، والدارمي (٢٧٩١) من طريق سعد به.

(١) أخرجه: أبو عبيد في الغريب (٨٥٤) من طريق عمران بمعناه مختصرًا، وأخرجه: الرامهرمزي في الأمثال (ص٧٩)، وأبو الشيخ في الأمثال (٣٣٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٣٥٧-١٣٥٨) من طريق علي بن سويد بن مَنْجُوف، عن أبي رافع، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به مرفوعًا، ورجَّح الدارقطني في العلل (٩/ ٦٢) الوجه الموقوف.

(٢) تصحَّفت في بعض المصادر إلى: (النخلة)، وهو خطأ، فهي بالحاء المهملة جزمًا، والسياق يدل عليه. ينظر: تصحيفات المحدثين للعسكري (١/ ٣٩٤)، لسان العرب (١١/ ٦٤٩)، تاج العروس (٣٠/ ٤٦١).

(٣) أخرجه: العسكري في تصحيفات المحدثين (١/ ٣٩٤)، والبيهقي في الشعب (٥٣٨١) من طريق شعبة به، ورُوِي من وجه آخر مرفوعًا عند: أحمد (٦٨٧٢)، والطبراني (١٤٥٠٧)، والحاكم (٢٥٥)، والبيهقي في الشعب (٥٣٨٢) من طريق عبد الله بن بريدة، عن أبي سبرة، عن عبد الله بن عمرو، بسياق أطول منه، والمحفوظ وقفه؛ كما قال البيهقي، ووالد عطاء مجهول؛ تفرد عنه ابنه، ولم يوثقه سوى ابن حبان (٥/ ٢٠٢).

وأخرجه مرفوعًا من حديث أبي رَزِين العُقَيلي: البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٢٤٨)، والنسائي في الكبرى (١١٣٨٩)، وابن حبان (٢٤٧)، والطبراني (٤٥٩).

الفوائد:

الأولى: تشبيه المؤمن في هذه الأحاديث بأنواع من الأمثال والتشبيهات:

فالتشبيه الأول: أن المؤمن كالخامة من الزرع، وهو: الرطب من الزرع، تفيئها الريح، تعدلها مرة وتصرعها أخرى، بينما الكافر أو المنافق كمثل الأَرزة، وهي الشجرة العظيمة الثابتة التي لا تؤثر فيها الريح، حتى يُرسل الله عليها ريحًا عاصفًا فتقتلعها من الأرض دفعة واحدة[1].

وهذا لبيان الفرق بينهما، في أن المؤمن يُكَفَّأ بالبلاء، والكافر والمنافق يعيش سالمًا معافًى في غالب حاله؛ لأن هذا هو متاعه وهذه حياته، فليس له ما يرقبه أو ينتظره في الآخرة إلا العذاب والنكال.

والحكمة في ابتلاء المؤمن: رفع درجاته، وتكفير سيئاته، ولئلا تطمئن نفسه إلى هذه الدنيا، وتركن إليها، وحمايةً لقلبه من حب الفانية الزائلة، وهذه من أعظم وأجلِّ حِكَم البلاء الذي يصيب المؤمن، فيعظم شوقه إلى الله - تبارك وتعالى - وإلى الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم؛ ولذا فأعظم الناس بلاء أكملهم إيمانًا، الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

التشبيه الثاني: أن العبد المؤمن مُثِّل بالنخلة، وهذا وارد في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[2]، فهو باعتبار البلاء مثل الزرع،

---

(١) ينظر: مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٢١١).

(٢) أخرجه: البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١).

وباعتبار الثبوت والنفع مثل النخلة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين[١].

التشبيه الثالث: باعتبار طيب ظاهره وباطنه في أنه كالنحلة، تأكل طيبًا وتضع طيبًا، فتأكل الأزهار والرحيق وطيب الأشجار، فلا تقع على القذر ولا على الدَّنَس، ثم تضع طيبًا وهو العسل، فهكذا المؤمن ظاهره وباطنه طيب، فهو طيب في أقواله وأفعاله وجميع أحواله.

الثانية: بحسب كمال الإيمان تتحقق هذه الأمثلة العظيمة، في الصبر على البلاء، والثبات على الحق، وطيب الظاهر والباطن.



(١) ينظر: الإفصاح (٤/ ١٢٢)، شرح النووي (١٧/ ١٥٤)، زاد المعاد (٤/ ٣٦٤)، فتح الباري (١/ ١٤٥-١٤٧)، عمدة القاري (٢/ ١٤).

٩٠- أخبرنا ابن إدريس، عن بُرَيد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة، عن جده[١]، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضُه بعضًا»[٢].

۞ الفوائد:

الأولى: أنه مثل عظيم لبيان حال المؤمن مع إخوانه ومجتمعه، وأن الجميع كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا؛ إذ لا يُتصور أن يقوم بنيان بدون ذلك، فالبيت إنما يكون بأساساته وحيطانه وسُقُفه وأبوابه، لا يقوم ويكمل إلا بها مجتمعةً، وقد ورد لذلك مَثَلٌ آخر؛ كما في «الصحيحين» من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**[٣]، وهذان مثلان بليغان جليلان[٤].

الثانية: أنه لا قيام للمجتمع المسلم إلا بالجماعة، والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق.

---

(١) في المخطوط: (عن أبيه)، وهو خطأ، فبُرَيد بن عبد الله يرويه عن: (جده أبي بُردة، عن أبي موسى)، ووقع على الصواب في المصنف ومصادر التخريج، ومنها الصحيحان، من طريق عبد الله بن إدريس وغيره، عن بُريد به.

(٢) أخرجه: البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥)، والترمذي (١٩٢٨)، والنسائي (٢٥٧٩)، وأحمد (١٩٦٢٤)، وابن حبان (٥٧٩) من طريق أبي بردة به، وعند بعضهم زيادة.

(٣) أخرجه: البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٤) ينظر: المفهم (٦/ ٥٦٥)، شرح النووي (١٦/ ١٣٩-١٤٠)، جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٨٢)، بهجة قلوب الأبرار (ص٣٩).

قال أبو العباس القرطبي: «تمثيل يفيد الحض على معونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإنَّ البناء لا يتم أمره، ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضًا ويقويه، فإن لم يكن كذلك انحلت أجزاؤه وخرب بناؤه، وكذلك المؤمن لا يستقل بأمور دنياه ودينه إلا بمعونة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن مقاومة مضاده، فحينئذٍ لا يتم له نظام دنيا ولا دين، ويلتحق بالهالكين»(١).

الثالثة: أن الاجتماع والتعاون على الخير سبب لزيادة الأجر وكثرة الحسنات التي لا تحصل إلا به.

قال ابن القيم: «إن المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض في الأعمال التي يشتركون فيها؛ كالصلاة في جماعة، فإن كل واحد منهم تضاعف صلاته إلى سبعة وعشرين ضعفًا؛ لمشاركة غيره له في الصلاة، فعمل غيره كان سببًا لزيادة أجره، كما أن عمله سبب لزيادة أجر الآخر، بل قد قيل: إن الصلاة يضاعف ثوابها بعدد المصلين، وكذلك اشتراكهم في الجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى - فذكرالحديث - ومعلوم أن هذا بأمور الدين أولى منه بأمور الدنيا، فدخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط مِنْ ورائهم»(٢).

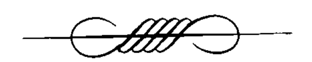
---

(١) المفهم (٦/ ٥٦٥)، وينظر: الإفصاح لابن هبيرة (٦/ ٣٩٨).

(٢) الروح (ص٣٨٢-٣٨٣).

الرابعة: ينبغي للمسلم أن يراعي هذا أشد المراعاة، فيعيش مع إخوانه بالحب والعطف، والمودة والرحمة، والإحسان والتعاون، فهذه الأحاديث خبر بمعنى الأمر.

الخامسة: أن من كمال الإيمان كون العبد لَبِنَةً صالحة في مجتمعه المسلم؛ في إحسانه وَرِفْده، وحبه وعطفه، وسعيه في مصالح إخوانه.



٩١- حدثنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي عمار[(١)]، عن عمرو بن شُرَحبيل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عمارًا مُلِئ إيمانًا إلى مُشَاشِه[(٢)]»[(٣)].

٩٢- أخبرنا عثَّام بن علي، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ قال: كنا جلوسًا عند علي رضي الله عنه[(٤)]، فدخل عمار رضي الله عنه، فقال: مرحبًا بالطيِّب المطيَّب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ عمارًا مُلِئَ إيمانًا إلى مُشَاشِه»[(٥)].

---

(١) في المخطوط: (أبي عثمان) وهو تصحيف، والتصويب من المصنف وبقية المصادر، وهو: عَرِيب بن حُمَيد الهمداني أبو عمار الدُّهْني الكوفي. ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ٣٢)، تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٦)، الكاشف (٣٧٨٦).

(٢) **المشاش**: رأس العظام وأطرافها، وقيل: أطرافه اللينة كالركبتين والمرفقين، فأطراف العظام يقال لها: مُشاش؛ ولهذا ورد في وصف النبي ﷺ أنه كان جليل المُشاش، يعني: في أطراف أعضائه. ينظر: تهذيب اللغة (١١/ ٢٠٠)، النهاية (٤/ ٣٣٣)، لسان العرب (٦/ ٣٤٧)، تاج العروس (١٧/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٦٠٠) عن وكيع به مرسلًا؛ لأن عمرو بن شرحبيل من التابعين، لكن أخرجه: النسائي (٥٠٥١)، والحاكم (٥٧٩١) من طريق ابن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي عمار، عن عمرو بن شُرحبيل، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ رفعه، فاختلف فيه على سفيان، وعند الحاكم أن الصحابي المبهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) في المخطوط: (عليه السلام).

(٥) أخرجه: ابن ماجه (١٤٧)، والبزار (٧٤٠)، وأبو يعلى (٤٠٤)، وابن حبان (٧٠٧٦)، وأبو نعيم (١/ ١٣٩) من طريق عثام به، وخولف فيه، فأخرجه: الترمذي (٣٧٩٨)، وابن ماجه (١٤٦)، وأحمد (٧٧٩، ٩٩٩)، والطيالسي (١١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٣١)، والبزار (٧٣٩، ٧٤١)، وأبو يعلى (٤٠٣)، وابن حبان (٧٠٧٥)، =

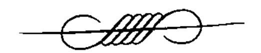
الفوائد:

الأولى: فضيلة عظيمة، وشهادة جليلة لعمار رضي الله عنه بكمال الإيمان وتحقيقه.

الثانية: التفاضل بين الناس؛ ففيهم كامل الإيمان وناقصه، وفيهم الطَّيِّب وضده؛ وكل هذا بسبب تفاوتهم في تحقيق الإيمان، وتكميل شعبه وشرائعه.

الثالثة: الحرص على أسباب تكميل الإيمان، والاجتهاد لبلوغ الغاية في هذا.

الرابعة: جواز المدح في الوجه إذا كان بحقٍّ، وأُمنت الفتنة على الممدوح[1].



= والحاكم (٥٧٧٣) من طرق عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فجاءه عمار فاستأذن فقال النبي ﷺ: «**ائذنوا له، مرحبًا بالطيب المطيب**» فرفع هذا اللفظ إلى النبي ﷺ، وهذا الذي رجَّحه الدارقطني (٤/ ١٥٠)، وهو ظاهر كلام البزار، فيكون قوله: «**إن عمارًا ملئ...**» موقوفًا لا مرفوعًا على الوجه المحفوظ.

(١) ينظر: شرح ابن بطال على البخاري (٣/ ٣٨١)، شرح النووي على مسلم (١/ ١٩٥)، (١٨/ ١٢٦)، فتح الباري (٧/ ٦٩).

٩٣- حدثنا عفان، نا جعفر بن سليمان، نا زكريا قال: سمعت الحسن يقول: «إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، إنما الإيمان ما وَقَر في القلب، وصدَّقه العمل»(١).

معنى هذا الأثر المشهور أن الإيمان الحقيقي الذي تحصل به النجاة ليس أمنية تقال باللسان، ولا حلية ظاهرة من غير حقيقة قلبية، فليس هو ما يُظْهَر من الأقوال والأفعال، ولكن ما وقر في القلب، وصدَّقته الأعمال.

وقيل: بأن معنى التمني التلاوة وقراءة الحديث وروايته من غير عمل

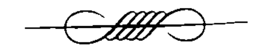
---

(١) لم أقف عليه من طريق زكريا عن الحسن، لكن أخرجه: ابن المبارك في الزهد (١٥٦٥)، وعبد الله في زوائد الزهد (ص٢٦٣)، وابن بطة (١٠٩٣-١٠٩٤)، والخطابي في غريب الحديث (٣/ ١٠١)، والبيهقي في الشعب (٦٥)، والخطيب في اقتضاء العلم العمل (٥٦) من طرق أخرى عن الحسن، وإسناد المؤلف ضعيف جدًّا؛ من أجل زكريا وهو: ابن حكيم الحَبَطي البصري، متروك. لكنه بمجموع الطرق المتعددة ثابت عن الحسن، ورُوِي مرفوعًا لكنه منكر، قال ابن تيمية: «وهذا مشهور عن الحسن يُرْوَى عنه من غير وجه». وقال ابن القيم: «وصحَّ عن الحسن أنه قال: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. ونحوه عن سفيان الثوري»، وقال العلائي بعد إنكار المرفوع: «رُوِي معناه بسندٍ جيِّد عن الحسن من قوله، وهو الصحيح».

ورُوِي معناه عن الحسن بسياق مختلف، فأخرج عبد الله في زوائد الزهد (ص٢٦٧) من طريق خالد بن شوذب قال: رأيت فرقدًا السَّبَخي وعليه جبة صوف، فأخذ الحسن بجبته ثم قال: يا بن فرقد - مرتين أو ثلاثًا - إن التقوى ليس في هذا الكساء، إنما التقوى ما وقر في القلب وصدَّقه العمل والفعل». ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٣-٢٩٤)، ميزان الاعتدال (٢/ ٧٢)، تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (٣/ ١٨٥)، فيض القدير (٥/ ٣٥٦).

وخشوع وإخبات لله تعالى، فالواجب الجمع بين العلم والعمل، وموافقة المنظر للمخبر، وتصديق الأقوال بالأفعال[١].

وإذا وُجد التصديق في القلب انبعثت الجوارح بالعمل؛ ولهذا يقول ابن تيمية: «وإذا لم يكن عملٌ كَذَّبَ أن في قلبه إيمانًا؛ لأن ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر، وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم»[٢].



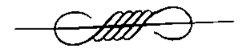
---

(١) ينظر: المسائل والأجوبة لابن قتيبة (ص١٦٨-١٦٩)، النهاية في الغريب (٤/ ٣٦٧)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٢٩٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٢٩٣-٢٩٤)، الصلاة لابن القيم (ص٦٦-٦٧)، لطائف المعارف (ص٢٢٥-٢٢٦).

٩٤- أخبرنا ابن مهدي[(١)]، عن سفيان، عن إبراهيم بن المُهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لغلمانه: «من أراد منكم الباءة زوجناه، لا يزني منكم زانٍ إلا نزع الله منه نور الإيمان؛ فإن شاء ردَّه ردَّه[(٢)]، وإن شاء أن يمنعه منعه»[(٣)].

سبق معناه، والكلام عليه في رقم (٧١).



(١) في المخطوط: (ابن مسهر) وهو تصحيف، والتصويب من المصنف، مع أن علي بن مسهر وابن مهدي كلاهما من شيوخ ابن أبي شيبة، وتلاميذ سفيان الثوري.

(٢) في المصنف: (فإنْ شاء أن يرده ردَّه).

(٣) أخرجه: عبد الرزاق (١٣٦٨٧)، وابن نصر (٥٥٧)، والخلال (١٢٦٠)، والآجري (٢٢٨)، وابن بطة (٩٦٦)، واللالكائي (١٨٦٦) من طريق الثوري به، وأخرجه: ابن سعد (٥/ ٢٨٧) من طريق مجاهد بنحوه.

٩٥- أخبرنا قَبِيصة، عن سفيان، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: «عجبًا لإخواننا من أهل العراق، يسمون الحَجَّاج مؤمنًا»[١].

٩٦- حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: «أنه كان إذا ذكر الحَجَّاج قال: ألا لعنة الله على الظالمين»[٢].

٩٧- حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأجلح، عن الشعبي قال: «أشهد أنه مؤمن بالطاغوت، كافر بالله - يعني: الحَجَّاج»[٣].

٩٨- حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال: «كفى بمن يشك في أمر الحَجَّاج، لَحَاه الله[٤]»[٥].

---

(١) أخرجه: ابن سعد (٥/ ٥٤٠)، وعبد الله (٦٧١)، والخلال (١١٦٥)، واللالكائي (١٨٢١) من طريق قبيصة بن عقبة به.

(٢) أخرجه: ابن سعد (٦/ ٢٧٩)، وعبد الله (٦٧١)، والخلال (١٥٣١)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٥٩٤)، واللالكائي (١٨٢٠) من طريق منصور به.

(٣) أخرجه: اللالكائي (١٨٢٣) من طريق أبي بكر بن عياش به، والأجلح فيه كلام، وأخرجه: ابن أبي الدنيا في كتاب الإشراف في منازل الأشراف (٦٦)، وأبو الفضل الزهري (٢٧٥) من طريق واصل بن عبد الأعلى قال: حدثنا عمَّار بن أبي مالك الجنبي، عن أبيه، عن الأجلح قال: «اختصمت أنا وعمر بن قيس الماصر في الحجاج. فقلت: إن الحجاج كافر. وقال عمرو بن قيس: الحجاج مؤمن ضال. فأتينا الشعبي فقلنا له: يا أبا عمرو؛ إني قلت: إن الحجاج كافر، وإن هذا قال: الحجاج مؤمن ضال؟ فقال له الشعبي: يا عمر شمَّرت ثيابك وحللت إزارك، وقلت: الحجاج مؤمن ضال! كيف يجتمع في مؤمن إيمان وضلال؟ الحجاج مؤمن بالجبت والطاغوت، كافر بالله العظيم». ينظر: الميزان (١/ ٧٨)، تهذيب التهذيب (١/ ١٨٩).

(٤) **لحاه الله**، أي: قبحه ولعنه. ينظر: مختار الصحاح (ص٢٨٠)، لسان العرب (١٥/ ٢٤٢)، تاج العروس (٣٩/ ٤٤٣).

(٥) لم أقف عليه عند غيره بهذا اللفظ، وقد أخرج: عبد الله في السنة (٦٧١)، والخلال =

الفوائد:

الأولى: الحجَّاج هو: ابن يوسف الثقفي، الأمير المُبِير، الذي شُهر وعُرف بسفك الدماء، فيما نقلته كتب السير والتواريخ، هلك سنة (٩٥هـ)[١].

الثانية: كلام السلف في شأنه متفاوت، بين غالٍ وجافٍ، **والذي يضبط الكلام ويؤصله في ذلك عدة وجوه، هي:**

- أن أهل السنة يتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله، فيتبعون الحق، ويرحمون الخلق[٢]، فمعيار الكلام وميزانه في كل شيء كتابُ الله وسنةُ رسوله ﷺ.

- أن الحجاج بن يوسف عنده أصل الإيمان، لكنه سَفَّاكٌ مُبير، وهو على مذهب الناصبة، فيبغض بعض آل البيت. قال الذهبي: «وكان ظلومًا، جبَّارًا، ناصبيًّا، خبيثًا، سَفَّاكًا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن. . .، وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله، وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء»[٣].

- أن السلف - رحمهم الله تعالى - لم يكفِّروا الحجاج، بل إنَّ مِنَ

= (١١٦٥)، واللالكائي (١٨٢٠) من طريق منصور، عن إبراهيم قال: كفى به عمى الذي يعمى عليه أمر الحجاج.

(١) ينظر: تاريخ دمشق (١٢/ ١١٣)، السير (٧/ ٣٧٩)، الوافي بالوفيات (١١/ ٢٣٦)، البداية والنهاية (١٢/ ٥٠٧).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٧٩)، مختصر الصواعق (ص٦٠٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٣).

الصحابة مَنْ صلَّى خلفه؛ كابن عمر - رضي الله تعالى عنهما -، ولا يلعنونه تعيينًا، وإنما بالوصف.

قال أبو الحارث: «سألت أبا عبد الله قلت: الرجل يُذْكَر عنده الحجاج فيقول: كافر؟ قال: لا يعجبني. قلت: فإذا ذُكِرَ عنده يلعنه؟ قال: يقول: ألا لعنة الله على الظالمين»(١).

وقال ابن تيمية: «أهل العلم يختارون فيمن عُرف بالظلم ونحوه مع أنه مسلم وله أعمال صالحة في الظاهر؛ كالحجاج بن يوسف وأمثاله، أنهم لا يلعنون أحدًا منهم بعينه، بل يقولون كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: الآية ١٨]، فيلعنون من لعنه الله ورسوله عامًّا..، وذلك لأن اللعنة من باب الوعيد، والوعيد العام لا يقطع به للشخص المعين؛ لأحد الأسباب المذكورة: من توبة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو شفاعة مقبولة، وغير ذلك، وطائفة من العلماء يلعنون المعيَّن كيزيد، وطائفة بإزاء هؤلاء يقولون: بل نحبه؛ لما فيه من الإيمان الذي أمرنا الله أن نوالي عليه؛ إذ ليس كافرًا، والمختار عند الأمة: أنَّا لا نلعن معينًا مطلقًا، ولا نحب معينًا مطلقًا»(٢).

- ما رُوِي عن بعض السلف من الألفاظ الصريحة في تكفيره، **فهذا عنه جوابان**:

الأول: أنه لم يثبت عن هؤلاء الأئمة؛ كالذي رُوِي عن الشعبي، ففي أسانيده ضعف.

---

(١) ينظر: السنة للخلال (١/ ٥٢٣-٥٢٤).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧/ ٤٧٥)، وينظر: (٤/ ٤٨٧)، **منهاج السنة (٤/ ٥٦٩-٥٧٥)**.

الثاني: لو فرض ثبوته فهم قد رجعوا عنه، وأشار الذهبي إلى أن الشعبي رجع عن ذلك؛ لأنَّ هذا حصل إبَّان فتنة ابن الأشعث لمَّا خرج على الحجاج وقاتله، وخرج معه القراء ومنهم الشعبي، ثم لما ظفر بهم الحجاج، منهم مَنْ قُتل، ومنهم مَن أقلع ورجع عن ذلك.

والخلاصة: أن أصل أهل السنة في هذا ظاهرٌ بَيِّن، في أنهم لا يلعنون المعين، ولا يشهدون لأحدٍ بجنة ولا بنار إلا بدليل، ويعتقدون نقص كمال الإيمان الواجب بمثل هذه العظائم التي فعلها الحجاج وغيره، وهم أعدل الطوائف في الاعتقاد كله، لا سيما قاعدة الأسماء والأحكام التي هي مظنة الزلل وتأثير الهوى[1].

الثالثة: أن قول أهل السنة في هذا مباين لقول المرجئة في أنه وأمثاله مؤمنون كاملو الإيمان؛ ولذا علَّق الذهبي على قول طاوس السابق في وصف أهل العراق له بالإيمان: «يشير إلى المرجئة منهم، الذين يقولون: هو مؤمن كامل الإيمان مع عسفه، وسفكه الدماء، وسبِّه الصحابة»[2].



(١) ينظر في هذا الباب: قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور محمد السفياني، وحسبك به.

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٤).

٩٩- أخبرنا يحيى بن آدم، عن سفيان، عن عاصم قال: قلنا لطَلْق بن حَبِيب[١]: «صِف لنا التقوى؟ فقال: التقوى: عمل بطاعة الله، رجاء رحمة الله، على نور من الله. والتقوى: ترك معصية الله، مخافة الله، على نور من الله»[٢].

الفوائد:

الأولى: هذا الوصف الذي ذكره للتقوى من أشهر تعاريفها، وقد تداوله الأئمة والسلف.

قال ابن القيم: «وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمر الله به إيمانًا بالأمر، وتصديقًا

(١) هو: طلق بن حبيب العَنَزي البصري، كان من العُبَّاد الزهَّاد، ومن جلَّة التابعين، وقد رُمِيَ بالإرجاء، لكنه من إرجاء الفقهاء الذي هم أقرب المرجئة إلى أهل السنة، والخلاف معهم في بعض مسائله لفظي، توفي بعد التسعين، وقيل: سنة أربع وتسعين. ينظر: التاريخ الكبير (٤/ ٣٥٩)، الجرح والتعديل (٤/ ٤٩٠)، منهاج السنة (٥/ ٢٩٢)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨-٤٠)، تهذيب الكمال (١٣/ ٤٥١)، الميزان (٢/ ٣٤٥)، السير (٤/ ٦٠١)، التقريب (٣٠٤٠).

(٢) أخرجه: ابن المبارك (١٣٤٣)، وهنَّاد في الزهد (٥٢٢)، وأبو نعيم (٣/ ٦٤)، والبيهقي في الزهد (٩٦٥) من طريق الثوري به، وفي بعض الروايات: «أن طلق بن حبيب كان يقول في زمن الفتنة وقت الحجَّاج: اتقوا الفتنة بالتقوى. فقيل له: أجمل لنا التقوى؟ فقال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله...»، وأخرجه: ابن أبي حاتم في التفسير (٤٥٣، ٢٣٦٤) من طريق عاصم، عن أبي العالية، عن طلق بن حبيب، أنه قال له بكر ابن عبد الله: «ألا تجمع لنا التقوى في كلام يسير ترويه؟ فقال طلق: التقوى: أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله، على نور من الله. والتقوى: أن تترك معصية الله مخافة عذاب الله، على نور من الله».

بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانًا بالنهي، وخوفًا من وعيده، كما قال طلق بن حبيب: . . . وهذا أحسن ما قيل في حدِّ التقوى»[١].

الثانية: أنَّ التقوى لا بد لها من العلم والبصيرة، فالذي لا يعلم لا يمكن أن يتقي، لأنه ربما ترك أمرًا، أو فعل محرمًا يزعم أنه من التقوى، فيكون ممن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنًا؛ ولهذا قال: «على نور من الله»، وقد قال الإمام أحمد: «ليس يتقي مَنْ لا يدري ما يتقي»[٢].

الثالثة: قال الذهبي: «أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بِتَروٍّ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه؛ إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفًا من الله، لا ليمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية، **فقد فاز**»[٣].

الرابعة: من أصول وقواعد التقوى مراقبة الله - تبارك وتعالى - خوفًا ورجاءً، فيرجو الثواب، ويخشى العقاب، وهذا معنى ما ورد من الأحاديث: «**إيمانًا واحتسابًا**» أي: إيمانًا وتصديقًا بالوعد والجزاء، واحتسابًا للأجر والثواب في العمل الذي يعمله.

قال ابن القيم: «كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى، ولا طلب المحمدة والجاه،

---

(١) الرسالة التبوكية (ضمن مجموع الرسائل ص ٨-٩).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١).

وغير ذلك، بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان، وغايته ثواب الله، وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب؛ ولهذا كثيرًا ما يُقْرَنُ بين هذين الأصلين في مثل قول النبي ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا**» و«**ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا**»[١] ونظائره، فقوله: «**على نور من الله**» إشارة الى الأصل الأول، وهو الإيمان الذي هو مصدر العمل، والسبب الباعث عليه، وقوله: «**ترجو ثواب الله**» إشارة إلى الأصل الثاني، وهو الاحتساب، وهو الغاية التي لأجلها يوقع العمل، ولها يقصد به»[٢].



(١) أخرجه: البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) الرسالة التبوكية (ضمن مجموع الرسائل ص ٩-١٠).

١٠٠- أخبرنا وكيع، [عن سفيان]⁽¹⁾ عن عبد الملك بن أبي بَشِير، عن عبد الله بن مُسَاور⁽٢⁾، عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما هو بمؤمن⁽٣⁾ مَنْ بات شبعان وجاره طاوٍ⁽٤⁾ إلى جانبه»⁽٥⁾.

الفوائد:

الأولى: تعظيم حق الجار، فالنصوص الشرعية عظَّمت حقه، وأكَّدت العناية به وإكرامه؛ كما قال النبي ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**

---

(١) سقط من المخطوط، وتم استدراكه من المصنف ومصادر التخريج، وقد روي عن سفيان الثوري من طرق متعددة.

(٢) في المخطوط وبعض مطبوعات الكتاب: (سوَّار)، وفي بعض طبعات المصنَّف ومخطوطاته: (مسعود) و(مسور) وكلها تصحيف، والصواب أنه عبد الله بن مساور، ويقال: ابن أبي المساور، فالحديث من روايته؛ كما في مصادر التخريج المتعددة، قال المزي في تهذيب الكمال (١٦/ ١٢١): «ذكر له البخاري في كتاب الأدب حديثًا واحدًا، وقد وقع لنا عاليًا عنه» ثم ساقه بإسناده. ينظر: التاريخ الكبير (٥/ ١٩٥)، التقريب (٣٦١٢).

(٣) في المصنف: (ما يؤمن).

(٤) أي: خالي البطن جائع لم يأكل. ينظر: النهاية (٣/ ١٤٦).

(٥) أخرجه: هناد (١٠٤٤)، والمروزي في البر والصلة (٢٣٩)، وعبد بن حميد (٦٩٤)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وابن نصر (٦٢٩)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطحاوي في شرح المعاني (١/ ٢٨)، والطبراني (١٢٧٤١)، والحاكم (٧٥١٣)، والبيهقي في الشعب (٣١١٧) من طريق عبد الملك به، وإسناده ضعيف؛ علته ابن مساور فهو مجهول، كما قال ابن المديني، ورُوِي من وجوه أخر ضعيفة عن ابن عباس ﵄، وله شواهد من حديث عمر، وأنس، وعائشة ﵃، ويشهد له من حيث المعنى عموم الأحاديث الواردة في حق الجار. ينظر: تهذيب الكمال (١٦/ ١٢٠)، الميزان (٢/ ٥٠٢)، التقريب (٣٦١٢).

فليكرم جاره»[١]، وأبلغ ما ورد في هذا قوله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه**»[٢]، فَلَكَ أن تتصور - أخي الموفَّق - أنَّ النبي ﷺ كان يظن نزول وحي عليه يُوجب التوارث بين الجيران، فأيُّ تأكيد وحثٍّ أعظم من هذا؟!

الثانية: حرَّمت الشريعة أذية الجار أو الإساءة إليه بأدنى ما يكون مباشرةً أو تسببًا، ففي «الصحيحين» من حديث أبي شُرَيح الخزاعي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**». قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**[٣]»[٤].

الثالثة: ينبغي للمسلم أن يتفقد حاجة جاره، فيسدُّ خَلَّته، ويطعم جوعته، ويواسي ضعفه، ويشاركه في فرحه وتَرَحه، فكل هذا دليل على كمال الإيمان.

الرابعة: أن النفي في هذا الحديث لكمال الإيمان لا لأصله؛ كما سبق بيانه في نظائره.



(١) أخرجه: البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٧).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٥).

(٣) **البوائق** - بالموحدة والقاف: جمع بائقة، وهي الداهية والشيء المُهْلك، والأمر الشديد الذي يوافي بغتة. فتح الباري (١٠/ ٤٤٣).

(٤) أخرجه: البخاري (٦٠١٦).

١٠١- أخبرنا فُضَيل بن عياض، عن الأعمش، عن خَيثمة، عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قال: «يأتي على الناس زمان يجتمعون ويصلون في المساجد، وليس فيهم مؤمن[(١)]»[(٢)].

معنى هذا الأثر له ثلاثة احتمالات:

الأول: أنه محمول على ضعف الإيمان، وقلة كماله، فيكون المقصود: ليس فيهم مؤمن كامل الإيمان.

قال الذهبي: «معناه: أي مؤمن كامل الإيمان، فأراد ليس فيهم مؤمن سليم من النفاق، بحيث إنه غير مرتكب صفات النفاق؛ من إدمان الكذب، والخيانة، وخُلْف الوعد، والفجور، والغدر، وغير ذلك. ونحن اليوم نرى الأمة من الناس من أعراب الدولة يجتمعون في المسجد وما فيهم مؤمن، بل ونحن منهم، نسأل الله توبة وإنابة إليه، فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجرات: الآية ١٤] وهذا باب واسع ينبغي للشخص أن يترفق فيه بأمة محمد ﷺ، فلا يسلبهم الإيمان والإسلام، كفعل الخوارج والمعتزلة المكفرة أهل القبلة بالكبائر، ولا ننعتهم بالإيمان الكامل كما فعلت

---

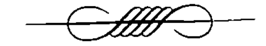
(١) قال أبو جعفر الطحاوي في شرح المشكل (٢/ ١٧٢) بعد إخراجه: «ونعوذ بالله من ذلك الزمان».

(٢) أخرجه: وكيع في الزهد (٢٧١)، والفريابي في صفة النفاق (١٠٧-١٠٩)، والخلال (١٣٠٨)، والطحاوي في شرح المشكل (٢/ ١٧٢)، والآجري (٢٣٦-٢٣٨)، والحاكم (٨٥٨٥) من طريق الأعمش به، وإسناده صحيح، ورُوِي مرفوعًا ولا يصح، وورد أيضًا من حديث حذيفة رضي الله عنه، وفيه ضعفٌ.

المرجئة، فالمسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١].

الثاني: أن الإيمان هنا بمعنى الخشوع، الذي هو أعظم أوصاف المؤمن، فهؤلاء يصلون في المسجد وليس فيهم خاشع، وقد رُوِيَ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: «يوشك أن تدخل مسجدَ جماعة فلا ترى فيه رجلًا خاشعًا»[٢].

الثالث: أن المقصود كثرة النفاق والمنافقين -والعياذ بالله-؛ ولهذا أورد هذا الأثر الفريابي في «صفة النفاق والمنافقين».



(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٩).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٦٥٣)، والدارمي (٢٩٦).

١٠٢- **حدثنا يحيى بن يعلى[١] التيمي، عن منصور، عن طَلْق بن حَبِيب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد طعم الإيمان وحلاوته: أن يكون الله - تبارك وتعالى - ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله»، وذكر الشرك[٢].**

۞ الفوائد:

الأولى: قد ورد معناه مرفوعًا في «الصحيحين» وغيرهما من طرق عن أنس - رضي الله تعالى عنه -، ولفظه: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، و أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، و أن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**».

الثانية: قوله: «**ثلاث من كن فيه...**» لا يدل على الحصر؛ لأنَّ حلاوة الإيمان توجد في خصال متعددة، لكن هذه من أعظمها.

الثالثة: أن للإيمان طعمًا يُدرك؛ وفي «صحيح مسلم» من حديث

---

(١) في المخطوط وبعض مطبوعات الكتاب: (بن العلاء)، وهو تصحيف، والصواب أنه يحيى بن يعلى التيمي، كما في المصنف ومصادر التخريج.

(٢) أخرجه: اللالكائي (١٦٩٠) من طريق منصور، عن طلق، عن أنس رضي الله عنه قال: «**ثلاث من كن فيه فهو عبد طَعِمَ الإيمان وحلاوتَه**» قال: قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب في الله ويبغض في الله، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها ولا يشرك به شيئًا**»، والحديث جاء مرفوعًا كله في البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، وغيرهما من طرق عن أنس رضي الله عنه.

العباس بن عبد المطلب - رضي الله تعالى عنه - مرفوعًا: **«ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا»**[(١)].

الرابعة: قوله: **«أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»** فيه تعظيم حب الله - تبارك وتعالى - وحب رسوله ﷺ، وأعظم الحب حب الله - تبارك وتعالى - فهو حب الذل والخضوع والتعبد الذي لا ينبغي لغيره، ويليه حب رسوله ﷺ، وهو حب الطاعة والانقياد، والاتباع والتأسي به ﷺ، وهما متلازمان، فلا وجود لأحدهما دون الثاني.

الخامسة: قوله: **«وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله»** المقصود: ألا يكون لنفسك حظ في هذا الحب، وهذا في التحقيق صعب إلا على الموفَّق من العباد، وحقيقته كما قال يحيى بن معاذ: «حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء»[(٢)]، أو كما قال الإمام أحمد: «ألا يحبه لطمع دنيا»[(٣)]. فإذا كنت تحب أخاك المسلم حبًّا صادقًا في ذات الله - تبارك وتعالى - فإنه لو أحسن إليك لم يزدد حبه من أجل إحسانه، ولو أساء إليك لم ينقص بسبب إساءته، ولا شك أن هذا عسير على كثير من النفوس؛ ولهذا جعله النبي ﷺ أوثق عُرَى الإيمان.

السادسة: قوله: **«وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»** فهذا في كراهة الكفر والكافرين، ومتى ما تحقق به العبد دلَّ على تصديق القلب، ومباشرة الإيمان له، فيكره الكفر

---

(١) أخرجه: مسلم (٣٤).

(٢) ينظر: فتح الباري (١/ ٦٢).

(٣) ينظر: الجامع لعلوم الإمام أحمد (٢٠/ ١٣٠-١٣١).

وأهلَه، وخصالَه وشعارَه.

السابعة: أن هذه الكراهة لا فرق فيها بين مَنْ وُلد على الإسلام ابتداءً ومَنْ كان كافرًا ثم أسلم.

قال ابن حجر: «والإنقاذ أعم من أن يكون بالعصمة منه ابتداءً؛ بأن يولد على الإسلام ويستمر، أو بالإخراج من ظُلْمة الكفر إلى نور الإيمان؛ كما وقع لكثير من الصحابة»[(١)].



(١) فتح الباري (١/ ٦٢)، وينظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ١٤).

١٠٣- حدثنا ابن نُمَير، نا هشام بن عروة، عن أبيه، عن المِسْور بن مَخْرمة، وابن عباس ﷺ: «أنهما دخلا على عمر رضي الله عنه حين طُعِنَ، فقالا: الصلاة. فقال: إنه لا حظَّ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة، فصلى وجرحه يثعب دمًا رضي الله عنه»(١).

لما طُعِن عمر رضي الله عنه دخل عليه ابن عباس والمسور رضي الله عنهما فقالا: الصلاة، وهذا كان بعد الغشي والإغماء الذي حصل لعمر رضي الله عنه من أثر الطعن، فردَّ عليهم بقوله رضي الله عنه: إنه لا حظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة، فصلى وجرحه يثعب دمًا، رضي الله عنه وأرضاه.

وكان رضي الله عنه يقول على المنبر: «لا إسلام لمن لم يصلِّ»(٢)، وكان أيضًا يكتب إلى الآفاق: «إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها فقد حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع»(٣).

وفي ذلك كله بيان منزلة الصلاة من الإسلام، وأنه لا حظ للعبد في الإسلام إذا أضاعها؛ ولهذا قال ابن تيمية عن قول عمر رضي الله عنه هذا:

---

(١) أخرجه: مالك (٩٣)، وابن سعد (٣/ ٣٥٠)، وأحمد كما في مسائل عبد الله (١٩١-١٩٣)، والخلَّال (١٣٨١)، وابن بطة (٨٧١)، والبيهقي (١٦٢٣) من طريق هشام بن عروة، به، وهذا إسناد منقطع؛ فهشام لم يسمع من المسور رضي الله عنه، لكن أخرجه: عبد الرزاق (٥٧٩)، وابن نصر (٩٢٥)، والخلال (١٣٧١)، والدارقطني (١٧٥٠)، وابن عساكر (٤٤/ ٤١٩) من طريق هشام، عن سليمان بن يسار، عن المسور به، وإسناده صحيح، وهذا الذي صوَّبه الدارقطني في الأحاديث التي خولف فيها مالك بن أنس (ص ٨٠-٨١)، وينظر: العلل له (٢/ ٢٠٩)، وله طرق أخرى عن ابن يسار والمسور رضي الله عنه. ينظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٣٢)، جامع التحصيل (ص٢٩٣).

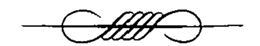
(٢) تعظيم قدر الصلاة (٩٣٠).

(٣) أخرجه: مالك (٦)، وعبد الرزاق (٢٠٣٨).

«أصرح شيء في خروجه عن الملة»[١].

وهو قول كافة الصحابة رضي الله عنهم؛ إذ قاله عمر رضي الله عنه بمحضر جماعة منهم ولم ينكروه عليه، ورُوي مثله عن: معاذ بن جبل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي هريرة رضي الله عنهم، ولا يُعْلم عن صحابي خلافهم[٢].

وقد سبق الكلام على حكم تارك الصلاة وأحوال ذلك.



(١) شرح العمدة (٢/ ٧٨)، وينظر: (٢/ ٨٦)، المسالك لابن العربي (٢/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) ينظر: الصلاة والتهجد لعبد الحق الإشبيلي (ص٩٥)، الترغيب والترهيب للمنذري (١/ ٣٩٤)، الصلاة لابن القيم (ص٧٩-٨٠).

١٠٤- حدثنا ابن فُضَيْل، عن أبيه، عن شِبَاك[(١)]، عن إبراهيم، عن علقمة، أنه كان يقول لأصحابه: «امشوا بنا نزداد[(٢)] إيمانًا»[(٣)].

١٠٥- حدثنا وكيع، نا الأعمش، عن جامع بن شدَّاد، عن الأسود بن هلال المحاربي قال: قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اجلسوا بنا نؤمن ساعة؛ يعني: نذكر الله تعالى»[(٤)].

۞ الفوائد:

الأولى: أن الإيمان يزيد، وهذا الذي دلت عليه النصوص صراحة، وإذا كان يزيد فهو ينقص من باب اللازم؛ لأن مِن لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصًا عن الزائد[(٥)].

قال ابن حجر: «وجه الدلالة منه ظاهرة؛ لأنه لا يحمل على أصل

---

(١) في المخطوط وبعض الطبعات: (سماك)، وهو خطأ، والصواب (شِبَاك) كما في المصنف ومصادر التخريج، وهو: الضبي الكوفي، ثقة، يروي عن النخعي، وروى عنه فُضَيل بن غزوان وغيره. ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٣٩٠).

(٢) هكذا في المخطوط وأكثر نسخ المصنَّف ومطبوعاته، وفي نسخة خطية منه جاءت مجزومة (نزدد)، والسياق والمعنى يؤيد عدم الجزم فيما يظهر.

(٣) أخرجه: حرب الكرماني في مسائله (ص٣٧٠)، والخلال (١٥٤٥)، واللالكائي (١٧٣٠)، وأبو نعيم (٢/ ٩٩)، والبيهقي في الشعب، (٥٦) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٤٢) من طريق ابن فضيل به، وإسناده صحيح.

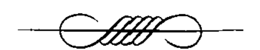
(٤) أخرجه: أبو عبيد في الإيمان (٢٠)، وعبد الله (٧٩٦)، والخلال (١١٢١)، وابن بطة (١١٣٥)، واللالكائي (١٧٠٧)، وأبو نعيم (١/ ٢٣٥)، والبيهقي في الشعب (٤٣) من طريق جامع به، وعلَّقه البخاري مجزومًا به. قال ابن حجر في التغليق (٢/ ٢١): «هذا موقوف صحيح».

(٥) ينظر: القول المفيد في شرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٧٣).

الإيمان؛ لكونه كان مؤمنًا، وأيَّ مؤمن! وإنما يحمل على إرادة أنه يزداد إيمانًا بذكر الله تعالى»(١).

الثانية: أن من أسباب زيادة الإيمان: ذِكْر الله - تبارك وتعالى - وذكر الله شامل لمطلق الذِّكْر؛ كتلاوة القرآن، والأذكار المطلقة والمقيدة، ومجالس الذكر، وحِلَق العلم، فكل هذا مما يزداد به الإيمان.

الثالثة: ينبغي التواصي بين المسلمين في هذا الشأن، والحرص عليه، ودعوة الأقارب والأصحاب إلى مجالس الذِّكر وحِلَق العلم، وكل ما يحقق زيادة الإيمان، ويحفظ من الفتن والبلاء.



(١) فتح الباري (١/٤٨).

١٠٦- أخبرنا أبو أسامة، عن مهدي بن ميمون، عن عمران القصير، عن معاوية بن قُرَّة قال: «كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: اللهم إني أسألك إيمانًا دائمًا، وعلمًا نافعًا، وهديًا قيِّمًا، قال معاوية: فنرى أن مِن الإيمان إيمانًا ليس بدائم، ومِن العلم علمًا لا ينفع، ومِن الهَدي هديًا ليس بقيِّم»[1].

❁ **الفوائد:**

الأولى: أن الإيمان ينبغي أن يكون مُستَدامًا، فيثبت العبد عليه، ويسعى بأسباب الثبات على الحق والإيمان، ويستعيذ بالله تعالى من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ[2]، ومن أن يُردَّ على عقبه، أو أن يُفتن في دينه.

الثانية: أن الإيمان يزيد وينقص، فلا يمكن أن يكون على وتيرة واحدة في كل الأحوال.

الثالثة: أن العلم منه النافع وغير النافع، فالنافع علم الكتاب والسنة، وما يتعلق بهما، وكذا العلوم الدنيوية الصحيحة، وأما غير النافع فعدم نفعه إما بأصله؛ كالعلوم المحرمة والضارة، وإما أنه نافع بأصله لكن

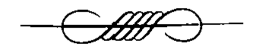
---

(١) أخرجه: ابن بطة (٩٧٥) من طريق مهدي بن ميمون بلفظ: إن أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: نسأل الله إيمانًا دائمًا، ويقينًا صادقًا، وعلمًا نافعًا. قال: فقال معاوية بن قرة: كأنَّ من الإيمان ليس بدائم، وكأن من اليقين ليس بصادق، وكأن من العلم علمًا ليس بنافع». ولا بأس بإسناده.

(٢) الحور بعد الكور: النقصان بعد الزيادة، والرجوع عن الاستقامة والحال الجميلة بعد أن كان عليها، مأخوذ من كور العمامة وحورها، فمعناه: اللهم إنا نعوذ بك أن تتغير أمورنا، وتنتقض كنقض العمامة بعد كورها، وهو شدُّها. الزاهر لابن الأنباري (١/ ١٢٤-١٢٥)، التمهيد (٢٤/ ٣٥٣)، كشف المشكل (٤/ ٢٣٧).

هذا الرجل لم ينتفع به، فلم يتق به ربَّه، ولم تتزك به نفسه، ولم يزدد به من الله إلا بُعْدًا - نسأل الله السلامة والعافية -.

الرابعة: المقصود بالهدي القيِّم اتباع السنة، وصِدْق التأسي بالنبي الكريم ﷺ، والبُعْد عن الغلوِّ والجفاء، والسير على منهج السلف الصالح؛ اعتقادًا، وعلمًا، وعملًا.



١٠٧- حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن جامع بن شدَّاد، عن الأسود ابن هلال قال: «كان معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه»(١).

١٠٨- أخبرنا أبو أسامة، عن محمد بن طلحة، عن زُبَيْد(٢)، عن زِرٍّ(٣) قال: «كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ربما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: قم بنا نزدد إيمانًا»(٤).

أثر معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبق في رقم (١٠٥)، وتقدم الكلام على معناهما.



---

(١) سبق رقم (١٠٥).

(٢) في المخطوط: (زيد)، وهو خطأ، والصواب: (زُبَيْد) كما في المصنف ومصادر التخريج، وهو: ابن الحارث اليامي أبو عبد الرحمن الكوفي، ثقة ثبت عابد، توفي سنة ١٢٢هـ. ينظر: التاريخ الأوسط (٣/ ٢٥٠)، الجرح والتعديل (٣/ ٦٢٣)، تهذيب الكمال (٩/ ٢٨٩)، الكاشف (١٦١٤)، التقريب (١٩٨٩).

(٣) في المخطوط وبعض مصادر التخريج (ذر)؛ وهو: ابن عبد الله المُرْهِبي، وفي المصنف ومصادر أخرى (زِرّ) وهو: ابن حُبَيش، ولعله الأقرب؛ إذ هو الذي يروي عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الموافق لتسلسل طبقات الإسناد، بل قد ورد التصريح باسمه كاملًا في فتح الباري لابن رجب (١/ ١٣)، وينظر أيضًا: تفسير الثعلبي (٣/ ٢١٢).

(٤) أخرجه: حرب في مسائله (ص٣٧٠)، والخلال (١١٢٢، ١٥٨٤)، والآجري (٢١٨)، وابن بطة (١١٣٤)، واللالكائي (١٧٠٠)، والبيهقي في الشعب (٣٦) من طريق محمد بن طلحة، وإسناده فيه لين يسير؛ من أجل محمد وهو: ابن مصرِّف اليامي، قال ابن حجر: «صدوق له أوهام»، ينظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٤١٧)، الميزان (٣/ ٥٨٨)، التقريب (٥٩٨٢).

١٠٩- حدثنا وكيع، نا الأعمش، عن[١] سليمان بن ميسرة، والمغيرة بن شِبْل، عن طارق بن شِهَاب الأَحْمَسي، عن سلمان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: «إن مثل الصلوات الخمس كمثل سهام الغنيمة، فمن يضرب فيها بخمسة خير ممن يضرب فيها بأربعة، ومن يضرب فيها بأربعة خير ممن يضرب فيها بثلاثة، ومن يضرب فيها بثلاثة خير ممن يضرب فيها بسهمين، ومن يضرب فيها بسهمين خير ممن يضرب فيها بواحد، وما جُعِلَ مَنْ له سهم في الإسلام كمن لا سهمَ له»[٢].

۞ الفوائد:

الأولى: هذا الأثر ورد له قصة - كما تبين في التخريج - وهو أن سلمان أصاب جارية في الغنيمة، وأمرها بالصلوات الخمس فأبت، فأراد أن تصلي أربعًا فأبت، فأراد أن تصلي ثلاثًا فأبت، فأراد أن تصلي اثنتين فأبت، فأراد أن تصلي واحدة فأبت، فقيل له: ما تغني عنها صلاة واحدة إذا تركت سائر الصلوات؟ فقال: يا بن أخي؛ إن مثل هذه الصلوات الخمس كمثل سهام الغنيمة. . ، إلى أن قال: وإنها إذا رغبت في صلاة

(١) في المخطوط: (الأعمش وسليمان)، وهو خطأ، والتصويب من المصنف.

(٢) أخرجه: أبو داود في الزهد (٢٥٣) مطولًا وفيه قصة من طريق سليمان بن ميسرة، عن طارق به. وأخرج: الطبراني (٦٠٥٤)، ومن طريقه أبو نعيم (١/ ٢٠٦) من طريق عطاء ابن السائب، عن أبي البختري قال: أصاب سلمان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ جارية، فقال لها بالفارسية: «صلي»، قالت: لا، قال: «اسجدي واحدة» قالت: لا، قيل: يا أبا عبد الله، وما تغني عنها سجدة؟ قال: «إنها لو صلَّت صلَّت، وليس مَنْ له سهم في الإسلام كمن لا سهم له». قال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٩٤): «وفيه ضرار بن صُرَد أبو نعيم، وهو ضعيف جِدًّا».

واحدة رغبت فيهن كلهن.

فلا يقصد سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه تجزئ عنها صلاة واحدة، فالصلوات الخمس كلها سهم واحد، كما ورد من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث أحلف عليهن، لا يجعل الله عَزَّ وَجَلَّ مَنْ له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، فأسهم الإسلام ثلاثة: الصلاة، والصوم، والزكاة**»(١). وورد في الأثر عن حذيفة - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: «الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم...» - وسيأتي عند المؤلف - فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد أنها إذا صلَّت واحدة رغبت في بقية الصلوات، لا أن الصلاة الواحدة تجزئ عنها.

وقد كان النبي ﷺ في أول الأمر يتألف بعض الناس بشيء من هذا.

قال ابن رجب: «وقد كان أحيانًا يتألف على الإسلام مَنْ يريد أن يسامح بترك بعض حقوق الإسلام، فيقبل منهم الإسلام، فإذا دخلوا فيه رغبوا في الإسلام، فقاموا بحقوقه وواجباته كلها» ثم ذكر أمثلة لذلك مما روي في هذا(٢).

بل إن ابن تيمية قعَّد لذلك قاعدة فقال: «إذا كان النهي مستلزمًا في القضية المعينة لترك المعروف الراجح؛ كان بمنزلة أن يكون مستلزمًا لفعل المنكر الراجح، كمن أسلم على ألَّا يصلي إلا صلاتين؛ كما هو مأثور عن بعض مَنْ أسلم على عهد النبي ﷺ، أو أسلم بعض الملوك

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٥١٢١)، وأبو يعلى (٤٥٦٦)، والطحاوي في شرح المشكل (٢١٨٥)، وفي إسناده ضعف.

(٢) ينظر: فتح الباري (٤/ ١٩٩)، جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٨-٢٢٩).

المسلطين وهو يشرب الخمر، أو يفعل بعض المحرمات، ولو نُهِي عن ذلك ارتدَّ عن الإسلام»[١].

الثانية: لا شك أن الصلوات الخمس كلها سهم واحد؛ كما سبق، لكن الذي يصلي بعض الصلوات خير ممن تركها جملة، فمن يصلي أحيانًا خير ممن لا يصلي مطلقًا، بل لو تركها بالكلية كفر، كما أن من يصلي أحيانًا على خطر عظيم[٢].

الثالثة: كلما ازداد إيمان العبد اشتدت محافظته على صلاته، وعظمت عنايته بها، وارتفع قدرها عنده.



(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٢).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥-٦، ٤٩)، الإيمان الأوسط (ص٥٦٧).

١١٠- أخبرنا ابن فُضَيْل، عن لَيث، عن عمرو بن مرة، عن البراء ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عُرَى الإسلام الحب في الله، والبغض في الله»[١].

١١١- حدثنا ابن نُمَير، عن مالك بن مِغْوَل، عن زُبَيْد، عن مجاهد قال: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله»[٢].

سبق الكلام في مسألة الحب في الله والبغض في الله.



(١) أخرجه: أحمد (١٨٥٢٤)، والطيالسي (٧٨٣)، وابن نصر (٣٩٣)، والبيهقي في الشعب (١٤) من طريق ليث بن أبي سليم، وحاله لا تخفى، وقد اختلف عليه فيه، فمرة رواه عن عمرو، عن البراء ﵁، ومرة جعل بينهما (معاوية بن سويد)، كما أن الحديث رُوِيَ عن عمرو بن مرة مرسلًا، فالحديث من هذا الطريق ضعيف، وله شواهد من حديث ابن عباس، وابن مسعود، ومعاذ بن أنس، وأبي أمامة، وأبي ذر ﭫ.

(٢) أخرجه: ابن نصر (٣٩٩) من طريق مالك بن مغول به، وإسناده صحيح.

١١٢ - حدثنا يزيد بن هارون، أنا داود بن أبي هند، عن زُرَارة بن أوفى، عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة المكتوبة، فإن أتمها، وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع؟ فأُكْمِلت الفريضة، فإن لم تُكمل الفريضة، ولم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فقذف به في النار».

١١٣ - أخبرنا هُشَيم، أنا داود، عن زُرَارة، عن تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمثل حديث يزيد، إلا أنه لم يذكر: «يؤخذ بطرفيه فيقذف به في النار»[(١)].

الفوائد:

الأولى: تعظيم أمر الصلاة، وأنها أول ما يُحاسب به العبد من أعماله يوم القيامة، وهذا في الأعمال القاصرة، وأما المتعدية فأول ما يُقضى فيه بين الناس الدماء، فهذا الحديث في حق الله - تبارك وتعالى - والآخر في حقوق الخلق، بل قد ورد الجمع بينهما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند النسائي بلفظ: «**أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة،**

---

(١) أخرجه: أبو داود (٨٦٦)، وابن ماجه (١٤٢٦)، وأحمد (١٦٩٤٥)، والدارمي (١٣٩٥)، وابن نصر (١٩٠-١٩٢)، والطبراني (١٢٥٥)، والحاكم (٩٨٢)، والبيهقي (٤٠٥٨-٤٠٥٩) من طريق داود بن أبي هند، واختلف عليه في رفعه ووقفه، ومَنْ وقفه أكثر ممن رفعه، بل تفرد برفعه حماد بن سلمة؛ كما قال: الدارمي، وأبو الوليد الطيالسي، والبيهقي، وصحَّح الحديث الدارمي. وقد تكلم بعض النقاد في سماع زرارة بن أبي أوفى من تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الإمام أحمد: «ما أحسب لقي زرارة تميمًا؛ تميمٌ كان بالشام، وزرارة بصري، كان قاضيها». وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة، وابن مسعود، وأنس، وأبي سعيد، وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. ينظر: شرح العلل (١/ ٢٠٠)، فتح الباري لابن رجب (٥/ ١٤٢-١٤٣)، الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٤/ ١٩٩)، التابعون الثقات المتكلم في سماعهم من الصحابة (١/ ٥١٨-٥٢٢).

وأول ما يقضى بين الناس في الدماء»[١].

الثانية: أن من حكمة مشروعية نوافل العبادات: تكميل نقص الفرائض، فينبغي للمسلم الإكثار منها، والتزود لهذا المشهد العظيم، والموقف الهائل.

الثالثة: أن النوافل حرز وحفظ للفرائض، في الآخرة بتكميل الحسنات ورفع الدرجات، وفي الدنيا بكمال أدائها وإتقان عملها؛ لأن من حافظ على النوافل فهو على الفرائض أشد محافظة، والعكس؛ فمتى تساهل الرجل في نوافله فربما سرى ذلك وانجرَّ إلى الفرائض؛ كما هو المُشَاهد.



(١) سنن النسائي (٣٩٩١)، وينظر: شرح النووي على مسلم (١١/ ١٦٧)، إحكام الأحكام (٢/ ٢٢٠)، فتح الباري (١١/ ٣٩٦).

١١٤- حدثنا يزيد بن هارون[١]، نا أبو معشر، عن محمد بن صالح الأنصاري: أن رسول الله ﷺ لقي عوف بن مالك، فقال: «كيف أصبحت يا عوف بن مالك؟» قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، فقال رسول الله ﷺ: «إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة ذلك؟» قال: يا رسول الله، أظلفت[٢] نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ هواجري، وكأني أنظر إلى عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، فقال رسول الله ﷺ: «عُرِّفت» أو «لُقِّنت فالزم[٣]»[٤].

١١٥- حدثنا ابن نُمَير، نا مالك بن مِغْوَل، عن زُبَيْد قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أصبحت يا حارث بن مالك؟» قال: أصبحتُ مؤمنًا[٥]، قال: «إن لكل حقٍّ حقيقة[٦]» قال: أصبحتُ قد عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، ولكأنما

---

(١) في بعض طبعات المصنف ومخطوطاته: (يونس بن هارون) وهو خطأ.

(٢) يقال: ظلفه ظلفًا: منعه عما لا خير فيه، وظلف نفسه عن الشي: منعها عن هواها، ورجل ظَلِف النفس وظَلِيفُها من ذلك، ومنه يقال: ظلف الرجل نفسه عما يشينها إذا منعها. ينظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٧٢)، لسان العرب (٩/ ٢٣١)، تاج العروس (٢٤/ ١٢٠).

(٣) في المصنف: «عرفت وآمنت فالزم».

(٤) لم أقف عليه عند غيره من هذا الوجه، وهو ضعيف مرسل، أبو معشر هو: نجيح بن عبد الرحمن السندي، ضعيف مختلط، وشيخه الأنصاري تابعي، وانظر ما بعده. ينظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ٣٢٢)، الميزان (٤/ ٢٤٦)، التقريب (٧١٠٠).

(٥) في المصنف: (أصبحت مؤمنًا حقًّا).

(٦) في المصنف: «إن لكل قول حقيقة»، وفي بعض مخطوطاته بعدها «فما حقيقة ذلك؟».

أنظر إلى عرش ربي قد أُبْرِز للحساب، ولكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة[١]، ولكأني أسمع عواء أهل النار، قال: فقال له: «عبد نوَّر الله الإيمان في قلبه» أو: «عرفت فالزم[٢]»[٣].

قوله: (أصبحت مؤمنًا)، له معنيان:

الأول: أنه أراد كمال الإيمان، وهذا ظاهر كلام ابن القيم،

---

(١) في المخطوط: (يتزاورون فيها في الجنة) وهو خطأ، وقد وضع على (فيها) علامة ضرب، أي: حذف لها.

(٢) في المصنف: «**عبد نُوِّر الإيمان في قلبه، إنْ عرفت فالزم**».

(٣) لم أقف عليه عند غيره من هذا الوجه، وهو معضل؛ زُبَيد اليامي من أتباع التابعين. وقد أخرج الحديث: ابن المبارك في الزهد (٣١٤)، وعبد الرزاق (٢٠١١٤)، ومسدد (٢٨٧٣ مطالب)، وعبد بن حميد (٤٤٥)، والبزار (٦٩٤٨)، وابن نصر (٣٦٢)، والعقيلي (٦٨٠٦)، والطبراني (٣٣٦٧)، وأبو نعيم (١/ ٢٤٢)، والبيهقي في الشعب (١٠١٠٦-١٠١٠٧)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢٢)، وابن عساكر (٣٨/ ٢٧٤)،(٥٤/ ١٨٠)،(٥٨/ ٤١٦) من طرق متعددة ووجوه مختلفة، موصولًا ومرسلًا، وقد وقعت القصة مع ثلاثة من الصحابة؛ الحارث بن مالك، وعوف بن مالك، ومعاذ ابن جبل، وأقواها قصة الحارث، وإلا فكلها ضعيفة، قال العقيلي: «ليس لهذا الحديث إسناد يثبت»، وقال ابن صاعد: «هذا الحديث لا يثبت موصولًا». قال ابن تيمية: «رواه ابن عساكر مرسلًا، وروي مسندًا من وجه ضعيف لا يثبت». وقال ابن رجب: «وهذا الحديث مروي مرسلًا، ورُوِيَ مسندًا متصلًا، لكن من وجوهٍ ضعيفةٍ». وقال أيضًا: «وهو حديث مرسل، وقد روي مسندًا بإسناد ضعيف»، وضعَّفه العراقي، وقد توسع ابن حجر في إيراد طرقه في كتاب الإصابة أثناء ترجمة الحارث بن مالك الأنصاري، وحكم بإعضاله، وأنه لا يثبت موصولًا. ينظر: الاستقامة لابن تيمية (١/ ١٩٤)، فتح الباري لابن رجب (١/ ٢١٢)، مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ١٣١-١٣٢)، جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٧)، الإصابة (٢/ ٣٩٢-٣٩٥).

وابن رجب[١]، وهو الظاهر من سياق القصة، لكن يشكل عليه الجزم بذلك، ولعل مما يجاب عنه: أنه أخبر عن حقيقة ما في نفسه، وصريح عمله الذي هو عليه، فأقرَّه النبي ﷺ على ذلك.

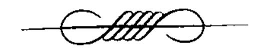
الثاني: أنه محمول على أصل الإيمان؛ لأن العبد لا يدَّعي لنفسه كماله، وسبق الإشارة إلى هذا في مسألة الاستثناء، لكن السياق يؤيد إرادة الأول، والله تعالى أعلم.



(١) ينظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٤٢٠)، فتح الباري لابن رجب (١/ ٢١٢)، جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٩-١٣٠).

١١٦- حدثنا أبو أسامة، عن موسى بن مسلم، نا ابن سَابِط قال: «كان عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بيد النفر من أصحابه، فيقول: تعالوا[١] فلنؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله، ولتزدادوا إيمانًا[٢]، تعالوا نذكر الله بطاعته، لعله يذكرنا بمغفرته»[٣].

سبق معناه، والكلام على مدلوله.



(١) في المخطوط: (فقالوا) وهو خطأ.

(٢) في المصنف: (فلنذكر الله ونزدد إيمانًا).

(٣) إسناده ضعيف؛ لأن ابن سابط هذا لم يدرك زمن ابن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه: ابن المبارك (١٣٩٥)، وابن بطة (١١٣٧)، وابن عساكر (٢٨/ ١١١-١١٢) من طريق بلال ابن سعد: أنَّ أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان ابن رواحة يأخذني بيدي فيقول: تعال نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلبًا من القِدْر إذا استجمعت غليًا»، ورواية بلال عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرسلة. وأخرجه: اللالكائي (١٧٠٨) من طريق صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد، عن ابن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمعناه، ورواية شريح عن جُلِّ الصحابة مرسلة، وأخرج: أحمد (١٣٧٩٦) من طريق عمارة بن زاذان، عن زياد النميري، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه، يقول: تعال نؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟ فقال النبي ﷺ: **«يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة»**، وإسناده ضعيف، وأخرج: البيهقي في الشعب (٤٩) من طريق أحمد بن يونس، عن شيخ من أهل المدينة، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، أنَّ عبد الله بن رواحة، وإسناده ضعيف؛ لإبهام شيخ أحمد بن يونس، ولأنَّ عطاء لم يدرك عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله طرق أخرى مرسلة. ينظر: تحفة التحصيل (ص٣٥٣).

١١٧- حدثنا يزيد بن هارون، نا العوَّام بن حَوشَب، عن أبي صادق، عن علي رَضِوَاللَّهُعَنهُ قال: «إن للإسلام[(١)] ثلاث أَثَافي[(٢)]: الإيمان، والصلاة، والجماعة، فلا تقبل صلاة إلا بالإيمان، فمن آمن صلى، ومن صلى جامع، ومن فارق الجماعة قِيد شِبْر خلع رِبْقَة الإسلام[(٣)] من عنقه»[(٤)].

المقصود أنَّ الإيمان لا يتحقق إلا بهذه القواعد الثلاث العظيمة: الإيمان، والصلاة، ولزوم الجماعة، وهي متلازمة تمام التلازم، فلا يقوم الإيمان - وهو التصديق بالباطن - إلا بعمل ظاهر، وأجلُّه وآكده الصلاة، وإذا فعلها فقد لزم جماعة المسلمين.

---

(١) في المخطوط: (للإيمان) والذي في المصنف ومصادر التخريج (للإسلام).

(٢) الأثافي: جمع أُثْفِيَّة، وهي الحجارة التي تنصب وتجعل القِدْر عليها، يقال: أثفيت القدر: إذا جعلت لها الأثافي، وثفيتها: إذا وضعتها عليها. ينظر: النهاية (١/ ٢٣)، تاج العروس (٥/ ١٥٤).

(٣) قال في النهاية (٢/ ١٩٠): «مفارقة الجماعة: ترك السنة واتباع البدعة، والربقة في الأصل: عروة في حبل، تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني ما يشدُّ به المسلم نفسه من عُرَى الإسلام، أي: حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه، وتجمع الربقة على رِبَق، مثل كِسْرة وكِسَر، ويقال للحبل الذي تكون فيه الربقة: ربق، وتجمع على أرباق ورباق».

(٤) أخرجه: اللالكائي (١٥٣١) من طريق يزيد بن هارون به، بلفظ: «إن الإسلام ثلاث أثافٍ: الإيمان، والصلاة، والجماعة، فلا تقبل صلاة إلا بالإيمان، فمن آمن صلى وجامع»، وإسناده ضعيف، أبو صادق الأزدي الكوفي لم يسمع من علي رَضِوَاللَّهُعَنهُ. ينظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٤١٢)، الكاشف (٦٦٨٣)، تحفة التحصيل (ص٦١٤)، التقريب (٨١٦٧).

ولا يقوم أمر الناس إلا بجماعة، ولا تقوم الجماعة إلا بأمير يُسمع ويُطاع له، فيقوى أمر الإسلام، وتشتد شوكته، ويهابه أعداؤه، وإذا تفرق المسلمون، أو لم يكن لهم إمام ولا بيعة، طُمع فيهم، وأصبحوا شيعًا وأحزابًا؛ ولذا قيل: لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة(١).



(١) هذا مروي عن عمر رضي الله عنه، أخرجه: الدارمي (٢٥٧)، وفي إسناده ضعف.

١١٨- حدثنا يزيد بن هارون، نا محمد بن مُطَرِّف(١)، عن حسان بن عطية، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء والعِيُّ شعبتان من الإيمان»(٢).

الفوائد:

الأولى: قال الترمذي: «والعِيُّ: قلة الكلام، والبذاء: هو الفحش في الكلام، والبيان: هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون

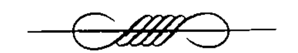
---

(١) في المخطوط: (عن محمد بن مطرف، عن هارون، عن حسان بن عطية) فذكر (هارون) خطأ؛ كما في المصنف ومصادر التخريج المتعددة.

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٠٢٧)، وأحمد (٢٢٣١٢)، وابن الجعد (٢٩٤٩)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٧٤)، وابن نصر (٤٤٦)، والروياني (١٢٦٣)، والطحاوي في شرح المشكل (٢٩٨٣)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٠٠)، وابن بطة (٥٣٥)، والحاكم (١٧)، والبيهقي في الشعب (٧٣٠٧) من طريق محمد بن مطرف، وفيه زيادة: «**والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**»، وإسناده ضعيف؛ حسان بن عطية لم يسمع من أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الأرجح، وأخرج الطبراني (٧٤٨١) من طريق محمد بن محصن العكاشي، عن صفوان بن عمرو، عن خالد بن معدان، حدثني أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الحياء والعي من الإيمان، وهما يقربان من الجنة، ويباعدان من النار، والفحش والبذاء من الشيطان، وهما يقربان من النار، ويباعدان من الجنة**»، فقال أعرابي لأبي أمامة: إنا لنقول في الشعر: «إن العي من الحمق». فقال: تراني أقول: قال رسول الله ﷺ وتجيبني بشعرك المنتن! وابن محصن كذَّبه بعضهم. وله شواهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد سبق رقم (٤٢)، ومن حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي عن حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث أبي غسان محمد بن مطرف». ينظر: تحفة الأشراف (٦/ ٣١)، تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٧٢)، الميزان (٣/ ٤٧٦)، جامع التحصيل (١٣٢)، التقريب (٦٢٧٨)، التابعون الثقات المتكلم في سماعهم من الصحابة (١/ ١٨٠-١٨٣).

فيوسعون في الكلام ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله»[١].

الثانية: أن الإيمان شعب، والنفاق أيضًا شعب، فمن شعب الإيمان الحياء والعِيّ، والعِيُّ هنا ليس العجز، وإنما قلة الكلام، والورع في القول، ومن شعب النفاق: البذاء، وهو الفحش في القول، والبيان والتوسُّع بالكلام بما لا ينبغي ولا يليق، أو يقول ما لا يعتقد؛ كالمدح بغير حق، أو بما يغري بفعل المنكر، أو مدح أهل الفجور والمعاصي، ونحو ذلك، فهذا كله من خصال النفاق.



(١) السنن (٢٠٢٧).

١١٩- حدثنا ابن فُضَيل، عن عطاء بن السائب، عن مُحَارِب، عن ابن بُريدة قال: وردنا المدينة، فأتينا عبد الله بن عمر، فقلنا: يا أبا عبد الرحمن؛ إنا نُمْعِنُ في الأرض، فنلقى قومًا يزعمون أنْ لا قَدَر، فقال: من المسلمين؟! ممن يصلي القبلة[١]؟! فقال: نعم، ممن يصلي القبلة[٢]، قال: فغضب حتى وددت أني لم أكن سألته، ثم قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أن عبد الله بن عمر منهم بريء، وأنهم منه بَراء، ثم قال: إن شئت حدثتك عن رسول الله ﷺ. فقال: أجل، قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأتى رجل جيد الثياب، طيب الريح، حسن الوجه، فقال: يا رسول الله؛ ما الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: «تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتغتسل من الجنابة» قال: صدقت، ثم قال: يا رسول الله؛ ما الإيمان؟ فقال رسول الله ﷺ: «تؤمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، وبالقدر خيره وشره، وحلوه ومره» قال: صدقت، ثم انصرف، فقال رسول الله ﷺ: «عليَّ بالرجل» قال: فقمنا جماعتنا[٣] فطلبناه، فلم نقدر عليه، فقال النبي ﷺ: «هذا جبريل عليه السلام، جاءكم يعلمكم أمر دينكم»[٤].

(١) هكذا في المخطوط، وفي المصنف: (يصلي إلى القبلة).

(٢) في المصنف: (قلنا: نعم، ممن يصلي إلى القبلة، قال: فغضب...).

(٣) هكذا في المخطوط، ولم أقف عليه بهذا اللفظ عند غيره، والذي في المصنف: (بأجمعنا).

(٤) أخرجه: النسائي في الكبرى (٦٠٦١)، وابن نصر (٣٧٠)، واللالكائي (١٠٣٨-١٠٣٩) من طريق عطاء بن السائب، وهذا إسناد ضعيف؛ ابن فُضيل سمع=

الفوائد:

الأولى: حديث جبريل عليه السلام حديث جليل عظيم، يدل على مراتب الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان وأركانها.

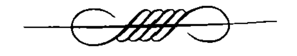
قال ابن رجب: «وهو حديث عظيم جدًّا، يشتمل على شرح الدين كله، ولهذا قال النبي ﷺ في آخره: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» بعد أن شرح درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، **فجعل** ذلك كله دينًا»(١).

الثانية: الإيمان بالقضاء والقدر، خيره وشره وحلوه ومره، وهو سبب إيراد الحديث من ابن عمر؛ للرد على نفاة القدر؛ ولذا استغرب ابن عمر رضي الله عنهما أن يقول ذلك رجل مسلم يصلي ولا يؤمن بالقدر.

= من عطاء بعد الاختلاط، ورُوِي من وجوه أخرى عن عطاء ومن فوقه، والحديث وهم من رواية ابن عمر رضي الله عنهما، فالمحفوظ أنه من روايته عن أبيه؛ كما في الصحيح، قال الإمام مسلم: «وقد ذكرنا رواية الكوفيين حديث ابن عمر في سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، وقد أوهموا جميعًا في إسناده؛ إذ انتهوا بالحديث إلى ابن عمر، حكى ذلك من حضور رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام، وإنما روى ابن عمر عن عمر بن الخطاب أنه هو الذي حضر ذلك، دون أن يحضره ابن عمر، ولو كان ابن عمر عاين ذلك وشاهده لم يجز أن يحكيه عن عمر». وورد أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وليس في المحفوظ زيادة: «**وتغتسل من الجنابة**». ينظر: التمييز لمسلم (ص١١٨-١١٩)، بيان الوهم والإيهام (٥/ ٥٨٢)، تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٣/ ٤٢٣)، عجالة الإملاء المتيسرة (١/ ٢٨٢-٢٨٩).

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٩٧)، وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية شرحًا وافيًا، ضمن مجموع الفتاوى، ثم طبع مفردًا باسم شرح حديث جبريل، المعروف بالإيمان الأوسط.

الثالثة: لعل وجه إيراد المؤلف لهذا الحديث من جهة أن الغُسل من الجنابة من الإيمان، وهذه زيادة غير محفوظة، لكن معنى ذلك وارد في أحاديث أخرى سيذكرها المؤلف بعده.



١٢٠- حدثنا ابن مهدي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي ليلى[١] الكندي، عن حُجْر بن عدي قال: نا علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إنَّ الطهور شطرُ الإيمان»[٢].

١٢١- حدثنا عفان، نا أبان العطار، نا يحيى بن أبي كثير، عن زيد، عن أبي سلَّام[٣]، عن أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الطهور نصف الإيمان»[٤].

١٢٢- حدثنا وكيع، نا الأوزاعي، عن حسان[٥] قال: «الوضوء شطر

---

(١) في المخطوط وبعض الطبعات (عن ابن أبي ليلى)، وهو تصحيف، والصواب: (عن أبي ليلى) كما في المصنف ومصادر التخريج، يقال: هو سلمة بن معاوية، وقيل: بالعكس، وقيل: سعيد بن بشر، وقيل: المعلى، كندي كوفي ثقة. ينظر: التقريب (٨٣٣٢).

(٢) أخرجه: أبو عبيد في الطهور (٣٦)، وعبد الله (٨٠٢)، والخلال (١٥٩٤)، وابن عساكر (١٢/ ٢٠٩) من طريق ابن مهدي به، وانظر رقم (١٢٣)، والحديث في الصحيح؛ كما سيأتي بعده.

(٣) في المخطوط: (عن زيد أبي سلَّام)، وهو تصحيف، والصواب (عن زيد بن سلَّام، عن أبي سلَّام) كما في المصنف ومصادر التخريج.

(٤) أخرجه: مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، والدارمي (٦٧٩) من طريق أبان العطار به مطولًا بلفظ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن** - أو **تملأ** - **ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**». وأخرجه: النسائي (٢٤٥٦)، وابن ماجه (٢٨٠) من طريق معاوية ابن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، عن جده أبي سلام، عن عبد الرحمن بن غَنْم، عن أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنحوه.

(٥) هو: حسان بن عطية، وهكذا سياق إسناده في المصنف ومصادر التخريج، ووقع في =

الإيمان»[١].

١٢٣- أخبرنا وكيع، نا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي ليلى[٢] **الكندي، عن غلام لحُجْر: «أن حُجْرًا رأى ابنًا له خرج من الغائط**[٣]**، فقال: يا غلام، ناولني الصحيفة من الكَوَّة**[٤]**: سمعت عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: الطهور نصف الإيمان»**[٥].

= المخطوط: (الأوزاعي، عن حسان، عن عكرمة قال: الوضوء...) فزاد فيه عكرمة، وهو وهم، وإنما يرويه الأوزاعي، عن حسان بن عطية من قوله، وفي بعضها رواه مرسلًا، ولم أقف على قول لعكرمة في هذا الباب، والله تعالى أعلم.

(١) هكذا أخرجه المؤلف فجعله من قول حسان بن عطية، وقد أخرجه في موضع آخر (١٨١٩)، والعدني (٦١)، وابن شاهين في فضائل الأعمال (٥١٠) من طريق الأوزاعي، عن حسان بن عطية به مرسلًا، ولفظه عند ابن أبي شيبة في الموضع الآخر مطولًا: «**الوضوء شطر الإيمان، والسواك شطر الوضوء، ولولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، ركعتان يستاك فيهما العبد أفضل من سبعين ركعة لا يستاك فيها**»، وإسناده ضعيف؛ لإرساله، وفي متنه المطول شيء من النكارة.

(٢) في المخطوط وبعض الطبعات: (عن ابن أبي ليلى)، وهو تصحيف؛ كما سبق.

(٣) في بعض الألفاظ: «خرج من الغائط ولم يتوضأ» أو قال: «لم يتطهر» كأنه تساهل في هذا وقد أمره بذلك؛ لذا طلب الصحيفة وحدَّثه بأثر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) فتحة في الحائط نافذة، فإن كانت غير نافذة قيل لها: مشكاة، جمعها كِوَاء وكوًى، والأشهر فتح الكاف، وتقال: بالضم. التلخيص للعسكري (ص١٧٣)، تحرير ألفاظ التنبيه (ص٢٠٢)، المصباح المنير (٤٤٤).

(٥) أخرجه: عبد الله (٨٠٠)، واللالكائي (١٧٠٢)، وابن عساكر (١٢/ ٢٠٩) من طريق سفيان به، وأخرجه: ابن سعد (٦/ ٢٢٠)، وعبد الله (٨٠١)، والخلال (١٥٩٢) من طريق عُمير بن قُمَيْم قال: حدثني غلام لحجر بن عدي الكندي قال: قلت لحجر: «إني رأيت ابنك دخل الخلاء ولم يتوضأ، قال: ناولني الصحيفة من الكَوَّة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما سمعت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يذكر أن الطهور نصف =

الفوائد:

الأولى: اختلف أهل العلم في المقصود بقوله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**» **وما في معناه على أقوال**:

القول الأول: أن المقصود بالطهور: الوضوء، والإيمان: الصلاة، فيكون المعنى أن الوضوء نصف الصلاة، ويدل لهذا رواية: «**إسباغ الوضوء شطر الإيمان**»، قالوا: ولا يلزم أن يكون الشطر نصفًا حقيقيًّا، قال به: يحيى بن آدم، وابن الجوزي، والنووي، وابن رجب[(١)].

القول الثاني: أن الإيمان قسمان: ترك المحظور وفعل المأمور، فالطهور في هذا الحديث بمعنى الأول، وهو ترك المحظور، ذكر هذا ابن رجب ولم يرضه[(٢)].

القول الثالث: أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان.

القول الرابع: أن الإيمان يجبُّ ما قبله من الخطايا، وكذلك الوضوء؛ لأنَّ الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان، فصار لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر.

القول الخامس: أن الإيمان يطهر الباطن من الكفر الذي هو نجس،

= الإيمان»، وهو ضعيف بهذا الإسناد؛ لجهالة غلام حجر، قال أبو حاتم: «بين أبي إسحاق وحجر رجلان، يرويه الثقات عن أبي إسحاق، عن آخر، عن غلام حجر، عن حجر». ينظر: علل ابن أبي حاتم (٦٩)، وسبق من وجه آخر رقم (١٢٠).

(١) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٣٥)، شرح السنة (١/ ٣٢٠)، كشف المشكل (٤/ ١٥٥)، شرح صحيح مسلم (٣/ ١٠٠)، جامع العلوم والحكم (٢/ ٧).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٧).

والطهور يطهر الطاهر من الأنجاس[١].

الثانية: فضيلة المحافظة على الطهارة والعناية بها من غير إسراف ولا وسوسة، وأن يعتني المسلم بالنظافة في شأنه كله.

الثالثة: فضيلة إسباغ الوضوء، لا سيما على المكاره في أوقات البرد والشدة.

الرابعة: أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، خلافًا للمرجئة.



(١) ينظر: مطالع الأنوار (٦/ ٤٢-٤٣)، المسالك (٢/ ٧٥)، الاقتضاب في غريب الموطأ (١/ ٤٤٧)، المفهم (١/ ٤٧٤)، شرح صحيح مسلم (٣/ ١٠٠)، جامع العلوم والحكم (٢/ ٧-٩).

١٢٤- حدثنا محمد بن بشر، نا زكريا، نا الحواري، أن عبد الله بن عمر[(١)] ﵄ قال: «إنَّ عُرَى الدين وقوائمه: الصلاة، والزكاة، لا يفرَّق بينهما، وحج البيت، وصوم رمضان، وإن مِنْ أَصْلَحِ الأعمال: الصدقة، والجهاد. ثم قام فانطلق[(٢)]»[(٣)].

الفوائد:

الأولى: هذا اللفظ للأثر تفسِّره رواية أخرى عند عبد الرزاق، عن ابن التيمي، عن عبد الملك بن عُمير، عن الحواري بن زياد العَتَكي قال: كنتُ جالسًا عند ابن عمر ﵄ فجاءه رجل شاب، فقال: ألا تجاهد؟ فسكت، ثم أعرض عنه، ثم عاد فسكت، وأعرض عنه، ثم سأله، فقال ابن عمر: إن الإسلام بُنِي على أربع دعائم: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، لا تُفرِّق بينهما، وصيام رمضان، وحج البيت مَنِ استطاع إليه سبيلًا، وإن الجهاد والصدقة من العمل الحسن، ثم قام فانطلق.

---

(١) في المخطوط: (بن عمرو) وهو تصحيف، والصواب: (بن عمر)، كما في المصنف ومصادر التخريج.

(٢) في المصنف: (قم فانطلق).

(٣) أخرجه: عبد الرزاق (٥٠١٢، ٩٢٧٩) - ومن طريقه الطبراني (١٤٠٧٦) - عن ابن التيمي، عن عبد الملك بن عمير، عن الحواري بن زياد قال: كنتُ جالسًا عند ابن عمر ﵄ فجاءه رجل شاب، فقال: ألا تجاهد؟ فسكت، ثم أعرض عنه، ثم عاد فسكت وأعرض عنه، ثم سأله، فقال ابن عمر ﵄: «إنَّ الإسلام بني على أربع دعائم: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة لا تفرِّق بينهما، وصيام رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا، وإن الجهاد والصدقة من العمل الحسن». وإسناده ضعيف؛ الحواري بن زياد العتكي مجهول. ينظر: الميزان (١/ ٦٢٢).

وللقصة سياق آخر عند المؤلف في «المصنَّف» من طريق يزيد بن بشر السكسكي قال: قدمتُ المدينة فدخلت على عبد الله بن عمر، فأتاه رجل من أهل العراق فقال: يا عبد الله، ما لك تحج وتعتمر، وتركتَ الغزو في سبيل الله؟! فقال: «ويلك، إن الإيمان بُنِي على خمس: تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان»، قال: فردَّها عليه، فقال: «يا عبد الله، تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان»، قال: فردَّها عليه، فقال: «يا عبد الله، تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان، كذلك قال لنا رسول الله ﷺ».

الثانية: كلام ابن عمر رضي الله عنهما في ذكر دعائم الإسلام هو بمعنى حديثه المرفوع الذي في «الصحيحين» وغيرهما: «**بُنِي الإسلام على خمس**...» فالإسلام قائم على هذه الدعائم والأركان العظيمة، فهذا مما يبين وجه مناسبة هذا الأثر لكتاب الإيمان.

الثالثة: لا يمكن أن يفهم من كلام ابن عمر رضي الله عنهما التهوين من شأن الجهاد؛ إذ هو ذروة سنام الإسلام، لكنَّ هذا الشاب أراد من ابن عمر رضي الله عنهما جهاد الطلب الذي هو فرض كفاية، فبيَّن له ابن عمر دعائم الإسلام وأركانه المتعينة على كل أحد؛ ليعرف منازل الفرائض، ومدارك الأحكام.

الرابعة: لم يذكر الجهاد في أركان الإسلام مع عظيم منزلته وجلالته؛ لأنَّه فرض كفاية، ولا يتعين إلا في بعض الأحوال، ولأنه غير دائم، بل ينقطع في آخر الزمان إذا نزل عيسى عليه السلام ولم يبق إلا ملة

الإسلام؛ كما قال ابن رجب(١).

الخامسة: ينبغي للعبد ألا يحصر مفهوم الإسلام في خصلة دون بقية الخصال، فهذا الظاهر من تصرُّف هذا الشاب مع ابن عمر وإلحاحه عليه في الجهاد؛ ولهذا قال أهل العلم: من كمال هذه الشريعة، وعظيم الرحمة فيها، والحكمة في تشريعاتها أنها نوَّعت الشرائع والأحكام، فجعلت منها المالي والبدني، والمتعدي والقاصر، والظاهر والباطن، لينظر العبد ما هو الأتقى لربه، والأصلح لقلبه، والأزكى لنفسه فيعمله.

والنبي ﷺ سأله جملة من الصحابة عن أفضل الأعمال؟ فاختلف جوابه لهم؛ إذ المدار على صلاح القلب، وتحقيق التقوى، فالعبد ينظر ما هو الأصلح لقلبه والأتقى لربه؛ كما نُقِلَ عن الإمام أحمد(٢).

ولعل هذا من حكمة تنويع أبواب الجنة، ففيها باب الصلاة، وباب الصدقة، وباب الريان، وباب الوالد، وغيرها، والموفق الصادق مَنْ يُدْعَى غدًا منها جميعًا - اللهم اجعلنا منهم برحمتك -.

ومَن فُتِح له باب طاعة، وبورك له فيه فليلزمه ويحفظه ويحافظ عليه، دون أن يُلْزِم به غيره، فضلًا عن لومه على عدم اجتهاده فيه.

قال ابن تيمية: «مِنَ الناس مَن يرى أن العمل إذا كان أفضل في حقه لمناسبة له، ولكونه أنفع لقلبه، وأطوع لربه، يريد أن يجعله أفضل لجميع الناس ويأمرهم بمثل ذلك، والله بعث محمدًا بالكتاب والحكمة، وجعله رحمة للعباد وهديًا لهم، يأمر كل إنسان بما هو أصلح له، فعلى

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٥٢).

(٢) ينظر: الجامع لعلوم الإمام أحمد (٦/ ٣٥٧).

المسلم أن يكون ناصحًا للمسلمين، يقصد لكل إنسان ما هو أصلح له، وبهذا تبين لك: أنَّ مِن الناس مَن يكون تطوعه بالعلم أفضل له، ومنهم من يكون تطوعه بالجهاد أفضل، ومنهم من يكون تطوعه بالعبادات البدنية - كالصلاة والصيام - أفضل له، والأفضل المطلق ما كان أشبه بحال النبي ﷺ باطنًا وظاهرًا»[1].

وقد ورد أن عبد الله بن عمر العُمَري العابد الزاهد كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والتعبد، فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرُبَّ رجل فُتِح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، ونشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيتُ بما فُتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبِرٍّ[2].

وهذا فقه عميق، وفهم سديد في أنَّ مَن بورك له في شيء فليلزمه، دون أن يثرِّب على إخوانه أو يلومهم، فضلًا عن انتقاص عملهم أو تحقيره، فما يكون أفضل في حقك لا يلزم أن يكون كذلك في حق غيرك.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٢٨-٤٢٩).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ١٤).

١٢٥- أخبرنا ابن عُلَيَّة، عن يونس، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا»[١].

سبق هذا موصولًا في رقم (١٧) و(١٩).

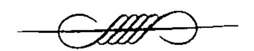
---

(١) أخرجه: الخلال (١٢٠٤)، وابن بطة (٨٤٢) من طريق ابن علية به. وأخرجه: وكيع في الزهد (٤٢٠) من طريق مبارك بن فضالة، والربيع بن صَبِيح، عن الحسن به، ومرسلات الحسن ضعيفة، وقد سبق موصولًا رقم (١٧، ١٩).

١٢٦- حدثنا ابن نُمَير، نا محمد بن أبي إسماعيل[١]، عن معقل الخثعمي قال: «أتى عليًّا رضي الله عنه رجلٌ في الرَّحْبة[٢]، فقال: يا أمير المؤمنين؛ ما ترى في المرأة لا تصلي؟ فقال: من لم يصل فهو كافر»[٣].

الظاهر أن هذه المرأة لا تصلي مطلقًا؛ فلذا قال عليٌّ رضي الله عنه: مَن لم يصلِّ فهو كافر.

وسبق الكلام في مسألة ترك الصلاة وأحواله، وأن القول الراجح أن الحكم بالكفر إنما يكون بالترك المطلق، وليس بمطلق الترك؛ فمن كان يصلي ويُخَلِّي فإنه لا يكفر حتى يترك الصلاة تركًا مطلقًا، والعياذ بالله.



(١) في المخطوط: (بن إسماعيل) وهو تصحيف، والصواب: (بن أبي إسماعيل)، كما في المصنف ومصادر التخريج.

(٢) هكذا في المخطوط، وفي المصنف وبقية المصادر (وهو في الرحبة)، والرحبة: الساحة المنبسطة في المسجد، والبقعة المتسعة بين أفنية القوم، وهي بفتح الراء وسكون الحاء، والجمع رِحَاب مثل: كَلْبة وكِلاب، وتقال: بفتحهما، وهو أكثر، والجمع رَحَب ورَحَبات. ينظر: فتح الباري (١٠/ ٨١)، المصباح المنير (ص١٨٥).

(٣) أخرجه: العدني (٦٣)، وابن نصر (٩٣٣)، والخلال (١٣٩٣)، والآجري (٢٧٧)، وابن بطة (٨٨٩)، والبيهقي في الشعب (٤١) من طريق ابن أبي إسماعيل به، وفي لفظ: «قالوا: إنها مستحاضة، قال: تتخذ صوفة فيها سمن أو زيت، ثم تغتسل وتصلي». وإسناده ضعيف؛ الخثعمي مجهول. ينظر: الميزان (٤/ ١٤٧)، التقريب (٦٨٠١).

١٢٧- أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن عبد الله ابن ضَمْرَة، عن كعب قال: «مَن أقام الصلاة، وآتى الزكاة فقد توسط الإيمان».

١٢٨- حدثنا محمد بن عُبَيد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن عبد الله بن ضَمْرة، عن كعب قال: «مَنْ أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وأطاع[١] فقد توسط الإيمان، ومَنْ أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[٢].

الفوائد:

الأولى: أن من أقام دعائم الإسلام، ومنها الصلاة والزكاة فقد بلغ الإيمان وتوسطه.

الثانية: أن مَنْ صدق في باطنه، فعمره بكمال الإيمان، فأحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان، فهذه مرتبة أعلى من السابقة.

الثالثة: أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه مراتبُ وشُعَبٌ، وأن الأعمال منه.

---

(١) هكذا في المخطوط، وفي المصنف وبقية المصادر: (وسمع وأطاع).

(٢) أخرجه: وكيع في الزهد (٣٣٥)، وهناد في الزهد (٤٨٠)، والعدني (١٣)، وابن نصر (٣٩٨)، والخلال (١٦١٩-١٦٢٠)، وابن بطة (٨٤٩-٨٥٠)، واللالكائي (١٧٢٤-١٧٢٦)، وأبو نعيم (٦/ ٣١)، والأصبهاني في الحجة (٨٩) من طريق أبي صالح به، وقد اختلف عليه في ذكر ابن ضمرة أو عدم ذكره، فربما رواه عن كعب الأحبار مباشرة، وفي بعض طرقه رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الرابعة: قوله «**وأعطى لله ومنع لله**» لا يختص هذا بعطاء المال أو منعه، بل في كل شيء حتى في الأمور المعنوية، فلا يبذل إلا لله، ولا يريد إلا وجه الله، وابتغاء مرضاته، ولا يمنع شيئًا ماليًّا أو غير مالي إلا لله - تبارك وتعالى -، فهو لا يمنع شُحًّا ولا بُخلًا، وكذلك الحب والبغض لا يكون إلا لله - تبارك وتعالى -، فليس لنفسه فيه أدنى حظ، نسأل الله الهداية والتوفيق.



١٢٩- حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبيد الله بن عُبيد[١] الكَلَاعي قال: «أخذ بيدي مكحول، فقال: يا أبا وهب، كيف تقول في رجل ترك صلاة مكتوبة متعمِّدًا؟ فقلت: مؤمن عاصٍ، فشد بقبضته على يدي، ثم قال: يا أبا وهب؛ ليعظم شأن الإيمان في نفسك، مَنْ ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله، ومَن برئت منه ذمة الله فقد كفر»[٢].

هذا يتعلق بمسألة ترك الصلاة، وسبق بيان حكم ذلك.



(١) في المخطوط: (عبيد الله بن عبد الله) والذي في المصنف ومصادر التخريج وكتب التراجم: (عبيد الله بن عبيد) وهو الصواب.

(٢) أخرجه: أحمد (٢٧٣٦٤)، وعبد الرزاق (٥٠٠٨)، والعدني (٣٣)، والمروزي في البر والصلة (١٠٥)، وعبد بن حميد (١٥٩٤)، وابن نصر (٩١٣-٩١٤، ٩١٧، ٩١٨)، والخلال (١٣٩٦)، وابن بطة (٨٨٥)، والبيهقي (١٤٨٩٣)، وابن عساكر (٦٠/ ١٩٩) من طرق عن مكحول بنحوه مطولًا ومختصرًا، ومرسلًا وموصولًا، فمرة أرسله، وأخرى رواه عن أبي ذر رضي الله عنه، وثالثة عن أم أيمن رضي الله عنها مرفوعًا، كما أنه ورد مرفوعًا عن عدد من الصحابة؛ كأبي الدرداء، ومعاذ، وابن عمر، وعبادة وغيرهم رضي الله عنهم، وكلها لا تخلو من ضعف، قال ابن رجب في الفتح (٤/ ٣١١): «فأسانيد هذا الحديث كلها غير قوية»، وينظر: التلخيص الحبير (٣/ ١٢٨٣)، وقد سبقت جملة من الأحاديث والآثار في حكم تارك الصلاة.

١٣٠- حدثنا أبو خالد الأحمر، عن عمرو بن قيس، عن أبي إسحاق قال: قال علي رحمة الله عليه: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»(١).

الفوائد:

الأولى: بيان منزلة الصبر، وأنها من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

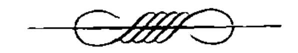
الثانية: أن الإيمان يتفاوت بحسب خصاله - ومنها الصبر - فإذا لم يصبر العبد عند المصيبة، أو زاد على ذلك بالتسخُّط والجزع؛ فهذا دليل على ضعف إيمانه، لكنه لا يكفر به، فقوله هنا: **(ذهب الإيمان)**؛ أي: كماله الواجب. وكما يكون الصبر عند المصيبة يكون عند الطاعة، فيصبِّر نفسه على طاعة الله - تبارك وتعالى - ويجاهد نفسه في تحقيق التعبُّد. والقسم الثالث: الصبر عن المعصية، فيحجز نفسه ويجاهدها على ترك المعاصي، والله - تبارك وتعالى - قد ابتلى الخلق وامتحنهم

(١) أخرجه: الزبير بن عدي (٧٣)، ووكيع (١٩٩)، وعبد الرزاق (٢١٠٣١)، والعدني (١٩)، وابن أبي الدنيا في الصبر (٨)، والدينوري في المجالسة (٣٠٩)، والجوهري في مسند الموطأ (١٩)، واللالكائي (١٥٦٩)، وأبو نعيم (١/ ٧٥)، والبيهقي في الشعب (٤٠، ٩٢٦٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٤٧) والخطيب في المتفق والمفترق (٨٣١)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٦١٣)، وابن عساكر (٤٢/ ٥١٠) من طرق عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه زيادة عند بعضهم، وإسناد المؤلف ضعيف؛ لأن أبا إسحاق لم يسمع من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن رواه غيره كالشعبي وميمون بن مهران وعكرمة عنه، وروي مرفوعًا ولا يصح، بل هو موضوع، وطرقه الموقوفة فيها مقال، لكن لعله يتقوى بمجموعها، وهذه العبارة من أشهر مقولات علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي أطبق العلماء على تداولها. ينظر: التابعون الثقات المتكلم في سماعهم من الصحابة (٢/ ٨٩٣-٨٩٩).

بما رُكِّب في نفوسهم من الشهوات والمَيْل إلى شيء مما تهواه النفوس، مع ما قد يُسَلَّط على العبد من الهوى وشياطين الإنس والجنّ، فكل هذه تحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، وعظيم استعانة، وصِدْق توكُّل؛ لتحصل النجاة منها.

سِتٌّ بُليت بها والمستعاذ به ... من شرها مَنْ إليه الخلقُ تبتهلُ
نفسي وإبليس والدنيا التي فتنت ... مَن قبلنا والهوى والحرصُ والأملُ
إن لم تكن لك يا مولاي واقية ... من شرها فلقد أعيت بنا الحيلُ[١]

الثالثة: من المسائل المشهورة المفاضلة بين الغنيِّ الشاكر والفقير الصابر، وقد اختار ابن تيمية وابن القيم أن أفضلهما أتقاهما، ولابن تيمية رسالة مفردة في المسألة[٢].



(١) ينظر: موارد الظمآن لدروس الزمان (٣/ ١٠٥).

(٢) ينظر في المسألة: إحكام الأحكام (١/ ٣٢٥)، مجموع الفتاوى (١١/ ٢١، ١٢٢)، عدة الصابرين (ص٣٣٨-٣٤٩)، مدارج السالكين (٣/ ٢٣٧-٢٣٩)، بدائع الفوائد (٣/ ١١٠٣)، التوضيح لابن الملقن (١/ ٢٣٠)، فتح الباري (١١/ ٢٧٥)، كشف اللثام (٣/ ١٠٤).

١٣١- حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن صِلَة، عن عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ثلاثٌ مَن جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، والإنفاق من الإقتار، وبذل السلام للعالَم»[١].

الفوائد:

الأولى: قوله: **«ثلاث مَن جمعهن جمع الإيمان»** يعني: استكمل الإيمان، **وهذه الثلاث هي:**

أولًا: «الإنصاف من نفسك»؛ وهو أن يكون العبد عنده نَصَفَة وعدل، مع نفسه في معاملة ربه - تبارك وتعالى - فلا يكون ظلومًا جهولًا، وفي معاملة خلقه، فلا يكون عنده جَوْر وبَغْي.

قال ابن رجب: «وهو من أعزِّ الخصال، ومعناه: أن يعرف الإنسان الحق على نفسه، ويوفيه من غير طلب»[٢].

ثانيًا: «الإنفاق من الإقتار»، فينفق مع قلة ماله، فهذا خير من نفقة مَنْ مَالُه كثير؛ لصدق توكله، وعدم تعلُّق قلبه بالمال.

(١) أخرجه: البخاري معلقًا مجزومًا به (١/ ٣٢)، ووصله: وكيع في الزهد (٢٤١)، ومعمر في الجامع (١٩٤٣٩)، والطبري في التهذيب (١٩٤)، والخلال (١٦١٥)، وابن الأعرابي في معجمه (٧٢١)، واللالكائي (١٧١٣)، والبيهقي في الشعب (٤٨)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢٠٧٣)، وابن عساكر (٤٣/ ٤٥١) من طريق أبي إسحاق به، وقد روي مرفوعًا، وهو خطأ كما قال: أبو زرعة وأبو حاتم والبزَّار، وقال ابن حجر في التغليق (٢/ ٣٨): «وهذا موقوف صحيح». وقال في الفتح (١/ ٨٣): «له حكم الرفع، فمثله لا يقال بالرأي». ينظر: مسند البزار (١٣٩٦)، علل ابن أبي حاتم (١٩٣١)، فتح الباري لابن رجب (١/ ١٣٤).

(٢) فتح الباري (١/ ١٣٥).

ثالثًا: «**بذل السلام للعالَم**»، وهذا من أعظم خصال الإيمان؛ لأنه يحقق المحبة والمودة بين المسلمين؛ كما قال النبي ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(١).

الثانية: «**بذل السلام للعالَم**»: هو أن تسلِّم على من عرفت ومن لم تعرف، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**وتُسَلِّم على مَن عرفت ومَن لم تعرف**»(٢)، وقد عُدَّ من علامات آخر الزمان السلام للمعرفة، أو تسليم الخاصَّة؛ كما ورد في الحديث(٣).

الثالثة: أن نفقة المعسِر على عياله أعظم أجرًا من نفقة الموسِر(٤)؛ لأن هذا يصعب عليه بذل المال، ومع ذلك قويت نفسه على بذله فيما أوجب الله - تبارك وتعالى - عليه.

الرابعة: قال ابن القيم: «وقد تضمنت هذه الكلمات أصولَ الخير وفروعه، فإن «**الإنصاف**»: يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفرة، وأداء حقوق الناس كذلك، وألَّا يطالبهم بما ليس له، ولا يحملهم فوق وُسْعهم، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، ويعفيهم مما يحب أن يعفوه منه، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها، ويدخل في هذا إنصافه نفسه من نفسه، فلا يدَّعي لها ما ليس لها، ولا يخبثها بتدنيسه

---

(١) أخرجه: مسلم (٥٤).

(٢) أخرجه: مسلم (٣٩).

(٣) أخرجه: أحمد (٣٨٧٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤٩).

(٤) ينظر: شرح ابن بطال على صحيح البخاري (١/ ٨٤).

لها، وتصغيره إياها، وتحقيرها بمعاصي الله، وينميها ويكبرها ويرفعها بطاعة الله وتوحيده، وحبه وخوفه ورجائه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وإيثار مرضاته ومحابّه على مراضي الخلق ومحابِّهم. . . «**وبذل السلام للعالم**»: يتضمن تواضعه، وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضد هذا، فإنه لا يرد السلام على كل من سلَّم عليه كِبْرًا منه وتِيهًا، فكيف يبذل السلام لكل أحد؟! «**وأما الإنفاق من الإقتار**»: فلا يصدر إلا عن قوة ثقة بالله، وأن الله يخلفه ما أنفقه، وعن قوة يقين، وتوكل، ورحمة، وزهد في الدنيا، وسخاء نفس بها، ووثوق بوعد مَنْ وَعَدَهُ مغفرة منه وفضلًا، وتكذيبًا بوعد من يعده الفقر، ويأمر بالفحشاء. والله المستعان»(١).

وقال ابن حجر: «قال أبو الزناد بن سراج وغيره: إنما كان من جمع الثلاث مستكملًا للإيمان؛ لأن مداره عليها؛ لأن العبد إذا اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقًّا واجبًا عليه إلا أدَّاه، ولم يترك شيئًا مما نهاه عنه إلا اجتنبه، وهذا يجمع أركان الإيمان. وبذل السلام يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع، وعدم الاحتقار، ويحصل به التآلف والتحابب. والإنفاق من الإقتار يتضمن غاية الكرم؛ لأنه إذا أنفق من الاحتياج كان مع التوسُّع أكثر إنفاقًا، والنفقة أعمُّ من أن تكون على العيال واجبة ومندوبة، أو على الضيف والزائر، وكونه من الإقتار يستلزم الوثوق بالله، والزهد في الدنيا، وقِصَر الأمل، وغير ذلك من مهمات الآخرة»(٢).

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٤٠٧-٤١٠).

(٢) الفتح (١/ ٨٣)، وينظر: الإفصاح (٦/ ٤٠٥)، الكواكب الدراري (١/ ١٣٣)، =

الخامسة: لعظيم ما اشتمل عليه هذا الكلام، ذهب بعض الشُّرَّاح إلى أنه مرفوع حكمًا، قالوا: لأن هذا من جوامع الكلم التي لا تصدر إلا من مِشْكاة النبوة[1].

= التوضيح لابن الملقن (٢/ ٦٥٧-٦٥٨)، عمدة القاري (١/ ١٩٨).

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٨٣).

١٣٢- حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن صِلَة، عن عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: «إنهم لا إيمان لهم» فقال: «لا عهد لهم»(١).

۞ الفوائد:

الأولى: قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢] قُرِئ بقراءتين: فقرأ بعضهم: «إنهم لا إيمان لهم» بالكسر، وهذه قراءة ابن عامر، وهو الذي في مخطوط الكتاب، وقرأ الجمهور بالفتح: ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢](٢).

الثانية: قال ابن القيم: «إذا طعن الذمي في الدين كان إمامًا في الكفر، فيجب قتاله، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢] علة أخرى لقتاله. فأما على قراءة الكسر، فتكون الآية قد تضمنت ذِكْر المقتضي للقتال، وهو نَكْث العهد والطعن في الدين، وبيان عدم المانع من القتال، وهو الإيمان العاصم. وأما على قراءة فتح الألف، فالأيمان جمع يمين، وهي أحسن القراءتين؛ لأنه قد تقدم في أول الآية قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم﴾ [التوبة: الآية ١٢] فأخبر سبحانه عن سبب القتال - وهو نكث الأيمان والطعن في الدين - ثم أخبر أنه لا أيمان لهم تعصمهم من القتل؛ لأنهم قد نكثوها، والمراد بالأيمان هنا العهود لا القَسَمُ بالله»(٣)،

---

(١) أخرجه: ابن الجعد (٢٥١٨)، والطبري في التفسير (١١/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم (١٠٠٢٦) من طريق أبي إسحاق به. وأخرجه: الطبري (١١/ ٣٦٦)، والحاكم (٣٣٢٠) من وجه آخر عن أبي إسحاق، عن صلة، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وإسنادهما صحيح.

(٢) ينظر: التيسير للداني (ص١١٧)، النشر للجزري (٢/ ٢٧٨)، تفسير ابن عطية (٣/ ١٢).

(٣) أحكام أهل الذمة (٣/ ١٣٨٦).

ومعنى هذا الكلام ذكره شيخه ابن تيمية في «الصارم المسلول»[(١)].

الثالثة: وجه مناسبة هذا الأثر لكتاب الإيمان من جهة نفي الإيمان، وأنه ربما استدل به الخوارج والمرجئة على أنه شيء واحد إذا نُفي فقد ذهب كله، وهذا باطل؛ لأن الآية على قراءة الكسر واردة في الكفار أصلًا، فلا يستقيم استدلال أهل البدع بها، والأرجح في معنى الآية قراءة الجمهور: ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢]؛ أي: لا عهود لهم.



---

(١) ينظر: (٢/ ٤٠-٤٣).

١٣٣- حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم قال: كان يُقال[١]: «لا يدخل النارَ إنسانٌ في قلبه مثقال حبة من خَرْدل من إيمان»[٢].

المقصود أنه لا يدخل نار الكفار التي يخلدون فيها، أو أنه لا يدخلها دخولَ خلودٍ وبقاءٍ دائمٍ[٣] أما أن المسلم العاصي أو مرتكب الكبائر لا يدخل النار أبدًا، فهذا لا يُقطع له به، بل هو تحت المشيئة؛ ولهذا يُخاف عليه كما هو مذهب أهل السنة، فهم يخافون على المسيء، ويرجون للمحسن.



(١) في المخطوط: (كان يقول)، والتصحيح من المصنف وغيره.

(٢) لم أقف عليه عند غيره من هذا الوجه، وأخرجه مرفوعًا: مسلم (٩١)، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٨)، وابن ماجه (٥٩)، وأحمد (٣٩١٣)، وابن حبان (٢٢٤) من طريق إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كِبْر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**».

(٣) للعلماء عدة أجوبة عن كل الأحاديث الدالة على عدم دخول الموحِّد للنار لمجرد التوحيد، وقول الشهادتين، وكل هذا للرد على من احتج بها من المرجئة. ينظر في ذلك: كشف المشكل (٢/ ٥٧)، شرح النووي على مسلم (١/ ٢١٩-٢٢١)، جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٨-٥٢٧)، مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٤٣-٥٣)، فتح الباري (١١/ ٢٦٩-٢٧٠).

١٣٤- حدثنا زيد بن الحُبَاب، عن الصَّعِق بن حَزْن البَكْري قال: [حدثني عَقيل الجعدي، عن أبي إسحاق، عن سُوَيد بن غَفَلَة، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ][(١)] قال رسول اللَّه ﷺ: «أوثق عُرَى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله»[(٢)].

سبق الكلام على معناه.



---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط، وتم استدراكه من المصنف ومصادر التخريج.

(٢) أخرجه: الطيالسي (٣٧٦)، والعقيلي (٤٧٦٦)، والخرائطي في المكارم (٧٦١)، والشاشي (٧٧٢)، والطبراني (١٠٥٣١)، والحاكم (٣٨٣٦)، وأبو نعيم (٤/ ١٧٧)، والبيهقي (٢١١١١) من طريق الصعق به، وقد وقع عند بعضهم مطولًا جدًّا، وإسناده واهٍ؛ عقيل الجعدي منكر الحديث. قال أبو حاتم: «نفس الحديث منكر، لا يشبه حديث أبي إسحاق، ويشبه أن يكون عقيل هذا أعرابيًّا»، وقال العقيلي: «حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به»، وقال الذهبي متعقبًا الحاكم في تصحيحه: «ليس بصحيح؛ فإن الصعق وإنْ كان موثقًا فإن شيخه منكر الحديث، قاله البخاري»، وأعلَّ الحديث بعقيل الجعدي: البيهقي، والهيثمي، والبوصيري، وله طريقان آخران عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيهما ضعف، والمتن سبق من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقم (١١٠)، وهو ثابت صحيح عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ينظر: التاريخ الكبير (٧/ ٥٣)، علل ابن أبي حاتم (١٩٧٧)، الجرح والتعديل (٦/ ٢١٩)، المجروحين لابن حبان (٨٢٩)، الكامل (٨/ ٥٤٩)، المهذب في اختصار السنن الكبرى للذهبي (٨/ ٤٢٤٩)، مختصر تلخيص الذهبي لابن الملقن (٣٨٢)، مجمع الزوائد (٢/ ٥٦).

١٣٥- حدثنا أبو أسامة، عن جرير بن حازم، حدثني عيسى بن عاصم، حدثني عدي بن عدي[١] قال: «كتب إليَّ عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإن الإيمان فرائضُ وشرائعُ، وحدودٌ وسننٌ، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومَنْ لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإنْ أَعِش فسأبيِّنها لكم حتى تعملوا بها، وإن أنا مُتُّ قبل ذلك فما أنا على صحبتكم بحريص»[٢].

الفوائد:

الأولى: الفرائض هي: الواجبات. **والشرائع**: يشمل عموم الشريعة من الأوامر والنواهي، والأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة. **والحدود**: لها أكثر من إطلاق، فتطلق على الأوامر بألا تُترك، وعلى النواهي بألا تُفعل؛ ولهذا يقال في الأوامر: «فلا تعتدوها»، وفي النواهي: «فلا تقربوها»، فكل ما أمر الله - تبارك وتعالى - به فحَدُّه أن يُفعل، وكل ما نهى عنه فحَدُّه أن يُترك، فهذه حدود الله. **والسنن هي**: المستحبات والنوافل.

---

(١) هو: عدي بن عدي بن عميرة الكندي، أبو فروة الجزري، تابعي من أولاد الصحابة، قال الذهبي: «ثقة ناسك فقيه»، وكان عامل عمر بن عبد العزيز على الموصل فلذلك كتب إليه، توفي سنة (١٢٠هـ). ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ٣)، تهذيب الكمال (١٩/ ٥٣٤)، الكاشف (٣٧٦٢).

(٢) علقه البخاري مجزومًا به (١/ ١١)، ووصله: الخلال (١١٦٢، ١٥٥٣)، وابن بطة (١١٦٦)، واللالكائي (١٥٧٢)، والبيهقي في الشعب (٥٨)، وابن عساكر (٤٥/ ٢٠٣) من طريق جرير به. قال ابن حجر في التغليق (٢/ ٢٠): «وهو إسناد صحيح، ورجاله ثقات».

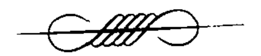
الثانية: من استكمل العمل بذلك كله فقد استكمل الإيمان، ومن نقص أو قصَّر فقد نقص إيمانه بمقدار ذلك، فهو يدل على زيادة الإيمان ونقصانه[١].

الثالثة: قوله: «**فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها**» هذا من أعظم أبواب الخير، وهو تعليم الناس أمور دينهم، والشفقة عليهم، وحثهم على العلم والعمل، وأن المقصود من العلم العمل به، وتزكية النفس، وتطهير القلب، وإصلاح الظاهر والباطن.

الرابعة: فيه دلالة على أن الإيمان شُعَبٌ وخصالٌ متعددةٌ، منها الفرائض والشرائع، ومنها ما هو دون ذلك؛ كالسنن، والمستحبات، والرغائب.

الخامسة: أن مما يُطلق عليه الإيمان عموم الشريعة؛ ولهذا قالوا: إن وجه مناسبة إيراد البخاري لهذا الأثر في كتاب الإيمان بيان أن عموم الشريعة داخل في الإيمان؛ ولذا عقد بعده أبوابًا كثيرة في جملة من العبادات والمعاملات وأنها من الإيمان.

السادسة: أن النوافل والتطوعات داخلة في حقيقة الإيمان، فمن أتى بها فهو أكمل ممن تركها، وإن كان التارك لا يكون فاسقًا أو عاصيًا بهذا الترك[٢].



---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٧).

(٢) ينظر: مسائل الإيمان لأبي يعلى (ص٢٧٧-٢٨٤)، التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٤٣).

١٣٦- حدثنا الفضل بن دُكَين، نا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم قال: لا بد لأهل هذا الدِّين من أربع: دخول في دعوة الإسلام، ولا بد من الإيمان، وتصديق بالله وبالمرسلين أولهم وآخرهم، وبالجنة وبالنار، وبالبعث بعد الموت، ولا بد من أن تعمل عملًا تصدق به إيمانك، ولا بد من أن تعلم علمًا تحسِّن به عملك، ثم قرأ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: الآية ٨٢](١).

الفوائد:

الأولى: الدخول في دعوة الإسلام، أي: في أركانه الظاهرة، ولا بد من الإيمان - وهو تصديق القلب - ثم ذكر بعض أركانه وهي: الإيمان بالله، وبالرسل، وبالجنة والنار، وبالبعث بعد الموت.

الثانية: لا يمكن أن يكون هناك تصديق في القلب إلا ويتبعه عمل ظاهر، كما لا يمكن وجود عمل ظاهر حقيقة إلا بتصديق في القلب؛ ولذا قال في آخر ذلك: «**ولا بد من أن تعمل عملًا تصدِّق به إيمانك**»، فإذا صدق الإيمان في القلب انبعثت الجوارح بالعمل، وكلما كان الإيمان أكمل، والتصديق أعظم، كان انبعاث الجوارح للعمل أشد وأسرع، وأنعم وألذَّ؛ إذ التلازم بين الظاهر والباطن ضرورة، إلا ما يكون في عمل المنافق؛ لأن أعماله ليست على الحقيقة، فلا وجود لها في قلبه.

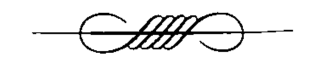
الثالثة: لا بد للعمل من علم وبصيرة حتى يكون موافقًا للسنة؛ ولذا

---

(١) أخرجه: اللالكائي (١٥٨٢) من طريق أبي نعيم به، وإسناده صحيح.

قال: «**ولا بد من أن تعلم علمًا تحسِّن به عملك**».

الرابعة: ثم قرأ بعد ذلك: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: الآية ٨٢]؛ لأن هذه الآية تفيد معنى الأربع التي ذكرها. وفيها أيضًا إشارة إلى أن العبد مهما حصل له من الإيمان والعمل الصالح فليس معصومًا من الذنب والمعصية، فالواجب عليه البدار بالتوبة والإنابة والاستغفار، وإذا صدق فهو موعود بقَبول التوبة ومحو الزَّلَّة.

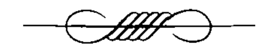


١٣٧- حدثنا عبد الأعلى، عن الجُرَيري، عن عبد الله بن شَقِيق قال: «ما كانوا يقولون لعمل تَرَكَه رجلٌ: كُفْر، غير الصلاة، فقد كانوا يقولون: تَرْكُها كُفْرٌ»(١).

المقصود بذلك الصحابة ﷺ، ولم يختلفوا في ذلك.

وقد رُوِي معنى هذا عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعن مجاهد أبي الحجاج، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «قلت له: ما كان يفرق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: الصلاة»(٢).

وسبق الكلام مفصَّلًا في أحوال وأحكام تارك الصلاة.



(١) أخرجه: الترمذي (٢٦٢٢)، وابن نصر (٩٤٨)، والخلال (١٣٧٨) من طريق الجُرَيري به. وصححه: النووي والسخاوي، ورُوِي من وجه آخر عند الحاكم وصححه (١٢) من طريق الجُرَيري، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الذهبي: «إسناده صالح»، ولعل المحفوظ الأول؛ إذ رواته عن الجُرَيري أكثر. ينظر: خلاصة الأحكام (٦٦٠)، الأجوبة المرضية للسخاوي (٢/ ٨١٩).

(٢) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٥٣٨).

١٣٨- حدثنا أبو بكر بن عياش، عن مُغيرة قال: **سمعت شَقيقًا وسأله** رجل: «**سمعتَ ابنَ مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يقول: من شهد أنه مؤمن فليشهد أنه في الجنة؟ قال: نعم**»[1].

هذا يتعلق بمسألة الاستثناء في الإيمان، وسبق الكلام في ذلك.



(١) أخرجه: عبد الله (٧١١، ٧٢١)، والطبري في التهذيب (٩٩٧)، والخلال (١٠٢٨)، واللالكائي (١٧٧٩) من طريق مغيرة به، وإسناده صحيح.

١٣٩- حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم قال: «قيل لأبي وائل: إن ناسًا يزعمون أن المؤمنين يدخلون النار؟ قال: لعمرك، والله إنَّ حشوها غيرُ المؤمنين»[(١)].

هذا الأثر فيه ردٌّ على الخوارج؛ لأنهم يزعمون دخول عصاة المؤمنين في النار وتخليدهم فيها كالكفار، فقال أبو وائل: «**لعمرك، والله إن حشوها غير المؤمنين**»، وهذا لا ينفي دخول مَن شاء الله من عصاة الموحدين النار ثم خروجهم منها، خلافًا للمرجئة.

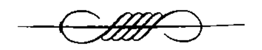


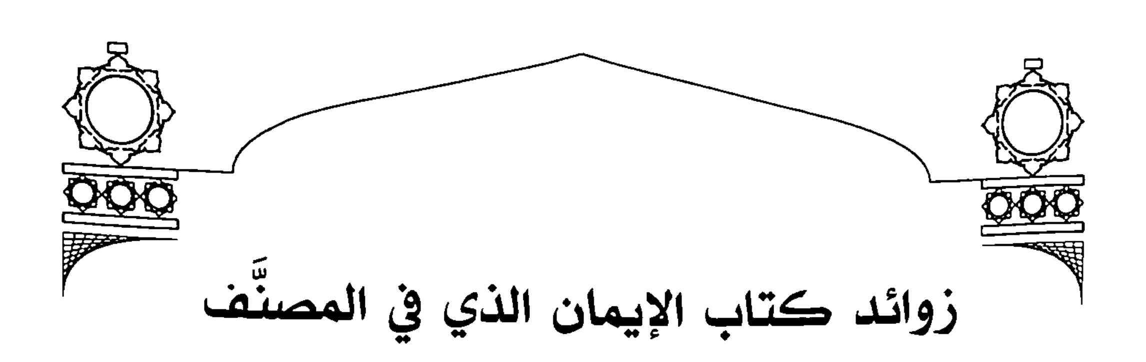
(١) لم أقف عليه عند غيره.

- قال أبو بكر: **الإيمان عندنا قول وعمل، ويزيد وينقص.**

ختم الإمام ابن أبي شيبة - رحمه الله تعالى - كتابه بهذه المقولة لأهل السنة، والتي لا اختلاف بينهم فيها، في أن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد وينقص، وقد سبق بيان ذلك، ولله الحمد.

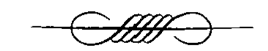
آخر الكتاب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلَّم.





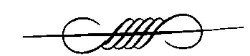
زوائد كتاب الإيمان الذي في المصنَّف

سبق التنبيه في المقدمة أن الكتاب جزء من المصنَّف - فيما يظهر - وليس كتابًا مستقلًّا، وبيَّنت أن من الفروق بينه وبين ما في «المصنَّف» المطبوع وجود زوائد عليه في أوله، وهي: ثلاثة أحاديث وأثرين، وإتمامًا لشرح الكتاب أشرح هذه النصوص.



- **حدثنا إسماعيل ابن عُلَيَّة، عن أبي حيَّان، عن أبي زُرْعَة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يومًا بارزًا للناس، فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر». قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لا تراه فإنه يراك»(١).**

هذا أول حديث أورده المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتاب الإيمان الذي في «المصنَّف»، وهو حديث جبريل المعروف، وسبق نحوه رقم (١١٩)، والتعليق عليه بما يناسب مقاصد الكتاب.



(١) أخرجه: البخاري (٥٠)، ومسلم (٩، ١٠)، وأبو داود (٤٦٩٨)، والنسائي (٥٠٣٥)، وابن ماجه (٦٤)، وأحمد (٩٥٠١)، وابن خزيمة (٢٢٤٤)، وابن حبان (١٥٩) من طريق أبي زرعة به، وعند أبي داود والنسائي رواه عن أبي ذر وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

- حدثنا غُنْدَر، عن شعبة، عن أبي جَمْرَة، عن ابن عباس ﵄: أن وفد عبد القيس أتوا النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مَن الوفد؟»، أو «مَن القوم؟» قالوا: ربيعة، قال: «مرحبًا بالقوم»، أو «بالوفد غير خزايا ولا ندامى»، فقالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شُقَّة بعيدة، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مُضَر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، فمُرنا بأمرٍ فَصْلٍ نُخْبِر به مَنْ وراءنا، ندخل به الجنة، قال: «فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده» وقال: «هل تدرون ما الإيمان بالله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخُمُسَ من المغنم»، فقال: «احفظوه وأخبروا به مَنْ وراءكم»(١).

۞ الفوائد:

الأولى: السؤال عن الشخص أو القوم عند أول اللقاء.

الثانية: الترحيب به؛ لقوله ﷺ: **«مرحبًا بالقوم»** أي: لقيتم رحبًا وسعة، وهذا من جميل الألفاظ التي تقال بعد السلام وتحية الإسلام.

الثالثة: حُسْن السؤال عن أهمِّ الأمور وأجلِّها، مع طلب التوضيح والبيان؛ ليكون الكلام فصلًا واضحًا، لا لَبْسَ فيه ولا احتمال.

الرابعة: بيان أصول الدين وقواعده، مع ما يحتاج إليه أو يتعلق به؛

---

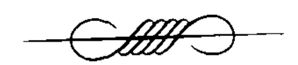
(١) أخرجه: البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧)، وأبو داود (٤٦٧٧)، والترمذي (٢٦١١)، والنسائي (٥٧٣٨)، وأحمد (٢٠٢٠)، وابن الجارود (٣٧٩)، وابن خزيمة (٣٠٧)، وابن حبان (١٧٢) من طرق عن أبي جمرة به.

كالخُمُس من الغنيمة.

الخامسة: قال الخطابي: «فَضَمَّ هذه الأعمال إلى كلمة الشهادة، وجعلها كلها إيمانًا، وهذا يبين لك أن اسم الإيمان قد يدخل على الإسلام، واسم الإسلام يدخل على الإيمان، وذلك لأن معنى الإيمان التصديق، ومعنى الإسلام الاستسلام، وقد يتحقق معنى القول بفعل الجوارح، ثم يتحقق الفعل ويصح بتصديق القلب نيةً وعزيمةً، وجماع ذلك كله الدين، وهو معنى قوله في جبريل: «**أتاكم يعلمكم دينكم**».

وقال ابن القيم: «وفي هذا - يعني حديث وفد عبد القيس - أن الإيمان بالله هو مجموع هذه الخصال من القول والعمل، كما علم ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون، وتابعوهم، وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة».

السادسة: أن الإيمان يُفَسَّر بالإسلام والعكس، فهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، وسبق تقرير ذلك وتوضيحه.



- حدثنا جرير، عن منصور، عن سالم بن أبي الجَعْد، عن عطية مولى بني عامر، عن يزيد بن بِشْر السَّكْسَكِي، قال: «قدمت المدينة فدخلت على عبد الله بن عمر، فأتاه رجل من أهل العراق فقال: يا عبد الله، ما لك تحج وتعتمر، وتركتَ الغزو في سبيل الله؟ فقال: «ويلك، إن الإيمان بُنِي على خمس: تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان»، قال: فردَّها عليه، فقال: يا عبد الله، تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان، قال: فردَّها عليه، فقال: يا عبد الله تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان، كذلك قال لنا رسول الله ﷺ»(١).

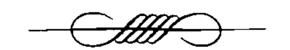
سبق الكلام عليه مفصلًا في الأثر رقم (١٢٤).



(١) أخرجه: ابن نصر (٤١٨) من طريق جرير به مختصرًا، والحديث اختلف فيه على منصور على وجوه، لكن رواية جرير هي الصواب؛ كما قال أبو حاتم، والدارقطني، وإسناده ضعيف؛ يزيد بن بشر مجهول، كما قال أبو حاتم، ورُوِي الحديث من وجه آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما عند الطبراني (١٣٧٣٧)، والحديث في مباني الإسلام في الصحيحين وغيرهما، وسبق نحوه مختصرًا رقم (١٢٤). ينظر: مسند أحمد (٤٧٩٨)، التاريخ الكبير (٨/ ٣٢٢)، علل ابن أبي حاتم (١٩٦١)، الجرح والتعديل (٩/ ٢٥٤)، معجم الطبراني (١٣٩١٤-١٣٩١٥)، علل الدارقطني (١٣/ ٢٣١)، الكفاية للخطيب (١/ ٣٩٩)، تاريخ دمشق (١٣/ ٣٨٩)، الميزان (٤/ ٤٢٠)، الإكمال للحسيني (٩٨٦).

- **حدثنا محمد بن فُضَيل، عن عُمَارة، عن أبي زرعة قال: قال عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«عُرَى الإيمان أربع: الصلاة، والزكاة، والجهاد، والأمانة»**[(١)].

سبق معناه، والكلام فيما يتعلق بهذه الأركان.



(١) لم أقف عليه عند غيره، وإسناده منقطع؛ أبو زرعة روايته عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرسلة. ينظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٢٣)، جامع التحصيل (٤٤٥).

- **حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن صِلَة قال: قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والجهاد سهم، وصوم رمضان سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والإسلام سهم، وقد خاب مَنْ لا سهم له»**(١).

۞ الفوائد:

الأولى: أنه دليل ظاهر في مباني الإسلام العظام، فالصلاة، والزكاة، وصوم رمضان من أركان الإسلام الخمسة، والجهاد ذروة سنامه.

الثانية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوع من الجهاد، وهما وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن أعظم أسباب النجاة والفلاح، وثبوت الخيريَّة للأمة، ولا صلاح للعباد والبلاد إلا بهما.

قال ابن تيمية: «صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا

---

(١) أخرجه: الطيالسي (٤١٣)، وعبد الرزاق (٥٠١١، ٩٢٨٠)، والبزار (٢٩٢٨)، والخلال (١٥٥٤، ١٥٥٧)، وابن الأعرابي (١٦٦)، والبيهقي في الشعب (٧١٧٩) من طريق أبي إسحاق به، ورُوِيَ من وجه آخر عند البزار (٢٩٢٧) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، كما أنه رُوِي رفعه من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّح الوجه الموقوف على حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أبو زرعة، وأبو حاتم، والدارقطني، والبيهقي، وابن رجب، والبوصيري، وقال البزار: «وهذا الحديث لا نعلم أسنده إلا يزيد بن عطاء، عن أبي إسحاق». ينظر: علل ابن أبي حاتم (١٩٣٤)، علل الدارقطني (٣/ ١٧١)، فتح الباري لابن رجب (١/ ٢٦)، جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٠)، إتحاف الخيرة (١/ ١٠٠)، المطالب العالية (١٢/ ٣٩١-٣٩٣).

يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس»(١).

وقال ابن القيم: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ووصف به هذه الأمة، وفضَّلها لأجله على سائر الأمم التي أخرجت للناس، وهذا واجب على كل مسلم قادر، وهو فرض كفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره»(٢).

الثالثة: لا بد للعبد أن يكون له سهم في كل خصلة من خصال الإيمان وشُعَبه حتى يحقق كمال الإيمان، وصدق الاتباع للنبي ﷺ.

الرابعة: قوله: «**والإسلام سهم، وقد خاب من لا سهم له**» فمراده أصل الأمر وقاعدته، فإذا أفلس من هذا فلا شك أن له الخيبة والخسار في الدنيا والآخرة، نعوذ بالله من ذلك.

وبهذا انتهى - بحمد الله وفضله ومنّته - التعليق المختصر على هذا الكتاب المبارك، الذي هو من أعظم وأجلِّ كتب أهل السنة في باب الإيمان، والذي قصد به مؤلفه الرد على المرجئة، لا سيَّما أن مذهب الإرجاء كان فاشيًا في بلده الكوفة كفُشُوِّ القدَرَ في البصرة، وهذا يدل على منهج العلماء الأجلاء في بيان الحق والصدع به، خصوصًا مع انتشار البدع وكثرة الشر والبلاء.

وإذا كان الكتاب للرد على المرجئة، وبيان زيف مذهبهم، وباطل بدعتهم فإنه لا يزال يظهر بين الفينة والأخرى مَن يدين بهذا المذهب

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٠٦).

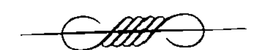
(٢) الطرق الحكمية (٢/ ٦٢٢).

الباطل، بل ربما تسربت إلى بعض عوامِّ أهل السنة مفاهيمُ إرجائيةٌ -والعياذ بالله- فتجد مَنْ يُهَوِّنُ مثلًا من شأن العمل في باب الإيمان، وأن الإيمان في القلب، ويقول: التقوى هاهنا! فهذا دارج ومشتهر عند بعض الناس، وهو مفهوم إرجائي.

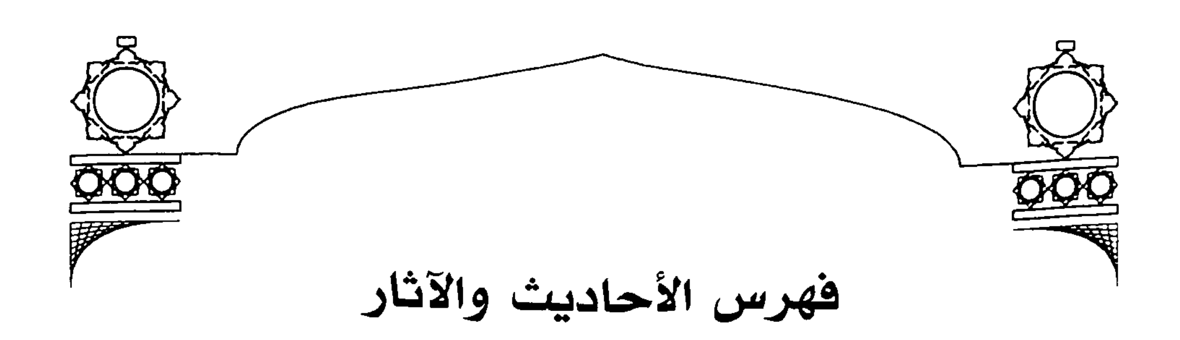
كذلك التهوين من شأن تحكيم الشريعة، أو من الكلام على نواقض الإسلام، أو التساهل في الدعوة إلى حرية الأديان، أو التقارب بين أهل الإسلام وأهل الأديان الباطلة، بل الدعوة إلى التقارب مع مَن لا دين عنده؛ كالملاحدة والبوذيين ونحوهم، أو التقارب بين أهل البدعة وأهل السنة، فكل هذه مفاهيم إرجائية باطلة.

فالواجب على أهل العلم بيان ذلك، ونصح الأمة، وبيان الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وألا يكون ذلك سببًا للغلو والتعنت، حتى يخرج بالعبد إلى مذهب الخوارج المكَفِّرة، وإنما يلزم العبد وسطية أهل السنة والجماعة في شتى أبواب الاعتقاد.

والله تعالى أعلم، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



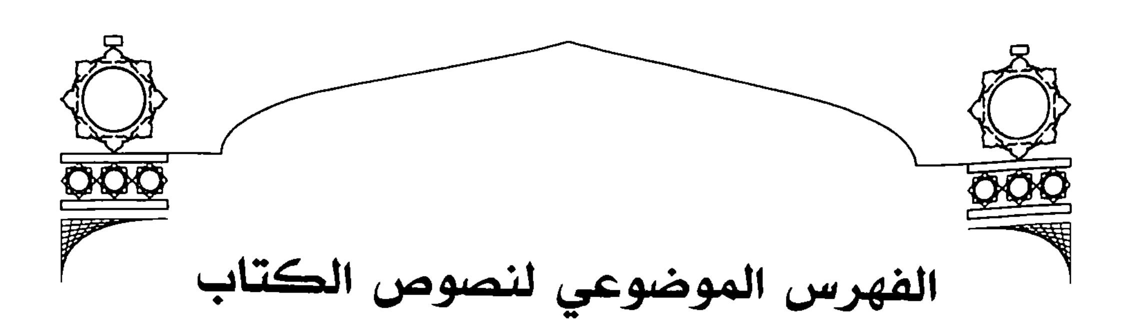
الفهارس



فهرس الأحاديث والآثار

حسب ترتيب المؤلف





الفهرس الموضوعي لنصوص الكتاب

الأعمال من الإيمان

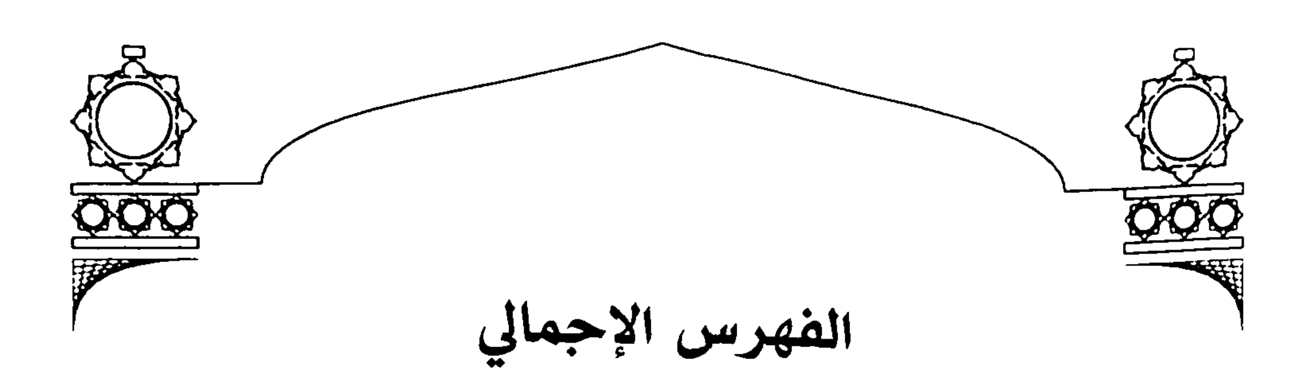
زيادة الإيمان ونقصانه

الدعاء بالثبات على الإيمان

الاستثناء في الإيمان

نصوص عامة في الإيمان





الفهرس الإجمالي

